كتاب منحة القريب المجيب في الرد
على عباد الصليب تاليف الشيخ
العالم العلامة عبد العزيز بن احمد
بن ناصر بن معمر رحمه الله تعا
امين امين
امين

19

في نوبة اقل العباد واحوجهم الى رحمة ربه ابراهيم بن محمد بن مير مهنا الزعبي

وقف لوجه الله الكريم لا يباع ولا يوهب ولا يورث
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ارسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله وكفى بالله شهيدا فصدق وعده ونصر عبده وهزم الا
حزاب وحده وبدد هم بتدريك بعثه بالايات البينات وامده با
لمعجزات الباهرات ونوع على نبوته الدلالات وايده تاييدا والحمد لله
الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل
وكبره تكبيرا تفرد بالخلق والتصوير وبيده الامر والتدبير واليه
القضاء والتقدير فلا يملك احد من دونه قطميرا ويعبدون من
دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا واشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نظير له ولا صاحبة ولا ولد له تعالى الملك
الجبار ولو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله
الواحد القهار تفرد بالربوبية في قدمه وظهرت سمات العبودية
على من سوى ذي الجلال والاكرام ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام واشهد ان محمدا عبده ورسوله
ارسله على حين فترة من الرسل ودروس من السبل وقد مقت اهل
الارض عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب فهدى به من الضلالة و
علم به من الجهالة وبصر به من العمى وارشد به من الغي والارتياب ففتح
برسالته اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فاستنارت بها الطرق وانفجت
الابواب فبلغ الرسالة موادي الامانة ونصح الامة وجاهد في الله حق
الجهاد ففتح القلوب بالايمان والقرآن فجاهد اعداء الله باليد والقلب
واللسان ودعى الى الله على بصيرة جميع العباد الى ان اشرقت برسالته
الارض بعد ظلامها اي اشراق وتالقت به القلوب بعد غشاوتها
والافتراق وسارت دعوته مسير الشمس في الاقطار وبلغ دينه القيم
ما بلغ الليل والنهار واستجابت القلوب لدعوته الحق طوعا واذعانا
واشلات بعد خوفها وكفرها امنا وايمانا فجزاه الله عن امته خير الجزا

وصلى الله عليه صلاة تملأ اقطار الارض والسماء وعلى اخوانه من الرسل
والانبيا وعلى الكل واصحاب كل والاولياء وبعد فقد سئلني
بعض الاخوان ايدهم الله بروح منه وكتب في قلوبهم الايمان و
الفهم عنه ان اكتب جوابا عن اباطيل الكتاب الذي صنفه بعض
الضالين من النصارى الجهلة الغاوين وسماه بمفتاح الخزائن ومصباح
الدفائن وضمن بعض فصوله الرد على المسلمين والاعتراض على نبوة
سيد المرسلين وقد بث منه النصارى نسخا كثيرة ليلبسوا الامر
على ضعفاء البصيرة ويلقوا عليهم الشكوك والشبهات بما لفقوه من
اباطيل الترهات يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله
الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقد وفى سبحانه
بما وعد واظهر دينه على رغم من كفر وجحد فاظهره بالحجج والبين
ونصره بالسيف والسنان وايد اهله على من سواهم ونصرهم بالحجة
على من ناواهم كما اظهرهم بالسيف على من كانوا له محاربون وذلك
قوله تعالى وان جندنا لهم الغالبون وايد رسوله واتباعه على باب الصحة
العلمية والبراهين القاطعة العقلية والنقلية بما لم يتفق بعشره
لمخالف الا محض العناد وحينئذ فالدواء الشافي من هذا الداء السيف
الجهاد وكفى لمن جانب جانب الاعتساف وسلك طريق العدل والانصاف
ما تضمنه القرآن العربي المبين من البينات والحجج والبراهين فهو الشفاء
النافع لمن استشفى والكفاية التامة لمن به استكفى وهو الهدى والنور
وشفاء وسوسة الصدور وهو الكفيل التام الكفيل بالانتصار
على المبطلين لمن كان به خبيرا كما قال تعالى ولا ياتونك بمثل الا
جئناك بالحق واحسن تفسيرا فلا ياتي صاحب باطل بحجة الا وفي القرآن
ما يبطلها ويلقمها من شاهق كما قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل
الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق وفي الحديث الذي رواه الترمذي

وغيره وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
في صفة القرآن فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل
ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره اضله
الله هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو
الذي لا تزيغ به الاهوى ولا تلتبس به الالسن ولا تشبع منه العلماء
ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجايبه وهو الذي لم تنته الجن
اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به من
قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعى اليه
هدى الى صراط مستقيم ولما كان الله تعالى قد امر رسوله
باقامة الحجة على الكافرين بطريق الجدال وشرع ذلك في سور
المكية والمدينة حتى بعد فرض القتال كما قال تعالى ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو
اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وقال تعالى ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا امنا بالذي
انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وامره بعد
اقامة الحجة على النصارى بالمجادلة ان يدعوهم الى الملاعنة والمباهلة
فقال تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا
وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة
الله على الكاذبين فلم يزل صلى الله عليه وسلم في جدال الكفار على
اختلاف ملليهم وتباين نحلهم الى حين وفاته وكذلك اصحابه من بعده
ومن تبعهم من ائمة الدين وحماته وبهذا الامر قام الدين وانتضح منهاجه
للعابدين وانما جعل السيف ناصر الحجة والبرهان مسهلا طريق البلاغ
الى المكلفين بالسنة والقرآن واعدل السيوف سيف يصير الليل
وبياته وهو سيف رسوله واتباعه الذين بذلوا نفوسهم لله ابتغاء
مرضاته فهذا ذلك وايت الاجابة الى الجواب اولى فاستعنت بالله

فنعم

فنعم المعين ونعم المولى جاء الدخول في زمرة المجاهدين والانتظام في سلك انصار
الدين واعلم ان الكتاب الذي قصدنا الرد لباطله يشتمل على مقالتين
المقالة الاولى منهما تنقسم الى قسمين الاول في صحة الشريعة المسيحية
والثاني في اثبات صحة كتب العهد الجديد يعني الاناجيل التي يعتمدها
اهل النصرانية المقالة الثانية تنقسم ايضا قسمين الاول في الرد على
اليهود المكذبين والقسم الثاني في الرد على المسلمين وهذا القسم ارشدك
الله تعالى ما يرضيه هو الذي قصدنا الرد عليه فيه واما ما قبله من الاقسام
فهو اما في صحة رسالة المسيح وان دينه دين صحيح وهذا متفق عليه بين
المسلمين قبل التبديل والتنسيخ بشريعة خاتم النبيين واما في الرد على
اليهود في كفرهم بالانجيل وقولهم بالزور في عيسى ابن مريم البتول
وهذا ايضا على الجملة صحيح مقبول لكن تلك الاقسام قد ضمنها النصارى
ايضا باطلا كثيرا ومزجوها بها بهتانا وزورا وسيسر عليك انشاء الله
الرد عليه في ذلك ضمن ما كتبناه وذلك القسم الذي نقضناه يشتمل على
مقام وسميته سميته فتحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ومن
الله نستمد على الاعانة على ما اردناه والتوفيق لاصابة الغرض بما اوردناه
فهو الذي يهدي الى سواء السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل المقام الا
ول قال النصراني فصل في ابتداء ظهور دين الاسلام معلوم
مشهور مما وجد مسطورا في كتب التواريخ واخبار احوال الزمان ان
النفوس الصحيحة الخالصة التي شهرت اولا في المسيحيين حين كانوا
مبتلين باشد البلايا ومظلومين في غاية الظلم قد اخذت ان تنقض
اولا فاولا بعد ان كان بواسطة قسطنطين ومن بعده من الملوك
صار ذلك الاعتقاد ليس منافقا بل ومكرما ثم ذكر ان سبب ذلك
هو الاختلاف والفتن بين الاساقفة من اجل الرياسة وعلو المرتبة
اذ قد موا الافتخار بالعلم على تقوى الله وجعلوا الدين حيلة وان ذلك

صار بسبب اختلاف الاقوال والاراء قال واذوى عامة الناس
ذلك لم يدروا ما يختارون لانفسهم يأ لوفوت الكتب المقدسة كانها سبب
ذلك الفتنة وينفرون عنها كانها سم ذعاف واما فغالب الامر قديب
الدين ان يجعل ليس في طهارة النفس بل في ظاهر البدن كما صارت
اليهودية وفي حفظ الاشياء التي مقصودها تهذيب الابدان اكثر
من صلاح الانفس بها وفي السعي في اثبات الدعاوي التي اختاروها والذي
ال الامر اليه انه قد وجد في جميع البلاد عدة من المسيحيين اسما واقل
من القليل حقا وفعلا الماخر كلامه الاتي ونقول وبالله التوفيق
حقيقة ما ذكرنا هو الاعتراف بتبديل النصارى دين المسيح عليه
السلام وتغييرهم له وتفرقهم فيه في تلك الازمان القريبة من زمن المسيح عليه
السلام فهو من الحجج على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانها قد مضت
سنة الله في خلقه ببعثة الرسل عند خفاء الحق وظهور الضلال
اعذارا وانذارا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله
الله عز وجل حكيما فارسل تبارك وتعالى الرسل في بني ادم جيلا
بعد جيل وقرنا بعد قرن كلما دثرت رسالة رسول وخفيت اثارها
بعث رسولا بتجديد الرسالة واقامة الحجة الى ان وصلت النوبة الى بني
اسرائيل فبعث الله فيهم عبده ورسوله الكريم ونجيه المقرب الكليم موسى
ابن عمران عليه الصلاة والتسليم وانزل عليه التوراة فيها هدى
ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والا
حبار فسائهم موسى عليه السلام بسياسة النبوة وشرع لهم شرائع
الدين وحدلهم حدوده ثم كانت فيهم الانبياء بعده تسوسهم باحكام
التوراة وشريعة موسى ثم حدثت فيهم الاحداث وتفرقوا في الدين
واتبعوا الاهواء وتقطعوا امرهم بينهم زبرا وفسد وا في الارض
وتعدوا حدود الله وغيروا دينه وقتلوا انبياءه فسلط عليهم

الاعداء

الاعداء مرة بعد اخرى فجاسوا خلال ديارهم وتبروا ما علوا تتبيرا و
في كل ذلك يبعث الله فيهم الانبياء يجددون لهم ما درس من الدين
ويقيمون ما غير والى ان كان اخر انبيائهم عبد الله ورسوله وكلمته عيسى
ابن مريم عليهما السلام فجدد لهم الدين وبين معالمه ودعاهم الى عبادة
الله وحده والتبرى من الاحداث والاراء الباطلة فعادوه وكذبوه وهموا
بالعظائم واراقتله وصلبه فطهره الله ورفعه اليه فلم يصلوا اليه بسوء كما
سيأتي تفصيل القصة فيما بعد ان شاء الله تعالى فلما رفع تفرقت اتباعه
بعده شيعا فمنهم من امن بما بعثه الله به وانه عبد الله ورسوله وابن امته ومنهم
من غالى فيه وتجاوز به حد العبودية الى منزلة الربوبية والالهية وقد حكى
الله تعالى عنهم في كتابه ثلاث مقالات من الكفر فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا
ان الله هو المسيح ابن مريم وقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة
وقال تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله وقد اختلف العلماء في هذه المقالات
الثلاث التي ذكرها الله عن النصارى هل هي مقالات ثلاث لطوائف
منهم او انها مقالة بجميعهم اعني كفرت النصارى على قولين والتحقيق الثاني
واعلم ان النصارى من جهل الناس بالعلم الصحيح واضلهم في اصول دينهم
وفروعه وهم وان ادعوا فهم على دين عيسى عليه السلام وانهم اتباعه وعلى
شريعته فقد كذبوا وضلوا ضلالا بعيدا بل بدلوا دين عيسى وغيروه
ولم يبق بايديهم منه شيء وانما اتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ويسند كر بعون الله ما ذكرعلماؤنا
الذين هم اهل العلم الصحيح والعقل الرجيح والتمييز بين صحيح النقل وسقيمه
ومقبوله ومردوده مما نقل اليهم من امور هذه الامة الضالة في ابتداء امرها
ووصل اليهم علمه من ثقات المخبرين من مؤرخي اهل الكتاب وغيرهم
فمن له تمام المعرفة بايامهم واجتماعهم وافتراقهم ويسند بذكر حديث
في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم تيمنا وتبركا قال الامام الحافظ
عبد الرحمن ابن ابي حاتم الرازي حدثنا اسحاق ابن ابي حمزة ابو يعقوب

الرازي قال حدثنا السري بن عبد ربه حدثنا بكير بن معروف عن
مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال
لبيك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن مسعود قلت لبيك يا رسول الله
قال علمت ان بني اسرائيل تفرقوا على ثنتين وسبعين فرقة لم ينج منها
الا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبابرة بعد عيسى ابن مريم عليه السلام
فدعت الى دين الله ودين عيسى ابن مريم فقاتلت الجبابرة فقتلت وصبرت
ونجت ثم قامت طائفة اخرى لم تكن طاقة بالقتال فقامت بين الملوك و
الجبابرة تدعو الى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالمناشير
وحرقت بالنيران فصبرت ونجت ثم قامت طائفة اخرى لم تكن طاقة
بالقتال ولم تطق القيام بالقسط فلحقت بالجبال فتعبدت وترهبت وهم
الذين ذكرهم الله عز وجل بقوله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم
ورواه ابن جرير وابو يعلى بن طريق اخر بلفظ اخر وابن كثير روى
عن قتادة قال اجتمع بنو اسرائيل فاخرجوا اربعة نفر اخرج كل قوم عالمهم
فامتروا في عيسى حين رفع فقال بعضهم هو الله هبط الى الارض فحيا من حيا و
مات من مات ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت
ثم قال اثنان منهم للثالث قل انت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية
فقال الاثنان كذبت ثم قال احد الاثنين للاخر قل فيه قال هو ثالث
ثلاثة الله الله وهو اله وامه اله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى فقال
الرابع كذبت هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون فكان كل رجل
اتباعه على ما قالوا فاقتتلوا فظهر واعلى المسلمين وذلك قول الله تعالى ويقتلون
الذين يامرون بالقسط من الناس قال قتادة وهم الذين قال الله فاختلف
الاحزاب من بينهم قال اختلفوا فيه فصاروا احزابا وروى عن ابن عباس
وعروة بن الزبير عن بعض اهل العلم قريب من ذلك قال ابن كثير
بعد ان ذكر مقالاتهم فاستمروا كذلك قريبا من ثلاثمائة سنة
ثم تنبع فيهم ملك من ملوك اليونان يقال له قسطنطين فدخل في دين

النصرانية

النصرانية قيل حيلة ليفسدوه فانه كان فيلسوفا وقيل جهلا منه الا
انه بدل دين المسيح وحرفه وزاد فيه ونقص ووضعت له القوانين والا
مانة الكبيرة بل هي الخيانة الحقيرة وصلوا له الى المشرق وصوروا لهم
الصور وبنوا لهم الكنايس والمعابد والصوامع وزادوا في صيامهم عشرة ايام
من اجل ذنب ارتكبه فيما يزعمون وصار دين المسيح دين قسطنطين لانه
بنى لهم من الكنايس والمعابد والصوامع والديارات ما يزيد على اثني عشر
معبدا وبنى المدينة المنسوبة اليه وتبعه طائفة الملكية منهم واخرج
النسائي في مسنده وابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل
وكان بينهم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل فقيل لملوكهم ما نجد
شتما اشد من شتم يشتمونا هؤلاء انهم يقرؤن ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون مع ما يعيبونا به في اعمالنا في قراءتهم فادعهم
فليقرؤا كما نقرأ وليؤمنوا كما نؤمن فدعاهم فعرض عليهم القتل او يتركوا
قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا فيها فقالوا ما تريدون الى ذلك
دعونا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا
شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نزد عليكم وقالت طائفة منهم دعونا
نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدروا علينا
في ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر
البقول ولا نزد عليكم ولا نريكم وليس احد من القبائل الا وله فيهم حميم
ففعلوا ذلك فانزل الله ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء
رضوان الله فما رعوها حق رعايتها والاخرون قالوا نتعبد كما تعبد فلان
ونسيح كما ساح فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا
بهم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل
من صومعته فجاء رجل من سياحته وصاحب الدير من ديره فامنوا
به وصدقوه فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله

وفي الديارات

يوتكم كفلين من رحمته يعني اجرين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم ويجعل لكم نورا تمشون به القران واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم ان لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد ذكر الامام العلامة ابو عبد الله محمد ابن ابي بكر ابن القيم طرفا من شرح هذه الجملة وان دين المسيح تناسخ واضمحل قال ولم يبق بايدي النصارى منه شيء بل دكوا دينا بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الاصنام وداموا بذلك ان يتلطفوا اللاهم حتى يدخلوهم في النصرانية فنقلوهم من عبادة الاصنام المجسدة الى الصور التي لا اصل لها ونقلوهم من السجود للشمس الى السجود الى جهة المشرق ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول الى القول باتحاد الاب والابن وروح القدس هذا ومعهم بقايا من دين المسيح كالختان والاغتسال من الجنابة وتعظيم السبت وتحريم الخنزير وتحريم ما حرمته التوراة الا ما احل لهم بنص الانجيل ثم تناسخت الشريعة الى ان استحلوا الخنزير واحلوا السبت وعوضوا منه يوم الاحد وتركوا الختان والاغتسال من الجنابة وكان المسيح يصلي الى بيت المقدس فصلوا هم الى المشرق ولم يعظم المسيح صليبا فعظموا هم الصليب وعبدوه ولم يصم المسيح صوما هذا ابدا ولا شرعه ولا امر به الربيع فجعلوا ما زادوا فيه البتة بل هم وضعوه على العدد ونقلوه الى زمن الربيع فجعلوا ما زاد فيه من العدد عوضا عن نقله من الشهور الهلالية الى الشهور الرومية وتعبدوا بالنجاسات وكان المسيح في غاية الطهارة والطيب والنضافة وابعد الخلق عن النجاسة فقصدوا بذلك تغيير دين اليهودية ومراغمتهم فغيروا دين المسيح وتقربوا الى الفلاسفة عباد الاصنام بان وافقوهم في بعض الامور ضوهم به وليستنصروا بذلك على اليهود ولما اخذ دين المسيح في التغيير والفساد اجتمعت النصارى عدة

مجامع تزيد على ثمانين مجمعا ثم يتفرقون على الاختلاف والتلاعن يلعن بعضهم بعضا حتى قال فيهم بعض العقلاء لو اجتمع عشرة من النصارى يتكلمون في حقيقة ما هم عليه لتفرقوا عن احد عشر مذهبا حتى جمعهم قسطنطين الملك اخر ذلك من الجزاير والبلاد وسائر الاقطار فجمع كل بترك واسقف وعالم فاختار منهم ثلاثمائة وثمانية عشر فقال انتم اليوم علماء النصرانية والاحبار النصارى فاتفقوا على امر تجتمع عليه كلمة النصرانية ومن خالفه لعنتموه وحرمتموه فقاموا وقعدوا وفكروا وقدروا واتفقوا على وضع الاهانة التي بايديهم اليوم وذلك بسنة خمس عشر من ملك قسطنطين وكان سبب ذلك ان بطريق الاسكندرية مع اريوس من دخول الكنيسة ولعنه فخرج اريوس الى قسطنطين الملك مستعديا عليه ومعه اسقفان فشكوه اليه وطلبوا منه مناظرته بين يدي الملك فاستحضره الملك وقال لاريوس اشرح مقالتك فقال اريوس اقول ان الاب كان اذ لم يكن الابن فكان كلمة له الا انه محدث مخلوق ثم فوض الامر الى ذلك الابن المسيح كلمة فكان هو خالق السموات والارض وما بينهما كما قال في انجيله اذ يقول وهب لي سلطانا على السماء والارض فكان هو الخالق لها بما اعطي من ذلك ثم ان تلك الكلمة بعد اتخذ من مريم العذراء ومن روح القدس فصار ذلك مسيحا واحدا فالمسيح الان معنيان كلمة وجسد الا انهما جميعا مخلوقان فقال بطريق الاسكندرية خبرنا ايها اوجب علينا عندك عبادة من خلقنا او عبادة من لم يخلقنا فقال اريوس بل عبادة من خلقنا فقال فعبادة الابن الذي خلقنا وهو مخلوق اوجب من عبادة الاب الذي هو ليس بمخلوق بل يصير عبادة الاب الخالق كفرا وعبادة الابن ايمانا فاستحسن الملك والحاضرون مقالته وامرهم الملك ان يلعنوا اريوس ومن يقول بمقالته فلما انتشر البطريق قال للملك استحضر البطارقة والاساقفة حتى يكون لنا مجمع ونصنع قصة نشرح فيها الدين ونوضحه للناس فحشرهم قسطنطين

من سايرالافاق فاجتمع عنده بعد سنة وشهرين الفان وثمانمايه
واربعون اسقفا وكانوا مختلفي الاراء متباينين في اديانهم فلما
اجتمعوا كثر المغط بينهم وارتفعت الاصوات وعظم الاختلاف فتعجب
الملك من شدة اختلافهم فاجرى عليهم الارزاق وامرهم ان يتناظروا
حتى يعلم الدين الصحيح مع من منهم فطالت المناظرة بينهم فاتفق منهم
ثلاثمايه عشر اسقفا على راى واحد فناظروا بقيه الاساقفه وظهروا
عليهم فعقد الملك لهولاء الثلاثمايه مجلسا خاصا وجلس في
وسطه واتخذ خاتمه وسيفه وقضيبه ودفعه اليهم وقال لهم قد سلطتكم
على المملكه فاصنعوا مايدا لكم مما فيه قوام دينكم وصلاح امركم فباركوا عليه
وقلدوه سيفه وقالوا له اظهر دين النصرانيه وذب عنه ودفعوا له
الامانه التي اتفقوا على وضعها فلا يكون عندهم نصراني من لم
يقر بها ولا يتم له قربان الا بها وهي هذه نؤمن بالله الواحد
الاب خالق كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى وبالرب الواحد يشوع
المسيح ابنه الوحيد الذي ولد من ابيه قبل العوالم كلها وليس بمصنوع
اله حق من اله حق من جوهر ابيه وهو الذي بيده اتقنت العوالم
وخالق كل شيء الذي من اجلنا معشر الناس ومن اجل خلاصنا نزل
من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا وحمل به ثم ولد من مريم
البتول والمرو قتل وصلب ودفن وقام في اليوم الثالث وصعد الى السماء
وجلس عن يمين ابيه وهو مستعد للمجيء تارة اخرى للقضاء بين
الاموات والاحياء ونؤمن بروح القدس الواحد وروح الحق الصادر
من الاب والابن الذي تكلم على السنة الانبياء وبعمودية واحد
لمغفرة الخطايا وبكنيسة واحد جامعة رسوليه وبقيامة ابداننا هو ح
والحيوة الدائمة الى ابد الابدين فهذا هو العقد الذي اجمع عليه الملكيه
والنسطوريه واليعقوبيه وهذه الامانة هي الامانة التي الفها
اولئك البتاركة والاساقفة والعلماء وجعلوها شعار النصرانية

وكان

٢٥

وكان رؤساء هذا الجمع بترك الاسكندريه وبترك انطاكيه وبترك
بيت المقدس فاقترفوا عليها وعلى لعن من خالفها والتبرى منه وتكفيره
ثم ذهب اريوس يدعو الى مقالته وينفر النصارى عن اولئك الثلاث
مايه فجمع جمعا عظيما وصار البيت المقدس وخالف بكثير من النصارى
لا واولئك الجمع فلما اجتمعوا قال اريوس اولئك الثلاثمايه واعلى و
ظلموني ولم ينصفوني في الحجاج وحموني ظلما وعدوانا فوافقه
كثير من الذين معه وقالوا صدق وشركان لهم جمع ثالث بعد ثمان
وخمسين سنه من الجمع الاول اجتمع الوزراء والقواد الى الملك وقالوا
ان مقالة الثامر قد فسدت وغلب عليهم مقالة اريوس فاكتب الى جميع البتاركه
والاساقفه ان يجتمعوا ويوضحوا دين النصرانيه فكتب الملك الى سايرر
بلاده فاجتمع بقسطنطينه خمسمايه وخمسون اسقفا وكان مقدمهم
بترك اسكندريه وبترك انطاكيه وبترك بيت المقدس فنظروا في
مقالة اريوس وكان من مقالته ان روس القدس مخلوق مصنوع
ليس بالله وليس روح الله فقال بترك الاسكندريه ليس لروح القدس
عندنا معنى غير روح الله وليس روح الله شيئا عن حيوته فان قلنا
ان روح القدس مخلوق فقد قلنا ان روح الله مخلوق واذا قلنا ان
روح الله مخلوق فقد قلنا ان حيوته مخلوقه فقد جعلناه غيرحي ومن
جعله غيرحي فقد كفر ومن كفر فقد وجب عليه اللعن فلعنوا باجمعهم اريوس
واتباعه واتباعه والبتاركه الذين قالوا بمقالته وبينوا ان روح
القدس خالق غير مخلوق الهو من طبيعة الاب والابن جوهر واحد
وزادوا في الامانه التي وضعتها الثلاثمايه وثمانيه عشر وقالوا
بروح القدس المحيي الصادر من الاب والابن الذي يمجد ويعبد مع الاب
والاب وكان في الامانه الاولى بروح القدس فقط وبينوا ان الاب
والابن وروح القدس ثلاثه اقانيم وثلاثه وجوه وثلاثه خواص

وحدة في ثلاثة وثلاثة في وحدة وزادوا ونقصوا في الشريعة
واطلق الاسكندريه للرهبان والاساقفة والبتاركة اكل اللحم وكانوا
على مذهب مانى لا يرون اكل ذوات الارواح فانقض هذا الجميع وقد
لعنوا فيه اكثر اساقفتهم وبتاركهم ومضوا على تلك الامانة شركان لهم
جميع رابع بعد اخذى وخمسين سنة من هذا الجمع على نسطور وكان
من هبد ان مريم ليست بوالدة الاله على الحقيقة ولكن ثم اثنان
الاله الذى هو موجد من الاب والاخر انسان الذى هو موجد
من مريم وان هذا الانسان الذى نقول انه المسيح متوحد مع اب
الاله وابن الاله ليس ابنا على الحقيقة ولكن على سبيل المواهبة والكرامة
واتفاق الاسمين فبلغ ذلك بتاركة ساير البلاد فجرت بينهم مراسلات
واتفقوا على تحطيته واجتمع منهم مايتا اسقف فى مدينة افسوس واستدعوا
الى نسطور للمناظرة فامتنع ثلاث مرات فاوجبوا عليه الكفر ولعنوه
ونفوه وحرموه وثبتوا ان مريم ولدت الها وان المسيح اله حق واثنان
معروف بطبيعتين متوحدتين فلما لعنوا نسطور بزغيب له
بتراك انطاكية فجمع اساقفة الذين قد موا معه وناظرهم فقطعهم
فتقاتلوا فوقع الحرب والشر بينهم وتفاقم امرهم فلم يزل الملك حتى
اصلح بينهم فكتب او لئك صحيفة بان مريم القديسة ولدة الها
وهو ابنا يشوع المسيح الذى هو مع ابيه فى الطبيعة وهو مع الناس
فى الناسوت وانفذ والعن نسطوريس فلما نفى نسطوريس
سار الى ارض مصر واقام تسع سنين ومات بها وقد درست مقالته
الى ان احياها ابن صرهما مطران نصيبين وبثها فى بلاد المشرق
فاكثر نصارى العراق والمشرق نسطوريه وانقض ذلك الجمع ايضا
على لعن نسطوريس ومن قال بقوله وكل جامع كانت تجتمع على الضلال
وتتفرق على اللعن فلا ينقض الجمع الا وهم بين لاعن وملعون ثم كان
لهم مجمع خامس وذلك انه كان بقسطنطينية طبيب راهب يقال له

بلغ

اطيسوس يقول ان جسد المسيح ليس هو من اجسادنا فى الطبيعة وان المسيح
قبل التجسد طبيعتين وبعد التجسد طبيعة واحدة وهذه مقالة اليعقوبية
فرحل اليه اسقف دولته فناظره فقطعه واحضر مجتمعا ثم صار الى
قسطنطينية فاخبر بتركها بالمناظرة وبانقطاعه فارسل يترك الاسكندرية
اليه فاستحضروه وجمع جمعا عظيما وساله عن قوله فقال ان قلنا ان المسيح
طبيعتان فقد قلنا بقول نسطوريس ولكنا نقول ان المسيح طبيعة واحدة
واقنوم واحد لانه من طبيعتين صارتا قبل التجسد فلما تجسد زالت
الاثنينية وصار طبيعة واحدة واقنوما واحدا فقال له بترك القسطنطينية
ان كان المسيح طبيعة واحدة فالطبيعة القديمة هى الطبيعة المحدثة وكان
القديم هو المحدث فالذى لم يزل هو الذى لم يكن ولو جاز ان يكون القديم
هو المحدث لكان القايم هو القاعد والظاهر البارد فابى ان يرجع عن مقالته
فلعنوه فاستعدى الى الملك وزعم انهم ظلموه وساله ان يكتب الى جميع البتاركة
للمناظرة فاستحضر الملك البتاركة والاساقفة من ساير البلاد الى مدينة افسوس بطريق
الاسكندرية مقالة اوطيسوس وقطع بتاركة القسطنطينية وانطاكية وبيت المقدس وساير البتاركة والاساقفة وكتب الى بترك رومية
والجميع البتاركة والاساقفة فحرموهم ومنعهم من القربان ان لم يقبلوا مقالة اوطيسوس فقبلت
اوطيسوس فقبلت الامانة وصارت المقالة مقالة اوطيسوس وخاصة فى
مصر والاسكندرية وهو مذهب اليعقوبية فافترق هذا الجمع الخامس وهم بين
لاعن وملعون وضال ومضل وقليل يقول الصواب مع اللاعنين
وقايل بقول الجميع الملعونين ثم كان لهم بعد ذلك مجمع سادس فى
دولة مرقيون فانه اجتمع اليه الاساقفة من ساير البلاد فاعلموه ما كان
من ظلم ذلك الجمع وقلة الانصاف وان مقالة اطيسوس قد غلبت على
الناس وافسدت دين النصرانية فامر الملك باحضار ساير البطارقة والاساقفة
الحضرة فاجتمع عنده ستمايه وثلاثون اسقفا فنظروا فى مقالة

اوطيوس ويترك الاسكندريه الذي قطع جميع البتاركه فافسد وافقاتهما
ولعنوهما واثبتوا ان المسيح اله وانسان فهو مع الله في الاهوت ومعنا في
الناسوت له طبيعتان تامتان فهو تام باللاهوت تام بالناسوت والمسيح واحد
واثبتوا اقوال الثلاثمايه وثمانيه عشر اسقفا وقبلوا قولهم بان الابن مع الله
وانه الحق من الحق ولعنوا اريوس وقالوا ان روح القدس اله وقالوا
ان الاب والابن وروح القدس واحد بطبيعة واحده واقانيم ثلاثة
واثبتوا قول اهل الجمع الثالث وقالوا ان مريم العذراء ولدت
الهنا ربنا يشوع المسيح الذي هو مع الله في الطبيعه ومعنا في الناسوت وقالوا
ان المسيح طبيعتان واقنوم واحد ولعنوا نسطوريس وبترك الاسكندريه
فانقض هذا الجمع وهم بين لاعن ومعون ثم كان ظهر بعد هذا الجمع سابع
في ايام نسطاس الملك وذلك ان سوريس بترك القسطنطينيه جاء الى
الملك فقال ان اصحابك لك الجمع الثلاثمايه وثلاثين اخطوا والصواب ما قاله
اوطيوس وبترك الاسكندريه فلا تقبل فيه سواه واكتب الى جميع
بلادك ان يلعنوا الثلاثمايه وثلاثين وان ياخذ الناس بطبيعة
حده واقنوم واحد فاجابه الملك الى ذلك فلما بلغ ذلك بترك بيت المقدس
جمع الرهبان فلعنوا نسطاس الملك وسوريس ومن يقول بمقالتهما فبلغ
ذلك الملك فغضب وبعث ونفى البترك الى ايليه وبعث يوحنا بترك على
بيت المقدس لانه كان قد ضمن الملك ان يلعن الثلاثمايه وثلاثين فلما قدم
الى بيت المقدس اجتمع الرهبان وقالوا اياك ان تقبل عن سوريس ولكن
اقبل عن الثلاثمايه وثلاثين ونحن معك ففعل وخالف الملك فلما بلغه
ارسل قايدا وامره ان ياخذ يوحنا بالعنف او الرفق فان لم يفعل انزله
عن الكرسي ونفاه فقدم القايد وطرح يوحنا في الحبس فضايقه الرهبان
في الحبس واشاروا عليه بان يضمن القايد ان يفعل ذلك فاذا حضر
فليقرا بالعنف كل من لعنه الرهبان فاجتمع الرهبان فكانوا عشرة الاف
راهب فلعنوا اوطيوس ونسطوريس وسوريس ومن لا يقبل من اولئك

السنهايه وثلاثين ففزع رسول الملك من الرهبان وبلغ ذلك الملك فهم
بنفي يوحنا فاجتمع الرهبان والاساقفه فكتبوا الى الملك انهم لا يقبلون
مقالة سوريس ولو اريقت دماؤهم وسالوه ان يكف اذاه عنهم وكتب
بترك روميه الى الملك يقبح فعله ويلعنه فانقض هذا الجمع على اللعنه ا
يضا وكان لسوريس تلميذ يقال له يعقوب البراذعي لانه كان يلبس
قطع براذع الدواب يرقع بعضها ببعض واليه تنسب اليعاقبه فا
فسد امانة القوم ثم هلك نسطاس فولي بعده ملك اخر فرد كل من نفاه
نسطاس الى موضعه وكتب الى بيت المقدس بامانته فاجتمع الرهبان
واظهر واكتابه وفرحوا به واثبتوا قول السنهايه وثلاثين اسقفا وغلبت
اليعقوبيه على الاسكندريه وقتلوا بترك هم يقال له بولس وكان ملكانيا
فولي الملك اسطيانوس فارسل قايدا ومعه عسكر عظيم الى الاسكندريه
فدخل الكنيسه في ثياب البترك وتقدم وقدس فرموه بالحجاره حتى
كادوا يقتلونه وانصرف وتوارى عنهم ثم ظهر لهم بعد ثلاثة ايام
واظهر لهم انه اتاه كتاب الملك وامر الحرس ان يجمعوا الناس فلم يتواحد
بالاسكندريه الا حضر لسماعه وكان قد جعله بينه وبين جنده علامة
اذا هوى فعلها وضعوا السيوف في الناس فصعد المنبر وقال يا اهل
الاسكندريه ان رجعتم الى الحق وتركتم مقالة اليعاقبه والا لم تا
منوا ان يوجد الملك اليكم من يسفك دماءكم فرموه بالحجاره حتى خاف
على نفسه فاظهر العلامة فوضعوا السيوف على من بالكنيسه فقتل
خلق لا يحصيهم الا الله حتى خاض الجند في الدماء وظهرت مقالة الملكانية
بالاسكندريه اشهر كان ظهر بعد ذلك بجمع ثامن وذلك ان اسقف
منبج كان يقول بالتناسخ وانه ليس ثم قيامه ولا بعث وكان
اسقف الرها واسقف الصيصه. واسقف ثالث يقولون ان
جسد المسيح خيال غير حقيقة فحشرهم الملك الى قسطنطينيه فقال له
بترك ها فان كان جسده خيالا فيجب ان يكون فعله خيالا نحو قوله

خيلا وكل جسد نعاينه لاحد من الناس او فعل او قوله فهو كذلك وقال له
ان المسيح قد قام من الاموات وعلمنا انه كذلك يقوم الناس يوم
الدين واحتج بنصوص من الانجيل كقوله ان كان شيء في القبور فاذا
سمعوا قول الله سبحانه يحيوا فاوجب عليه اللعن ولم الملك ان يكون لهم
مجمع يلعنون فيه واستحضر بتاركة البلاد فاجتمع عنده مايه واربعة
وستون اسقفا فلعنوا استف منيج واسقف مصيصة واثبتوا على
ان جسد المسيح حقيقة لاحبار وانه الله تام وانسان تام معروف
بطبيعتين ومشيئتين وفعلين اقنوم واحد وان الدنيا زائلة وان
القيمة كائنة وان المسيح ياتي بمجد عظيم فيدين الاحياء والاموات
كما قال الثلاث مايه وثمانية عشر الاوائل فتفرقوا على ذلك ثم
كان لهم مجمع تاسع على عهد معاوية بن ابي سفيان تلا عنوا فيه
وذلك انه كان برومية راهب له تلميذان فجاء الى قسطا الوالي فوجه
على قبح مذهبه وشناعة كفره فامر به قسطا فقطعت يداه ورجلاه
ونزع لسانه وفعل باحد التلميذين كذلك وضرب الاخر بالسياط ونفاه
فبلغ ذلك ملك قسطنطينية فارسل اليه ان يوجه اليه من افاضل الا
ساقفة ليعلم وجه هذه الشبهة وما كان ابتداؤها ويعلم من يستحق اللعن
فبعث اليه مايه واربعين اسقفا وثلاثمايه شماس فلما وصلوا اليه جمع الملك
مايه وثمانية وخمسين اسقفا فصاروا ماتين وثمانية وتسعين
واسقطوا الشماسة وكان رائس هذا المجمع بترك قسطنطينية وبترك
انطاكية فلعنوا من تقدم من القسيسين والبتاركة وخلسوا فلحظوا الا
مانة وزادوا فيها ونقصوا فقالوا انهم من ان الواحد من الثالوث الابن
الوحيد الذي هو الكلمة الازلية الدائم المستوي مع الاب الاله
في الجوهر الذي هو تنها يشوع المسيح بطبيعتين تامتين وفعلين
ومشيئتين في اقنوم واحد ووجه واحد تاما بلا هوته تاما
بناسوته وشهدت بان الاله الابن في اخر الايام اتخذ من العذراء

السيدة

السيدة مريم العذراء جسدا انسانا بنفسين ولم يلحقه اختلاط
ولا فساد ولكن هو واحد بعل بما يشبه الانسان ان يعمله في طبيعته الذي
هو الابن الوحيد والكلمة الازلية المتجسدة التي صارت في الحقيقة لحما
كما يقول الانجيل المقدس من غير ان ينتقل من محل ازلي وليست بمتغيرة
لكنها بفعلين ومشيئتين الهي وانساني بهما يكمل قول اللاهوت وكل واحدة
من الطبيعتين تفعل مع مشاركة صاحبها مشيئتين غير متضادتين ولا
متضارعتين ولكن مع المشيئة الانسية المشيئة الالهية القادرة على
كل شيء هذه امانة هذا المجمع فوضعوها ولعنوا من لعنوه وبين المجمع الخامس
الذي اجتمع فيه السمايه والثلاثون وبين هذا المجمع مايه سنة ثم
كان لهم مجمع عاشر وذلك لما مات الملك وولي ابنه بعده اجتمع اهل
المجمع السادس وزعموا ان اجتماعهم كان على الباطل فجمع الملك مايه وثلا
ثين اسقفا فتبتوا قول اهل المجمع الخمسة ولعنوا من لعنهم وخالفهم وانضرفوا
بين لاعن وملعون فهذه عشرة مجامع كبار من مجامعهم مشهورة اشتملت
على اكثر من اربعة عشر الفا من البتاركة والرهبان كلهم ما بين لاعن
وملعون فهذه حال المتقدمين مع قربهم وما فهم من ايام المسيح
ووجود اخباره فيهم والله ولاة دولتهم والكلمة كلمتهم وعلماؤهم اذ ذاك او
فرما كانوا واهتمامهم بامر دينهم واحتفالهم به كما ترى وهم حيارى تائهون
ضالون مضلون لا يثبت لهم قدم ولا يستقر لهم قرار في الههم بل كل منهم
قد اتخذ الهه هواه وصرح بالكفر والتبري ممن اتبع سواه قد تفرقت
بهم في تيههم والههم الاقاويل وهم كما قال الله تعالى قد ضلوا من قبل
واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل فلو سالت اهل البيت عن دينهم
ومعتقدهم في ربهم وتيههم لاجابك الرجل بجواب والمراة بجواب
وابنه بجواب والخادم بجواب فما ظنك بمن في عصرنا هذا وهم ضالة
للضالين وزبالة الغابرين وثفالة المتحيرين ☩ وقد طال عليهم الامد

الجامع

وبعد عهدهم بالمسيح ودينه وهؤلاء هم الذين اوجبوا الاعداء الرسل
من الفلاسفة والملاحدة ان يتمسكوا بما هم عليه فانهم شرحوا لهم دينهم
الذي جاء به المسيح على هذا الوجه ولا ريب ان هذا دين لا يقبله عاقل
تواصى اولئك بينهم ان يتمسكوا بما هم عليه وسائت ظنونهم بالكتب
والرسل واذا راوا ان ما هم عليه من الاراء اقرب الى المعقول من هذا الدين
وقال لهم هؤلاء الحياري الضلال ان هذا هو الحق الذي جاء به المسيح فتركب من
هذين الظنين الفاسدين اساءة الظن بالرسل واحسان الظن بما هم
عليه **قلت** وهذا القدر قد عرف به النصراني في هذا الفصل الذي
تكلم عليه حيث ذكر ما وقع من الاختلاف بين الاساقفة وان ذلك صار
سبب وقوع عامة الناس في الحيرة حتى لا يدرون ما يختارون لانفسهم
وينفرون عن الكتب المقدسة كما قدمناه من ذعافه **ومعلوم** انه لا يمكنه ان
يدعي ان النصارى صلحوا بعد اولئك الذين وصفهم من اسلافهم الضلال
النابهين بل دينهم الذي هم عليه الان هو دين اولئك الحياري بل انهم
زادوا عليهم بالضلال الكثير واتبعوا اهواءهم وجادلوا في الله بغير علم
ولا هدى ولا كتاب منير فقد سجلوا على انفسهم بمخالفة كتب الله واعرضوا
بذلك بنص فسخها لاصحاب السعير **والمقصود** انهم كما خالفوا في دينهم
منهج الرسل فقد عاندوا ايضا صريح العقل قال ابن القيم وهذا
قال بعض ملوك اهل الهند وقد ذكرت له الملل الثلاث فقال اما
النصارى فان كان محاوبوهم من اهل الملل يحاوبونهم بحكم شرعي
فاني ارى ذلك بحكم عقلي وان كنا لا نرى بحكم عقولنا قتالا ولكن
استثنى هؤلاء القوم من بين جميع العوالم لانهم قصدوا معاندة
العقل وقاوموه مع اهل الشرائع العداوة وحادوا عن المسلك
الذي انتهجه غيرهم من اهل الشرائع فشذوا عن جميع مناهج العالم
الصالحة العقلية والشرعية واعتقدوا كل مستحيل ممكنا وبنوا على
ذلك شريعة لا تؤدي البتة الى صلاح نوع من انواع العالم الا انها

تصير العالم اذا شرع فيها احرق والرشيد سفيها والمحسن مسيئا الا
ان من كان اصل عقيدته التي نشأ عليها الاساءة الى الخالق والنيل
منه ووصفه بضد صفاته الحسنى فاخلق به ان يستسهل الاساءة
الى المخلوق مع ما بلغنا عنهم من الجهل وضعف العقل وقلة الحياء وخساسة
الهمة فهذا وانما ظهر له من باطلهم وضلالهم غيض من فيض وكانوا اذ
ذاك اقرب عهد بالنبوة وقال افلاطون رئيس سدنة الهياكل بمصر و
ليس بافلاطون تلميذ سقراط ذاك اقدم من هذا ظهر بعهد بتهامة ودانا
امره يعلوا على الامم المجاورة له راينا ان نقصد اسطقر البابلي لنعلم ما
عنده ونأخذ برايه فلما اجتمعنا على الخروج من مصر راينا ان نصير الى
اقراطيس يعلمنا وحكيمنا النودعه فلما دخلنا عليه ورأى جمعنا ايقن ان
الهياكل قد دخلت منا فغشي عليهم حينا عشية ظننا انه فارق الحيوة فيها
فبكينا فاوحى الينا ان كفوا عن البكا فتربصنا به حتى هدأ وفتح عينيه
فقال هذا ما كنت انهاكم عنه واحذركم منه انكم غيرتم بكم الطعام
جهلا من ملوككم فخلطوا عليكم فقصدتم البشر من التعظيم بما هو
للخالق وحده **ومن المعلوم** ان هذه الامة اذا تكبت محذورين عظيمين
لا يرضى بهما ذو عقل ولا معرفة احدهما الغلو في المخلوق حتى جعلوه
شريكا للخالق وجزءا منه لها معه ونقوا ان يكون عبدا له والثاني
تنقص الخالق وسبه ورميه بالعظائم حيث زعموا ان الله سبحانه وتعالى
عن قولهم علوا كبيرا نزل من العرش وكوسي عظمته ودخل في فرج امرأة
واقام هناك تسعة اشهر يتخبط بين البول والدم والنجو قد علته
الطبائق المشيمة والرحم والبطن ثم يخرج من حيث دخل رضيعا صغيرا
يمص الثدي ولفظ القط واودع السر يبكي ويجوع ويعطش و
يبول ويتغوط ويحمل على الايدي والعواتق ثم صار الى ان لطمت
اليهود خديه وربطوا يديه وبصقوا في وجهه وصفعوا قفاه
وصلبوه جهرا بين لصين والبسوه اكليلا من الشوك وسمروا

يديه ورجليه وجرعوه اعظم الالام هذا وهو الاله الحق بيده اتقنت العوالم
وهو المعبود المسجود له ولعمر الله ان هذه مسبة لله سبحانه ما سبه بها احد
من البشر قبلهم ولا بعدهم كما قال عن هذا الباطل الذي تكاد السموات يتفطرن
منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي له ذلك
ولكن بني وما ينبغي له ذلك اما تنتهي اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد
الصمد الذي لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد واما تكذيبه اياي
فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق اهون علي من اعادته وقال
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في هذه الامة اهينوهم ولا تظلموهم فقد سبوا
الله مسبة ما سبه اياها احد من البشر ولعمر الله ان عباد الاصنام مع انهم اعداء
الله على الحقيقة ولعداء رسله واشد الكفار كفرا يأنفون ان يصفوا الهتهم
التي يعبدونها من دون الله وهي من الحجارة والحديد والخشب بمثل ما وصف
هذه لامه رب العالمين والله السموات والارض وكان الله في قلوبهم اجل
واعظم من ان يصفوه بذلك او بما يقاربه وانما شراك القوم انهم عبدوا
من دون الله مخلوقا مربوبا محدثا زعموا انها تقربهم اليه زلفى فجعلوا
شيئا من الهتهم كفوا له ولا نظيرا ولا ولدا ولم ينالوا من الرب تعالى ما
نالت منه هذه الامة وعذرهم في ذلك اقبح من قولهم فان اصل معتقدهم
ان ارواح الانبياء كانت في الجحيم في سجن ابليس من عهد آدم الى زمن
المسيح فكان ابراهيم وموسى ونوح وصالح وهود معذبين مسجونين
في النار بسبب خطيئة آدم وكلمة من الشر فكان كلمات احد من بني
آدم اخذه ابليس وسجنه بين نابيه ثم ان الله سبحانه لما اراد رحمتهم
وخلاصهم من العذاب تحيل ابليس بحيلة فنزل عن كرسي عظمته والتحم
ببطن مريم حتى ولد وكبر وصار حيلة لافكاك اعداء اليهود من نفسه حتى
صلبوه وسمروه وتوجوه بالشوك على رأسه فخلص انبياءه ورسله وقدهم
بنفسه ودمه فهرق دمه في رضاه جميع ولد آدم كان ذنبه باقيا في
اعناق جميعهم فخلصهم منه بان مكن اعداءه من صلبه وشمره وصفعه

الامن انكر صلبه او شك فيه وقال ان الاله يجل عن ذلك فهو في سجن ابليس
معذب حتى يقر بذلك وان الهه صلب وصفع وشمر فنسبوا الله الحق سبحانه
الى ما يأنف اسقط الناس ان ينسبه اليه مملوكه وعبده وانما يأنف عباد الا
صنام ان تنسب اليه اوثانهم وكذبوا الله سبحانه في كونه تاب على آدم وغفر له
خطيئته ونسبوه الى اقبح الظلم حيث زعموا انه سجن انبياءه ورسله واولياءه
في الجحيم بسبب خطيئة ابيهم ونسبوه الى غاية العجز حيث عجز ان يجعلهم
بقدرته من غير هذه الحيلة ونسبوه الى غاية النقص حيث سلط اعداءه على
نفسه وابنه ففعلوا ما فعلوا وبالجملة فلا نعلم امة من الامم سبت
ربها ومعبودها والهها بما سبه هذه الامة كما قال عمر انهم سبوا الله مسبة
ما سبه اياها احد من البشر وكان بعض ائمة الاسلام اذا رأى نصرانيا
اغمض عينيه وقال لا استطيع ان املأ عيني ممن سب الهه ومعبوده اقبح
السب وهذا قال عقلاء الملوك ان جهاد هؤلاء واجب شرعا وعقلا
فانهم غاروا على بني آدم مفسدون المعقول والشرائع انتهى وسياتي
شرح مذهبهم في التثليث فيما بعد ان شاء الله تعالى

فصل قال النصراني

والدليل الامر اليه انه قد وجد في جميع البلاد عدة من المسيحيين اسما
واقل من القليل حقا وفعلا ولكن الله لم يكن يغافل عن هذه
الخطايا في قوم قبل من اقصى اطراف افامر كالطوفان جنود لا تحصى
عددا الى بلاد النصارى واذ لم تتعظ الباقون بما لقوا من هؤلاء من القتل
والشدائد لم يكن يوم القيامة والحق اذن بعد له ان يظهر محمدا ويدعوا الناس
الى الشريعة الجديدة التي مع انها مخالفة لدين المسيح مضادة له لكنها
في ظاهر الالفاظ كانت تحاكي سيرة كثير من النصارى وكان اول الدعوة
الى هذه الشريعة العرب الذين على ايديهم فتحت في مدة يسيرة
من الزمان بلاد العرب والشام ومصر وبلاد الفرس ثم ملكت المغرب
والاندلس ايضا واما دولة العرب قد انتقلت الى غيرهم من الامم وبا
لخصوص الاتراك الذين هم امة ذات بأس وقوة في الحرب وهم بعد طول

محاربة المسلمين دعوا الى العهد وقبلوا الشريعة الموافقة لاخلاقهم
بغير امتناع وثقلوا احكام الدولة لانفسهم ثم فتحت على ايديهم بلاد الروم
وبابال سعادتهم في الحروب وصلوا الحدود وبلاد النمسا ايضا و
نقول وبالله التوفيق ان ما ذكره من قلة الدين قبل ظهور محمد صلى الله
عليه وسلم دليل ظاهر وحجة واضحة وبرهان قاطع على نبوته وصحة رسالته
كما اشرنا اليه فيما تقدم وذلك ان سنة الله قد مضت بمقتضى حكمته
وموجب رحمته ان يرسل رسله الى الناس في اوقات فترات الرسالة
واعراض الناس عن ما جاءت به الرسل عذرا منه تعالى الى الخلق
ورحمة بمن اراد به خيرا فلما كانت الشرايع قد اندرست قبل بعثة
محمد صلى الله عليه وسلم لتقادم عهدها وطول زمانها واختلط بسبب
ذلك الحق بالباطل والهدى بالضلال والصدق بالكذب وصار ذلك
سببا لاعراض الخلق عن العبادات وان يقولوا يا الهنا قد عرفنا انه
لابد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فلابد ان يزيح الله
عذرهم ببعثة الرسل اليهم ولهذا قال تعالى في كتابه العزيز يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شئ قدير فخاطب سبحانه
اهل الكتاب من اليهود والنصارى في هذا الابد بانه بعث اليهم رسوله
محمدا صلى الله عليه وسلم على حين فترة من الرسل ودروس من السبل وتغير
الاديان وكثرت عبادة الاوثان والنيران والصلبان فكانت النعمة
به اتم والحاجة اليه اعم فان الفساد قد عم البلاد والطغيان والجهل قد
ظهر في سائر العباد الا قليلا من المتمسكين من دين الانبياء الاقدمين
من بعض احبار اليهود وعباد النصارى والصابئين وقد اخرج
الامام احمد في مسنده ومسلم في صحيحه والنسائي في سننه من
غير وجه عن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن عياض بن حمار المجاشعي
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم فقال في خطبته

ان ربي

ان ربي امرني ان اعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا كل ما انحلته عبادي
حلال واني خلقت عبادي حنفاء كلهم وانهم اتتهم الشياطين فاضلتهم عن دينهم
وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا وان
ان الله سبحانه نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من بني اسرائيل
وقال انما بعثتك لابتليك وابتلي بك وانزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه
نائما ويقظانا وان الله امرني ان احرق قريشا فقلت يا رب اذا يثلغوا راسي فيدعوه خبزة فقال استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نغزك وانفق عليك وابعث جيشا
نبعث خمسة امثاله وقاتل بمن اطاعك من عصاك واهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط موفق
فقور جل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ورجل عفيف فقير ذي
عيال واهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبتغون اهلا
ولا مالا والخائن الذي لا يخفى له طمع وان دق الا خانه والرجل لا يصبح ولا يمسي
الا وهو يخادعك عن اهلك ومالك وذكر البخل او الكذب والشنظير الفاحش والمقصود من ايراد هذا الحديث قوله ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم
عربهم وعجمهم الا بقايا من بني اسرائيل وفي لفظ مسلم الا بقايا من اهل الكتاب فكان
الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى بعث الله رسوله محمدا خاتم النبيين
الذي لا نبي بعده بل هو المعقب لجميعهم فهدى به من الضلالة وانقذ به من الجهالة
الى النور وتركهم على المحجة البيضاء والشريعة الغراء وهذا قال تعالى ان تقولوا ما جاءنا
من بشير ولا نذير اي بشير بالخير ونذير من الشر فقد جاءكم بشير ونذير
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والله على كل شئ قدير فثبت بمقتضى هذه
المقدمة التي قررناها واعترف الخصم بصحة معناها وهو حصول غربة الدين
قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم حتى عند النصارى الذين هم اقرب الناس عهدا
بالكتب والرسل ان بعثة محمد صلى الله عليه وسلم كانت رحمة من الله لخلقه هداهم
بها بعد الضلالة وبصرهم بها من العمى وارشدهم بها من الغي واخرجهم بها من
الظلمات الى النور وهذا هو اللائق بحكمته ورحمته وما مضى في خلقه من سابق
سنته لا ما يقول اعداؤه الكاذبون عليه المكذبون رسوله الزاعمون انه

كاذب عليه متقول على الله ما يزل اليد فانه لا يليق بحكمة الرب الحكيم ورحمة
الملك القادر الرحيم ان يؤيد من هذا شانه اعظم التاييد ويمكن له في
الارض غاية التمكين بل كان اللايق به ان ياخذه ويجعله نكالا وعبرة
للمعتبرين كما قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين فاقام سبحانه في الاية البرهان القاطع على صدق رسوله وانه لم يتقول عليه فيما قاله وانه لو تقول عليه
لما اقره ولعاجله بالاهلاك فان كمال علمه وقدرته وحكمته تابى ان يقر من
تقول عليه وافترى واضل عباده واستباح دماء من كذب به وحريمهم واموالهم
واظهر في الارض الفساد والجور والكذب وخلاف الحق فكيف يليق بالحاكم الحا
كمين وارحم الراحمين وافدر القادرين ان يقدره على ذلك بل كيف يليق به
ان يؤيده وينصره ويعليه ويظهره ويظفره باهل الحق يسفك دماءهم ويسبي اموالهم
واولادهم ونساءهم فثالثا ان الله امرني بذلك وامرني بكل كيف يليق به ا
ن يصدقه بانواع التصديق كلها يصدقه باقراره وبالايات المستلز
مة لصدقه التي دلالتها على التصديق كدلالة التصديق بالقول واظهر ثم
يصدقه بانواعه كلها على اختلافها فكل اية على انفرادها مصدقة له ثم تحصل
باجتماع تلك الايات تصديق فوق تصديق كل اية على انفرادها ثم
يعجز الخلق عن معارضته ثم يصدقه بكلامه وقوله ثم يقيم الدلالة القا
طعة على ان هذا قوله وكلامه فيشهد له باقراره وفعله وقوله فمن اعظم
المحال وابطل الباطل وابين البهتان ان يجوز على احكم الحاكمين ورب العالمين ان
يفعل ذلك بالكاذب المفتري عليه الذي هو شر الخلق على الاطلاق فمن
جوز ذلك على الله ان يفعل هذا بشر خلقه وكذبهم عليه فما امن بالله قط ولا
عرف الله ولا رب العالمين ولا يحسن بنسبة ذلك الى من له مسكة من عقل
وحكمة وحي ومن فعل ذلك فقد ازرى على نفسه ونادى على جهله
وقد ذكر الامام ابو عبد الله بن القيم مناظرة جرت له مع بعض
علماء اهل الكتاب تتعلق بهذا المقام قال قلت له بعد ان افضى في نبوة

النبي صلى الله عليه وسلم الى ان قلت له انكار نبوته يتضمن القدح في رب
العالمين وتنقصه بافبح التنقص فكان الكلام معكم في الرسول والكلام الان
ن في تنزيه الرب تعالى فقال كيف تقول مثال هذا الكلام فقلت له بيانه
على فاسمع الان انتم تزعمون انه لم يكن رسولا وانما كان ملكا قاهرا قهر
الناس بسيفه حتى دانوا له ومكث ثلاثا وعشرين سنة يكذب على الله و
يقول اوحى الي ولم يوح اليه شيء وامرني ولم يامره ونهاني ولم ينهه
وقال الله كذا ولم يقل ذلك واحل كذا وحرم كذا ووجب كذا وكره كذا
وما يحل ذلك ولا حرمه ولا اوجبه ولا كرهه بل هو فعل ذلك من تلقاء نفسه
مفتريا كاذبا على الله وعلى انبيائه وعلى رسله وملائكته ثم مكث من
ذلك عشرين سنة يستعرض عباده يسفك دماءهم ويأخذ اموالهم ويسترق
نساءهم وابناءهم ولا ذنب لهم الا الرد عليه ومخالفته وهو في ذلك كله يقول الله
امرني بذلك ولم يامره ومع ذلك فهو سلم في تبديل اديان الرسل
ونسخ شرائعهم وحل نواميسهم فهذه حاله عندكم فلا يخلو اما ان يكون
الرب تعالى عالما بذلك مطلعا عليه من حاله وما يشاهده او لا فان قلتم
ان ذلك جميعه غائب عن الله لم يعلمه قدحتم في الرب تعالى ونسبتموه
الى الجهل المفرط اذ لم يطلع على هذا الحادث العظيم ولا علمه ولا راه وان
قلتم بل كان يعلمه واطلاعه ومشاهدته قيل لكم فهل كان قادرا
على ان يغير ذلك ويأخذ على يده ويحول بينه وبينه وكان هذا الانسان
هو واتباعه اقدر منه على تنفيذ ارادتهم وان قلتم بل كان قادرا
ولكنه مكنه ونصره وسلطه على الخلق ولم ينصر اولياءه واتباع رسله
فنسبتموه الى اعظم السفه والظلم والاخلال بالحكمة هذا لو كان مخليا بينه
وبين ما فعله فكيف وهو في ذلك كله ناصره ويؤيده ويجيب دعواته
ويهلك من خالفه وكذب به ومصدقه بانواع التصديق كلها ومظهر
الايات على يديه التي لو اجتمع اهل الارض كلهم على ان ياتوا بواحدة
منها لما امكنهم ولعجزوا عن ذلك وكل وقت من الاوقات يحدث له من

والولد وعلى افراده سبحانه بالعبادة وتصديق جميع رسله والايمان
بالملائكة وكتبه والايمان باليوم الاخر والجنة والنار وغير ذلك من اصول
الايمان وقواعد الدين كما قال تعالى في كتابه شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان
اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي
اليه انه لا اله الا انا فاعبدون وفي صحيح البخاري وغيره عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اخوة
لعلات ديننا واحد يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول ارسله
وضمنه كل كتاب انزله واما الشرايع فمختلفة في الاوامر والنواهي فقد يكون
الشيء في هذه الشريعة حراما ثم يحل في الشريعة الاخرى وبالعكس وخفيفا
فيزاد بالشدة في هذه دون هذه وذلك لما لله تعالى في ذلك من الحكمة
البالغة والحجة الدامغة قال سعيد بن ابي عروبة عن قتادة في قول
الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا يقول السنن مختلفة في
التوراة شريعة وفي الانجيل شريعة وفي القرآن شريعة يحل فيها ما يشاء
ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين الذي لا يقبل غيره الموافق
والاخلاص الذي جاءت به الرسل والمقصود ان شريعة محمد
صلى الله عليه وسلم موافقة لدين المسيح في التوحيد واصول الديانات
وان خالفته في بعض ما دون ذلك من الشرايع كما مخالفة لما ابتدعه
ضلال النصارى واخترعوه من قبل انفسهم وبدلوا به دين المسيح من الغلو
في المخلوق حتى انزلوه منزلة الخالق وادعوا انه اله وانه ابن الله تعالى
وتقدس وتنزه عن قولهم علوا كبيرا وكذا ما بدلوه من فروع دين
المسيح عليه السلام كاستحلال الميتة والخنزير واحداث البدع في
العبادات مما نسخوا به دين المسيح عليه السلام فبعث الله رسوله محمدا
صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عبادة الله من عبادة العباد والى متابعة

الاولى اسباب النصر والتمكين والظهور والعلو وكثرة الاتباع امرا خارجا
عن العادة فظهر ان من انكر كونه رسولا نبيا فقد سب الله تعالى وقدح
فيه ونسبه الى الجهل والعجز والسفه قاتله الله ولا ينتقص هذا بالكفار الظلمة الذين
مكنهم في الارض وقتا ما ثم قطع دابرهم وابطل سنتهم ومحى اثارهم ورسومهم
فان اولئك لم يريدوا شيئا من هذا ولا ايدوا ونصروا وظهرت على ايديهم
الايات ولا صدقهم الرب تعالى باقراره ولا بفعاله ولا بقوله بل امرهم كان
بالضد من امر الرسول كفرعون ونمرود واضرابهما ولا ينتقض هذا عن ادعى
النبوة من الكذابين فان حاله كانت بضد حال الرسول ومن حكمة الله
سبحانه ان اخرج مثل هؤلاء الى الوجود ليعلم حال الكذابين وحال الصادقين
فكان ظهورهم من ابين الادلة على صدق الرسل والفرق بين هؤلاء وبينهم
فبضدها تتبين الاشياء والضد يظهر حسنه الضد فعرفة ادلة الباطل
وشبهه من انواع ادلة الحق وبراهينه فلما سمع مني ذلك قال معاذ الله
لا نقول انه ملك ظالم بل نبي كريم من اتبعه فهو من السعداء وكذلك
من اتبع موسى فهو كمن اتبع محمدا قلت له بطل ما تعوهون به بعد
هذا فانكم اذا اقررتم بانه نبي صادق فلا بد من تصديقه في جميع
ما اخبر به وقد علم اتباعه واعداؤه بالضرورة انه دعى الناس كلهم
الى الايمان به واخبر ان من لم يؤمن به فهو مخلد في النار وقاتل من
لم يؤمن به من اهل الكتاب واستباح دماءهم ونساءهم وابناءهم فان كان
ذلك عدوانا منه وجورا لم يكن نبيا وعاد الامر الى القدح في الرب تعالى
وان كان ذلك بامر الله ووحيه لم يسع مخالفته وترك اتباعه ولزم تصديقه
فيما اخبر وطاعته فيما امر انتهى واما قول النصراني انها يعني
شريعة محمد صلى الله عليه وسلم مخالفة لدين المسيح مضادة له فهذا الاطلاق
والعموم باطل فان دين المسيح بل وجميع اديان الرسل من اولهم الى خاتمهم
محمد صلى الله عليه وسلم متفقة في قواعد الدين واصول الايمان من توحيد
الله تعالى ونفي الشرك عنه وتنزيهه عن النقايص المتضمن لنفي الصاحبة

عبده ورسوله المسيح عيسى ابن مريم وتصديقه في بشارته بخاتم الرسل
وسيدهم في الدنيا والاخرة الذي هو اولى الناس به كما ثبت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال اولى الناس بابن مريم في الدنيا والاخرة ليس
بيني وبينه نبي والانبياء اخوة ابناء علات امهاتهم شتى ودينهم واحد اخرجه
البخاري ومسلم واخوة العلات ابناء امهات شتى من رجل واحد
وامامه ذكره النصاوي من وقوع الفتوحات على ايدي العرب ثم
انتقال الدولة الى غيرهم ففي ضمنه دليلان من ادلة الرسالة المحمدية
وعلمان من اعلامها الاول ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بتلك الفتوح
حتى وبلوغ دينه الى المشارق والمغارب وظهور امته على فارس والروم
فوقع ذلك على وفق ما اخبر كما سيأتي ذكر الاحاديث بذلك ان شاء الله
تعالى فكان ذلك دليلا على صدقه الثاني انه صلى الله عليه وسلم انذر بانتقال الامر من قريش الذين هم سادة العرب وقادتها اذا وقع منهم الخلل
في اقامة الدين كما اخرج البخاري في صحيحه وغيره عن معاوية بن ابي
سفيان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا الامر في
قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه في النار ما اقاموا الدين
وهذا يدل على انهم اذا لم يقيموا الدين يخرج الامر عنهم واخرج الطبراني
عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الامراء من قريش
ما اقاموا ثلاثا الحديث اخرجه الطيالسي والبزار والبخاري في التاريخ
من طريق سعد بن ابراهيم عن انس بلفظ ما اذا حكموا فعدلوا
الحديث وله طرق متعددة واخرج الامام احمد بن حنبل وابو يعلى
الموصلي من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال يا معشر قريش انكم اهل هذا الامر ما لم تحدثوا فاذا غيرتم
بعث الله عليكم من يحكم كما يحلى القضيب قال الحافظ ابن حجر ورجاله ثقات
واخرج الشافعي والبيهقي من طريقه بسند صحيح الى عطاء بن يسار
يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقريش انتم اولى بهذا الامر

مكتوم

مكتتم على الحق الا ان تعدلوا عنه فتلحون كما تلحى هذه الجريدة فقد دلت
هذه الاحاديث وما ورد في معناها من منطوق او مفهوم على خروج
الامر عن قريش الذين هم ائمة العرب والعرب لهم تبع وان ذلك انما يكون
اذا وقع منهم التغير ولم يستقيموا على السنن القديم وانه يتقدم ذلك ما
هذ ودوابه من تسليط من يؤذيهم عليهم قال ابن حجر فوجد ذلك
في الدولة العباسية بغلبة موالي بحيث صاروا امهم كالصبي المحجور
عليه يتمتع بلذاته ويباشر الامور غيره ثم اشتد الخطب فغلب عليهم
الديلم فضايقوهم في كل شيء حتى لم يبق للخليفة الا الخطبة واقتسم
المتغلبون الممالك في جميع الاقاليم ثم طرأ عليهم طائفة بعد طائفة
حتى انتزع الامر منهم في جميع الاقطار ولم يبق للخليفة الا مجرد الاسم في
بعض الامصار انتهى وهذا من الذي نالته العرب من العز
والظهور والغلبة انما حصل لهم ببركة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
وطاعتهم له كما قال الله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم
الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون
بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون وقال النبي صلى
الله عليه وسلم فيما صح عنه ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم
فيها فناظر كيف تعملون فلما كانت الخلفاء على الاستقامة والسداد
في امر الدين كان لهم في الارض غاية التمكين تصديقا لما اخبر الصادق
الامين فلما غيروا ومخالفة بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم وقع بهم
ما هددوا به حيث كانت نعم الله عليهم اعظم منها على غيرهم وكان
الواجب عليهم من شكرها بحسب ما خصوا به منها فكان في اول الامر
واخره براهين ساطعة وادلة قاطعة على ان محمدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم من جهة وقوع ما اخبر به مطابقا لخبره ومن جهة اقتران
العز والظهور والسعادة باتباع سنته واقتران الذل والخذلان

بترك امره ومخالفته فقد تظافرت حجج الله وبيناته على صدق
هذا الرسول الكريم في كل عصر على ممر الدهور والازمان ثم ان الفتوحات التي حصلت على ايدي غير العرب من الامم الذين دخلوا في
الاسلام وانتموا الى الملة وقاموا بجهاد الاعداء المضادين لها
هي من اثار الوعد الصادق من التمكين لهذه الملة الاسلامية في
الارض وظهور دينهم على غيره من الاديان وانتصارهم على عبدة
الاوثان والصلبان فلعسر في خروج الامم عن العرب في بعض الازمان
وبعض الاقطار الى غيرهم من هذه الامة ما يقتضي نقصا في الدين وهنا ما يقتضي صح
في الملة فان كل خير حصل لهذه الامة من العرب وغير العرب فهو من بركة اتباع
هذا النبي صلى الله عليه وسلم والانتماء الى الملة **فصل** واما قول الضراب فصل
وهم يعني الاتراك بعد طول محاربة للمسلمين دعوا الى العهد وقبلوا
الشريعة الموافقة لاخلاقهم بعد امتناع ونقلوا حكم الدولة لانفسهم الى
اخره فهذا فيه نوعان من الخطاء الاول منهما ما دل عليه كلامه من ان
الاتراك الذين حاربوا المسلمين اولا هم الذين كانت لهم الدولة اخرا وهذا
باطل وجهل بالدول واخبارها فان الاتراك الذين حاربوا المسلمين في
الحوادث المشهورة هم التتار الذين خرجوا من اطراف بادية الصين
فافسدوا في الارض وابادوا العباد والبلاد وكانت منهم الحادثة العظمى
على بغداد وبها زالت دولة بني العباس من بغداد وكان رئيسهم جنكزخان
ثم هولاكو اخوه بعده ووصلوا الى حلب واطراف الشام فالتقوا هناك بالعسكر
المصري فهزمهم الله هزيمة في سنة ٦٥٨ قال السخاوي المؤرخ
ثم لم يزل لهم بقايا تخرجون الى ان كان امرهم تيمر لنك الاعرج الذي
خرج سنة ٧٧٠ وبالجملة فلم يبق لهم على المسلمين سلطنة ولم يستقر وبالجملة
لهم دولة واما الاتراك كانت لهم سلطنة على المسلمين فهم طوائف واول الذين صح
حدوثهم في دول الاسلام ايام المعتصم العباسي لكون السبي كثر منهم
اذ ذاك فاستكثر المعتصم المماليك حتى كان اكثر عسكره منهم ثم غلبوا

على

على الملك كما اشرنا اليه قريبا حتى قتلوا ابن سيدهم المتوكل بن المعتصم ثم
خالطت المماليك بنو ابويه ملوك الديلم ثم كانت المماليك السلطانية من الترك
ايضا ثم غلبت على الممالك السبكتكين غلام سبكتكين غلام سبكتكين غلام الدولة ابن بويه
الديلمي ثم السلجوقي فامتدت مماليكهم من خراسان الى العراق والشام
والروم ثم كانت حادثة التتار التي زالت بها الخلافة من بغداد ثم
كانت بقايا اتباع السلجوقي بالشام ثم كان اتباع الزنكي بنو ايوب الاتراك صح
الاكراد فاستكثر بنو ايوب من المماليك فغلبوهم بالديار المصرية والشامية
وكان من هؤلاء الاتراك السلطان الملك المظفر قطز الذي خرج بالعساكر
المصرية الى ملاقات التتار بالشام في الواقعة التي اشرنا اليها ثم كانت
بعد الدولة لجاركسية وكانوا مماليك للاتراك المذكورين استكثروا
منهم حتى غلبوهم على الممالك وهم الذين اخرجهم السلطان الغوري وكانوا
ايضا من الاتراك فهذه دول الاتراك المشهورة في الاسلام لم يكن
ملكهم ودولتهم الا بالطريق التي ذكرناها واما التتار فهم وان كان قد
دخل في الاسلام منهم من شاء الله فلم يبق لهم على المسلمين دولة ولم
يستقر لهم سلطنة بل كان اخرهم التمار والبوار ومنشأ غلط الضراب
هو من جهة ما يقال ان سلاطين بني عثمان كانوا في الاصل من التتار
كما هو احد الاقوال في نسبهم وهذا وان كان هو الاصح في نسب عثمان
البعض لكن دولتهم لم تنشأ من جهة التتار ولا كان لهم بها تعلق وانما كان
ابتداؤها في اطراف الروم مما يلي الشام وسبب ذلك ان السلطان
عثمان وهو الذي ينتسبون اليه كان هو ابوهم في خدمة السلطان
علاء الدين السلجوقي في ملك تلك الناحية فرقت بهما الاحوال في
خدمته فتوفي السلطان السلجوقي وعثمان في خدمته ومن عثمان
دولته ولم يكن بعد السلطان من اهل بيته من يقوم مقامه فاتفق
العسكر على تولية عثمان وتقديمه فتم له الامر وولاده من بعده
فافتتحوا الديار الرومية واستقرت بهم سلطنتهم ثم اخذوا ممالك

الشام ومصر وحرمين من الجزيرة فيما بعد العشرين وتسع مائة الفوج
الثاني قوله وقبلوا الشريعة للموافقة الاخلاقهم بغير امتناع فتحت هذا
الكلام تمويه باطل وهو خطاء ظاهر ثم هو مناقض لما ياتي من كلامه ان
الشريعة الاسلامية متعلقة بالكليد بالسيف والقتال ولكنه لما سمع
بدخول من دخل في الاسلام من التتار بغير اكراه ولا قتال حاول ان يجعل
ذلك ليس من باب الاختيار الذي دعاهم اليه ما عرفوه بعقولهم من صحة
دين الاسلام وشرفه حتى اختاروه على دينهم وعلى اليهودية والنصرانية
فاحال ذلك على موافقة اخلاقهم ومن المعلوم ان من نشأ على دين
وجد عليه اباءه واسلافه والمعظمين عنده فانه لا يدعه ويؤثر غيره
عليه الا ان يحمله على ذلك رغبة او رهبة او يدل العقل على فضيلة
ما اختاره فاما خلقة الموافق لهواه فانه لا يدعوه الى اختيار دين غير
دين اباءه لا سيما والدين الذي اختاره يتضمن من التكاليف الشاقة على
الانفس ما هو مضاد لطوى النفوس ولا ريب ان الذين دخلوا في
الاسلام من اولئك التتار وقد كانوا اهل شوكة ودولة لم يكن
لهم داع الى ذلك من رغبة ولا رهبة وانما دخلوا في الاسلام لما راوا
من شرفه وفضله بعد مخالطة المسلمين وهذا يدل على معنى ما اشرنا
اليه فيما تقدم وياتي ايضاحه فيما بعد ان شاء الله تعالى ومن الجملة
في شرع الجهاد ليس اجبار الناس على الدخول في الاسلام بالظاهر
دون الباطن وانما سيف الجهاد منفذ الشريعة موصلها الى سماع المكلفين
حتى يصغوا اليها فيعلموا انها الحق فيعملوا بها باطنا وظاهرا وهكذا كان
هؤلاء القوم خالطوا المسلمين وسمعوا القرآن ورأوا محاسن الاسلام
دعتهم عقولهم الى استحسانه من غير داع آخر ولا رغبة ولا رهبة مع ان
اسلام اكثرهم ضعيف من جهة تساهلهم في فعل المأمورات وترك
المحظورات كما ذكره العلماء باحوالهم واعلم ان السيد النبوية
قد اشارت الى قتال الترك وفتنتهم فهو من الاعلام الظاهرة على

نبوة

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر
وحتى تقاتلوا قوما كان وجوههم المجان المطرقة صغار الاعين ذلف الانوف
اخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وفي رواية حتى تقاتلوا الترك صغار الا
عين حمر الوجوه فطس الانوف كان وجوههم المجان المطرقة وفي رواية
البخاري لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزا وكرمان من الاعاجم الوجوه
فطس الانوف صغار الاعين وجوههم كالمجان المطرقة نعالهم الشعر وفي لفظ
عراض الوجوه وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه اخبر بان الترك ستغلب على
العرب حتى تلحقها بعنابات الشيح والقيصوم وورد عنه في حديث اتركوا
الترك ما تركوكم فان اول من سلب امتي ملكها بنو قنطوراء فقد ظهر صدق
ما اخبر به صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة كغيرها من المغيبات التي اطلعه الله
عليها فوقعت على وفق ما اخبر المقام الثاني قال النصراني فصل في الرد
على المسلمين بجملة ما خوذة من الكتب المقدسة التي للهود والنصارى
وانها لم تتغير من المشهور المجمع عليه عند المسلمين وقد شهد له محمد ان عيسى
بعث موسى ويشوع الذي اسمه في العربية يوشع وان الذين دعوا الناس
في اول الامر الى قبول شريعة يشوع كانوا من اهل الصلاح ولكن مع ذلك
نوجد في القرآن اخبار عدة مخالفة لما اتى به موسى وتلاميذ
يشوع ومن جملة تلك الاخبار تقتصر على ما اوتي به في امر يشوع فاما
الذي حقره له وتلاميذه باجماع منهم كلهم انه صلب ومات وفي اليوم
الثالث قام من بين الاموات وشاهده عدة من الناس واما المسلمون
يزعمون بخلاف ذلك انه رفع الى السماء حيا وان المصلوب هو الشخص
المشبه به خدعوه اليهود انه هو وانما يشوع فلم يصلب ولم يقتل ولا
سبيل الى فك هذا الاعتراض الان الا ان يقولوا وهو قولهم ان كتب موسى
وتلاميذ يشوع فلم تبق على ما كانت عليه اولا بل انها تغيرت وقولهم
هذا مما ابطلناه فيما تقدم وانما قال احداث القرآن قد تغير لانكر
المسلمون ذلك وقالوا ان في انكارهم ذلك ما يكفي ردا على من يقول انه دل بان

ما لم يكن

للنجدة "يستدل بها على صحة قوله مع انهم لا يمكنهم ان يستدلوا على صحة كتابهم بما يعادل
دلالتنا على صحة كتابنا من حيث انتشار عدة نسخ منذ اول الامر في جميع الآفاق
لا كمال كتابهم بلسان واحد بل بلغات عدة وانها محفوظة عند الفرق المختلفة
هذا كلامه **والجواب عنه من وجوه** الاول ان هذا الاعتراض وامثاله
نظير اعتراض اليهود على نبوة عيسى عليه السلام واحتجاجهم بأشياء من التوراة التي
بايديهم باعتراضهم في احلال السبت بان في التوراة الامر بالتمسك بالسبت مادامت
السموات والارض وكاعتراضهم بما في التوراة من وصف زمن المسيح
مثل انه سيسكن الذئب مع الجمل والنمر مع الجدي والاسد مع الضان وان الطفل
يلاعب الحية وان جبل الله سيعلو على سائر الجبال وان غير اليهود من الامم سيأتون
ويسجدون الله فيه الى غير ذلك من الاعتراضات اليهود على نبوة عيسى عليه السلام
وليس عند النصارى جواب عن اعتراضهم الا وعند المسلمين من الاجوبة عن
اعتراض الطائفتين ما هو اظهر واوضح كما سيأتي ما يتيسر من ذلك مما يتعلق بغرضنا
ان شاء الله تعالى **الوجه الثاني** ان المعجزات الظاهرة والادلة القاطعة قد قامت
على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبعد ثبوت المعجزات فلا التفات الى مثل هذه الا
عتراضات كما قد اجاب بذلك النصراني عن شبهات اليهود فلا ينبغي الا التسليم لخبر
من قامت المعجزة على صدقه فلا تثبت بالادلة القاطعة صدق محمد صلى الله عليه وسلم
في خبره عن الله علم قطعا كذب كل خبر يخالف ما جاء به يوضح ذلك **الوجه الثالث**
وهو ان دعوى النصارى قتل المسيح وصلبه مستندة الى اخبار من وضع تلك
الكتب التي بايدي النصارى وهي غير موثوق بها لما سنبينه من امرها ولانها كانت
في اول الامر بايدي عدد قليل لا يستبعد تواطؤهم على الكذب والتبديل والتغيير
فلا يعارض بها خبر من جاء بالمعجزات التي لا مرية لها انه اخبر عما اخبر به عن
وحي من الله وقد قال الله تعالى في الكتاب الذي انزله عليه فيما ذم به اليهود و
بكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول
الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك
منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان

الله عزيزا حكيما وكان من خبر اليهود انهم لما بعث الله عيسى بالبينات والهدى
حسدوه على ما اتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات التي منها انه يبرئ الاكمه
والابرص ويحيي الموتى باذن الله عز وجل ويصور من الطين طيرا ثم ينفخ فيه فيكون
طيرا بيشاهد طيرانه باذن الله عز وجل الى غير ذلك من المعجزات التي اكرمه
الله بها فلجوا هاعلى يديه ومع هذا كذبوه وخالفوه ورموه بالعظائم كما
قال تعالى في الاية وقولهم على مريم بهتانا عظيما قال ابن ابي طلحة عن ابن عباس
انهم رموها بالزنا وكذا قال غير واحد من السلف وهو ظاهر من الاية فجعلوا
زانية قد حملت ولدها من ذلك فراد بعضهم وهي حايض وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن
مريم رسول الله اي هذا الذي يدعي لنفسه هذا المنصب وقد قتلناه وهذا
من باب التهكم والاستهزاء كقول المشركين يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
اي يا ذا الذي يدعي لنفسه ذلك انك لمجنون **والمقصود** ان اليهود
اذوا ابني الله عليه السلام بكل ممكن حتى جعل لا يساكنهم في بلد بل كان يكثر السياحة
هو وامه عليها السلام حتى كان اخر ذلك ان سعوا الى ملك دمشق في ذلك
الزمان وكان رجلا مشركا من عبدة الكواكب من اليونان وانهوا اليه ان بيت
المقدس رجلا يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه فغضب الملك
وكتب الى نايب بيت المقدس ان يحتاط على هذا المذكور ويصلبه ويضع الشوك
على رأسه ويكف اذاه عن الناس فامتثل والي بيت المقدس ذلك وذهب هو
وطائفة من اليهود الى المنزل الذي فيه عيسى عليه السلام وهو في جماعة اثني عشر
وثلاثة عشر وقيل سبعة نفرا وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر اقبال ليلة
السبت فحصروه فلما احس بهم وانه لا محالة من دخولهم اليه واخروجه اليهم قال لا
صحابه ايكم يلقى عليه شبهي وهو رفيقي في الجنة فابتدر لذلك اشاب منهم فاستصغره
عن ذلك فاعادها ثانية فكل ذلك لا ينتدب الا ذلك الشاب فقال انت هو والقى عليه
شبه عيسى حتى كانه هو وفتحت روزنة في سقف البيت واخذت عيسى عليه السلام
سنة من النوم فرفع الى السماء وهو كذلك كما قال تعالى اني متوفيك ورافعك الي
ومطهرك من الذين كفروا فلما دخل اولئك النفر واروا ذلك الشاب ظنوا انه

عيسى عليه السلام فاخذوه في الليل وصلبوه ووضعوا الشوك على راسه
واظهر اليهود انهم قتلوه ونجوا بذلك وسلم طوائف من النصارى ذلك بجهلهم
وقلة عقلهم ماعدا من كان في بيت المسيح فانهم شاهدوا رفعه واما الباقون
فانهم ظنوا كما ظن اليهود ان المصلوب هو المسيح ابن مريم حتى ذكروا ان مريم
جلست تحت ذلك المصلوب وبكت ويقال انه خاطبها فالله اعلم وهذا
كله امتحان من الله تعالى لعباده طالما في ذلك من الحكمة البالغة وقد اوضح الله
الامر وجلاه وبينه واظهره في القرآن التي انزله على رسوله المؤيد بالمعجزات
والبينات والدلائل الواضحات فقال تعالى وهو اصدق القائلين ورب العالمين
المطلع على السرائر والظائر الذي يعلم السر في السموات والارض العالم بما كان
ويكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
اي راوا شبهه فظنوا انه اياه وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم
به من علم الا اتباع الظن يعني من ادعا قتله من اليهود ومن سلمه لهم من
جهلة النصارى كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلالة **قال** ابن ابي
حاتم حدثنا احمد بن سنان حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن المنهال بن عمرو
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما اراد الله ان يرفع عيسى الى السماء خرج
عيسى على اصحابه وفي البيت اثنى عشر رجلا من الحواريين يعني مخرج عليهم من
عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال ان منكم من يكفر بي اثنى عشر مرة
ثم قال ايكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي فقام
شاب من احدثهم سنا فقال انا فقال له اجلس ثم اعاد عليهم فقام الشاب
فقال انا فقال اجلس ثم اعاد عليهم فقام الشاب فقال انا فقال انت هو ذاك
فالقي عليه شبهة عيسى ورفع عيسى من روزنة في البيت الى السماء وجاء
الطلب من اليهود فاخذوا الشبيه فقتلوه ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنى عشر
مرة من بعد ان آمن به وافترقوا ثلاث فرق فقالت طائفة كان الله فينا ما
شاء ثم صعد الى السماء وهؤلاء اليعقوبية وقالت فرقة كان الله عبد الله
ورسوله ثم رفع اليه وهؤلاء المسلمون وقالت طائفة هو ابن الله كان فينا

ما شاء

ما شاء ثم رفع اليه فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل
الاسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا اسناد صحيح الى
ابن عباس قاله الحافظ ابن كثير قال ورواه النسائي عن ابي كريب عن ابي معاوية
نحوه وكذا ذكر غير واحد من السلف انه قال ايكم يلقى عليه شبهي فيقتل
مكاني وهو رفيقي في الجنة والقصة طرق كثيرة ملخص الصحيح منها ما قدمناه
ثم قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة
يكون عليهم شهيدا قال ابن عباس في قوله قبل موته قال قبل موت عيسى
قال العوفي عند نزول عيسى لا يبقى احد من اهل الكتاب الا امن به وقيل قبل
موت الكتابي والصحيح القول الاول لان المقصود من سياق الاية كما قال
ابن كثير تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من
سلم لهم ذلك من النصارى فاخبر الله انه لم يكن الامر كذلك وانما شبه
لهم فقتلوا الشبيه وانه رفعه اليهم اليه وانه باق حي والله سينزل قبل
يوم القيمة كما دلت عليه الاحاديث المتواترة فيقتل مسيح الضلالة ويكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية اي لا يقبلها من احد بل لا يقبل الا الاسلام
او السيف واخرت هذه الاية الكريمة انه مؤمن به جميع اهل الكتاب
حينئذ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم ولهذا قال تعالى ويوم القيمة
يكون عليهم شهيدا اي باعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه وبعد نزوله
الى الارض وفي الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل عيسى بن مريم حكما
عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال وتكون
السجدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من اهل
الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا وروى
الامام احمد في مسنده وابو داود في سننه وغيرهما عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الانبياء اخوة العلاة امهاتهم شتى ودينهم
واحد واني اولى الناس بعيسى بن مريم لانه لم يكن بيني وبينه

وانه تانزل فاذا رايتموه فاعرفوه رجل مربوع الى الحمرة والبياض عليه
ثوبان مخضران كان رئسه يقطر وان لم يصبه بلل فيقذف الصليب ويقتل
الخنزير ويدعو الناس الى الاسلام ويهلك في زمانه المسيح الدجال ثم
تقع الامنة في الارض ثم ترتع الاسود مع الابل والنمار مع البقر والذيب
مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات لاتضرهم فيمكث في الارض اربعين
سنة ثم يتوفى ويصلى عليه للسلمون والاحاديث في هذا المعنى والاخبار
بنزول عيسى كثيرة مقطوع بها وهذا كله معلوم من نعته عند اهل الكتاب
لكن النصارى ظنوا ان نزوله ومجيئه مرة اخرى انما يكون يوم القيمة
فغلطوا في مجيئه الثاني كما غلطوا في مجيئه الاول حيث ظنوا انه الله
واليهود انكروا مجيئه الاول وظنوا انه غير المبشر به وصاروا ينتظرون
غيره وانما بعث اليهم اولا فكذبوه فجاء القران بالحق من امره وبقاء حياته
في السماء وانه سينزل الى الارض قبل يوم القيمة ليكذب هولاء من
اليهود والنصارى الذين تباينت فيهم اقوالهم وخرجوا عن الحق فتقمصته
اليهود وبهوه بالعظائم واطراه النصارى فادعوا فيه الربوبية تعالى الله
عن قول هولاء وهولاء علوا كبيرا والنصارى طالما يومنوا بنزوله قبل
يوم القيمة لم ينفصلوا عن شبهة اليهود المأخوذة من نعت زمان
المسيح المذكور في التوراة كما اشرنا اليه قريبا واضطروا الى التاويل
ذلك الوصف على المجاز البعيد الذي يعلم كل واحد غير مراد قال شيخ
الاسلام ابو العباس والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على ان
الانبياء انذرت بالمسيح الدجال وعلى ان الانبياء بشروا بالمسيح من ولد
داود ومتفقون على ان مسيح الضلالة له ايات وعلى ان مسيح الهدى
سياتي ايضا ثم المسلمون والنصارى متفقون على انه عيسى واليهود
تنكر ذلك مع اقرارهم انه من ولد داود قالوا لانه لو جاء من به الامم
كلها والنصارى مقرون بانه بعث وانه سياتي لكن يقولون يوم
القيمة ليجزي الناس باعمالهم واما المسلمون فامنوا بما اخبرت به الانبياء

على وجهه وهو موافق لما اخبر به خاتم الرسل في الاحاديث المشار اليها الو
جه الرابع ما اعترف به النصراني في المقالة الاولى من كتابه من حصول الا
ختلاف بين النصارى في صحة بعض هذه الكتب التي هي عمدتهم في الدين بزعمهم
وانهم في اول الامر شاكون فيها كرسالة بطرس الثانية ورسالتي يعقوب ويهودا
والرسالتان المنسوبتان ليوحنا اي الرؤيا والرسالة الى العبرانيين ولم يجب
النصراني عن هذا الايراد الا بانها كانت مقبولة في بعض الكنائس ثم بعد ذلك
حصل اتفاق النصارى عليها ولا ريب عند كل ذي لب صحيح ان هذا يمنع الثقة
بشيء من كتبهم حيث قبلوا ما كان مشكوكا فيه عندا ئمتهم او مردودا مكذبا به
عندهم واليه فالحقوه بانجيل المسيح الذي زعموا انه لم يغير ولم يبدل فان مثل
هذا لا يفيد ثقات المؤرخين ان يضعوا في كتبهم ما يكون مستندا الى الشك
وعدم الثقة فكيف بكتب الشريعة المنسوبة الى الانبياء المجعولة عمدة في الدين
فهذا اوضح دليل واظهر برهان على جهالة الامة الضالة بالعلم الصحيح المؤرخ
وعن المسيح عليه السلام بل قد التبس عليهم الصدق بالكذب والصحيح بالسقيم لانه
ليس لهم من الحفاظ المتقنين الذين ينفون عن دين الله تحريف الغالين وا
نتحال المبطلين كما لهذه الامة الاسلامية من الائمة العلماء والسادة الاتقياء
والبررة النجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه
وبينوا صحيحه من حسنه من ضعيفه ومنكره وموضوعه ومتروكه ومكذوب به
وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك من اصناف الرجال
كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي خاتم الرسل وسيد البشر صلى الله
عليه وسلم ان ينسب اليه كذب او يحدث عنه بما ليس عنه فضلا عن عناية تهم
بنقل القران وحفظه حتى لا يشك في حرف من حروفه انه من عند الله فرضي
الله عنهم وارضاهم وجعل جنة الفردوس ماواهم وقد فعل الوجه الخامس
ان هذه الكتب كما يدل عليه صريح كلام النصراني لم تتلق الامن صحف و
جدت بايدي النصارى لا كحال المسلمين في تلقي صحفهم فانها تلقاها الثقات المتقنون
قرنا بعد قرن حتى لم يقع اختلاف بينهم في حرف واحد انه من القران

ولا كنقلهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم واخباره وسيرته وسيرة
اصحابه حيث رووذلك كله بالاسانيد الصحيحة الموثوق برجالها المعروفين
بالصدق والامانة وتمام الثقة وميزوا الصحيح من المعلول والمجروح من
المقبول كما قال ابو العباس الدغولي سمعت محمد بن حاتم بن المظفر يقول
ان الله تعالى قد اكرم هذه الامة وشرفها وفضلها بالاسناد وليس لاحد
من الامم كلها قديمها وحديثها اسناد اغاهي صحف في ايديهم وقد خلطوا بكتبهم
اخبارهم فليس عندهم بين ما نزل من التوراة والانجيل وبين ما
الحقوه بكتبهم من الاخبار التي اخذوها عن غير الثقات وهذه الامة الشريفة
زادها الله شرفا ينبيها تمانتض الحديث عن الثقة المعروف في زمانه
والامانة عن مثله حتى تنتهي اخبارهم ثم يبحثون اشد البحث حتى يعرفوا
الاحفظ فالاحفظ والاضبط فالاضبط والاطول فالاطول مجالسة لمن فوقه
من هو اقصر مجالسة ثم يكتبون الحديث الواحد من عشرين وجها فاكثر حتى
هذبوه من الغلط والزلل وضبطوا حروفه وعدوه عدا فهذا من فضل
الله على هذه الامة فنستوهب الله تعالى شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه
وقال ابو حاتم الرازي لم يكن في امة من الامم منذ خلق الله ادم
ائمة يحفظون اثار الرسل الا في هذه الامة فقال له رجل يا ابا حاتم زيما
روواحد شيئا لا اصل له فقال علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم الوجه
السابع ان الاختلاف والتناقض والاخبار باشياء على غير ما هي عليه وقع
في هذه الكتب فكان ذلك دليلا على التغير والتبديل فان ما كان من عند غير
لا يكون فيه اختلاف ولا تناقض من امثلة ذلك ما وقع في الانجيل متى
وهو عند النصارى اصح الاناجيل وعمدتها فانه بعد ان ذكر فيه ان
الذي دل اليهود على عيسى عليه السلام لوالده من الفضة ندم وطرح الفضة
في الهيكل عند اليهود ومضى وخنق نفسه وان اليهود قالوا هذه
الفضة لا تحل لنا فابتاعوا بها حقل الفخار مقبرة للغرباء قال حينئذ
تم ما قيل في ارميا النبي القائل واخذوا الثلاثين فضة ثمن المثمن

الذي

الذي اثمنوه من بني اسرائيل وجعلوها لحقل الفخار كما امرني به الرب
انتهى وهذا المذكور لا وجود له في صحيفة ارميا التي بايدي اليهود كما
حقق ذلك من له خبرة بكتبهم وحينئذ فلا يخلو اما ان يكون هذا الكلام
لا وجود له في صحيفة ارميا اصلا فيكون نسبته اليها من الزيادة في
الانجيل متى وان يكون قد نقص وحذف من صحيفة ارميا فيكون من
تحريفا ما في العهد العتيق بالنقصان او في الجديد بالزيادة وهو المطلوب
وعندهم عايدل على التحريف اشياء كثيرة ولم ينفصلوا عن هذا الايراد الا
باحتمال ان يكون ذلك من غلط الكاتب وحينئذ فنقول اذا احتمل ان
يكون من غلط الكاتب ولم يكن في النصارى اذ ذاك من يبين الغلط
ويبقى التحريف ويصح التصحيف دل على انهم قبلوا من ذلك الكاتب ما القاه اليهم
من هذه الكتب من غير علم بصحتها عمن نسبت اليه فسقطت بها يقرر
ذلك الوجه السابع وهو ان هذه الكتب طالما تتلقى الامم الصحف التي
وصفناها كما اعترف به الخصم وليست بيد من هو معلوم الثقة والامانة
وما تنقل من طريق اهل التواتر الذي ينفي عنها طرق التهمة لم يصح ان
يستند اليها في دين الله وشرعه فكيف يعارض بها ما جاء به صاحب المعجزات
القاطعة الذي ظهرت ادلة صدقه اعظم من ظهور الشمس فقد علم يقينا ان
كل ما خالف من دلالة المعجزة على صدقه فهو كذب مردود اما احتج به النصراني
من انتشار نسخ هذه الكتب في الافاق فهو غير مفيد المعلم بصحة اصلها
لانا نقول لما خالف بعض ما فيها خبر صاحب المعجزة علمنا ان التغير قد حصل
فيها قبل الانتشار المانع من حصول التواطئ على الكذب وهذا بخلاف
ما وقع في نقل القران العزيز فان الله تعالى وله الحمد قيض له من اسباب
الحفظ والضبط ما لم يقع نظيره لغيره من الكتب حتى حصل تمام اليقين
الذي لا يخالجه شك ولا يرد عليه شبهة ان القران الذي تضمنه المصحف
هو القران الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وهذا مما يعترف به الموافق
والمخالف والقول بخلاف ذلك قدح في الضروريات لانه من المعلوم

النقصان فقط ثبت التحريف

بالتواتر الذي لامرية فيه ان الصحابة تلقوه عن نبيهم وكتبوه في حياته
وان لم يكن اذ ذاك مجموعا في مصحف واحد وايضا فقد حفظه كله عن
ظهر قلب جماعة من الصحابه تلقوه من فم محمد صلى الله عليه وسلم من اوله
الى اخره وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه متوافرون فأولهم
خليفه رسول الله ابا بكر الصديق ان يجمع القران في المصحف حدثه العهد
بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه متوافرون فجمعوه بحضورهم علمائهم
وسابقهم من المهاجرين والانصار الذين عرفوا كل اية منه وكل سورة
متى نزلت وفي اي شئ نزلت وتلقوه غضا طريا عن نبيهم صلى الله عليه وسلم
واتقنوه علما وعملا كما قال الاعمش عن ابي وائل عن عبد الله ابن مسعود قال
كان الرجل منا اذا تعلم عشر ايات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل
بهن وقال ابو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرئوننا انهم كانوا
يستقرئون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذا تعلموا عشر ايات لم
يخلفوهن حتى يعلموا بما فيهن من العلم قال فتعلمنا القران والعمل جميعا والمقصود
ان القران نقل بالتواتر عن محمد صلى الله عليه وسلم من اول الامر حتى لا
يتطرق الشك الى حرف واحد منه انه من القران ولم يقيض من قبلنا
من حفظ الكتب وضبطها ما يقارب ذلك فانا قد دللنا على وقوع التحريف
والتصحيف في كتاب النصارى بما لا يمكنهم دفعه فضلا عما اعترفوا به
من الشك في بعضها من اصلها واما كتابنا فان احدا لو حاول ان يغير حرفا
او نقطة منه لقال له اهل الدنيا هذا كذب حتى ان الشيخ للمهيب لو انفق
له تغيير في حرف منه لقال الصبيان كلهم اخطات ايها الشيخ وصوابه
كذا ولم يتفق لشئ من الكتب العزيز الذي صانه الله عن التحريف
وحفظه عن التغيير والتصحيف مع ان دواعي الملحدة واليهود والنصارى
متوفره على افساده وابطاله وانقض الان ما يزيف على الف وماتين
واربعين سنة من اول نزوله وهو يحمد الله في زيادة من الحفظ

الوجه الثامن ان دعوى النصارى قتل المسيح وصلبه يناقض

دعواهم ربوبيته حتى صاروا اضحوكة للسفهاء ومثلة عند العقلاء في
جمعهم بين النقيضين وقد قال ابو العلاء المعري عجبا للمسيح بين الضاري
والى اي والد نسبوه اسلموه الى اليهود وقالوا انهم بعد قتله صلبوه فان
كان ما يقولون حقا فاسلوهم في اين كان ابوه فان كان ساخطا باذاهم
فاعبدوهم لانهم غلبوه هذا وقد زعموا ان كتابهم الذي بايديهم تضمن هذين
الامرين الباطلين وضلال فحيث زعموا ان كتابهم تضمن هذا المحال علمنا
قطعا وقوع التغيير والتبديل فيه وايضا فدعوى الالهية للمخلوق
محال في العقل على انفرادها واما عدم قتله وصلبه فانا علمناه بالسمع
الوجه التاسع ان القران جاء بموافقة التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب
الالهية في الخبر عن الله تعالى وعن اليوم الاخر وزاد ذلك تفصيلا وبيانا وبين
الادلة والبراهين على ذلك وقرر نبوة الانبياء كلهم ورسالة المرسلين
وقرر الشرائع الكلية التي بعث بها الرسل كلهم وجادل الملل بين بالكتب
والرسل بانواع الحجج والبراهين وبين عقوبات الله لهم ونصره لاهل
الكتب المتبعين لها وهذا معنى كون القران مصدقا لما بين يديه من
الكتاب كما قال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من
الكتاب ومهيمنا عليه وقال تعالى الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك
الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل
هدى للناس والايات في هذا المعنى كثيرة وذلك برهان عظيم على ان
من عند الله وان الرسول الذي جاء به صادق فانه لما جاء بما يطابق
ما جاء به من قبله من الرسل مع تباعد الزمان وشهادة اعدائه و
قرارهم بانه لم يتلقه من بشر وهذا يحتجون به باشياء كانوا يعلمون
انه لا يخبر بها الا نبي او من قد اخذ عنه وهم يعلمون انه لم يأخذ عن احد
البته ولو كان ذلك لوجد اعداؤه السبيل الى الطعن عليه ومعارضته
بمثل ما جاء به اذ من الممكن ان لو كان ما جاء به مأخوذا عن بشر ان يأخذ
عن ذلك البشر او ممن يقدر فيعارضوا ما جاء به وسيأتي مزيد لهذا

المعنى فيما بعد ان شاء الله تعالى والمقصود انه لما طابق الكتب المتقدمة
وصدقها وشهد بصحة ما انزل الله فيها من غير مواطاة والاقتباس
منها دل على ان الذي جاء به رسول صادق كما ان الذي جاء به كذلك
وان مخرجهما من مشكاة واحدة كما قال النجاشي ملك الحبشة واحد علماء
النصارى حين قرئ عليه القرآن هذا والذي جاء به موسى يخرج من مشكاة
واحدة يعني فاذا كان موسى صادقا وكتابه حقا فهذا حيث اخبر
بما اخبر به من غير مواطاة ولا تلقي عن احد عنده ويكون
ذلك دليلا على صدق الموصول الاول ايضا ويضم هذا ان يشهد رجل
بشهادة فيخبر فيها بما يقطع معه بانه صادق في شهادته صدقا لا
يتطرق اليه شبهة ثم جاء اخر من بلاد اخرى لم يجتمع بالاول ولم
يتواطاه فيخبر بمثل تلك الشهادة سواء مع القطع بانه لم يجتمع به ولا
تلقاها عن احد اجتمع به فهذا يكفي في صدقه اذا مجرد الاخبار فكيف
اذا اقترن بادلة قطع بها فانه صادق اعظم من الدلالة التي اقترنت
بخبر الاول فكيف اذا بشر به الاول فكيف اذا اقترن بالثاني
من البراهين الدالة على صدقه نظيرها اقترن بالاول واقوى منها و
كثيرا ما يتكرر هذا المعنى في القرآن اذ في ضمنه الاحتجاج على اهل الكتابين
على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الطريق وحجة ايضا على غيرهم
بطريق اللزوم لانه لما جاء بمثل ما جاؤا به من غير ان يتعلم منهم حرفا
واحدا دل على انه من عند الله وحتى لو انكروا رسالة من تقدم لكان
في مجيئه بمثل ما جاؤا به اثبات لرسالته ورسالة من تقدم ودليل
على صحة الكتابين وصدق الرسولين لاسيما والكتاب الثاني جاء على
يد امي لم يقرأ كتابا ولا خطه بيمينه ولا عاشر احدا من اهل الكتاب
بل نشأ بين قوم اميين يشاهدون حاله حضرا وسفرا واقامة فهذا
من اكبر الادلة على ان ما جاء به ليس من عند البشر ولا في قدرهم
هو برهان ابين من الشمس فقد تضمن ما جاء به تصديق من تقدمه

وتصديق

وتصديق من تقدمت البشارة به فتطابق فتح الله وبيانه على يد
انبيائه ورسله وانقطعت المعذرة وثبت الحق وقامت الحجة فلم
يبق الا العناد المحض والاعراض والصد واما مخالفة القرآن
بعض ما تضمنته تلك الكتب هو غير قادح في الدليل فانه لما جاء
القرآن بما فيها من اصول دين الانبياء والشرائع الكلية وغير ذلك من
سائر ما تضمنته من فتح الله وبيانه كان ذلك دليلا على وقوع
التغيير فيها والتبديل وعلمنا قطعا ان ذلك واقع في الجزاء
الذي خالف ما جاء به القرآن اما بزيادة ونقصان في الالفاظ واما
بتحريف التاويل واخراج اللفظ عن مدلوله اما في اصل لغة
ذلك الكتاب او في الترجمة باللغة التي نقل اليها فالقرآن هو المهيمن
على تلك الكتب الشاهد بصدقها وكذب ما حرف فيها الوجه
العاشر ان اهل الكتاب قد مزجوا اخبارهم بكتب انبيائهم كما هو
شاهد في الانجيل الذي بيد النصارى كقصة اليهود مع المسيح وما
زعمه النصارى من قتله وصلبه ودفنه ثم قيامه من بين الاموات وغير
ذلك من الاخبار التي انما هي محكية عن تلاميذ عيسى واتباعه
وقد خلطوها مع كتاب الله من غير تمييز بين ما هو عن الانبياء
عليهم السلام وبين غيرهم واما كتابنا الذي تكفل الله بحفظه بقوله
تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فلم يقع فيه زيادة
ولا نقص ولم يختلط كتاب الله بغيره بما قيض الله له من اسباب الحفظ
على ايدي نقلته من العلماء الابرار والاتقياء الاخيار فقد كان
من تمام اعتنائهم بحفظه افهمهم توكوا تدوين احاديث السنة
وكتابتها خشية اختلاط شيء منها بالقرآن حتى انقرض العصر الا
ول وامن هذا المحذور واذا اردت ان تعرف سخافة علم
النصارى وقلة معرفتهم فانظر الى ما اورده هذا النصراني من
الانتصار لصحة كتبهم كقوله عند ذكر قتل المسيح وصلبه وحيث

انا نصدق المؤرخين فيما اخبروا به عن الامور التي جرت في زمان طويل
قبل ميلادهم معتمدين على اجتهادهم في البحث عنها فالحري ان يصدق
هذا المؤلف الذي يدعي انه اخذ جميع ما قال من الذين شاهدوه عيانا
انتهى فانظر الى مخافة هذا الانتصار لتصحيح الكتب التي جعلوها عمدة
الدين ان جعلها اسوة كتب المؤرخين التي يكتب مؤلفوها ما سمعوه من
من صحيح وسقيم فان العلم الحاصل بذلك لا يفيد يقينا وانما يقبل من المؤرخين
ما اخبروا به لكون ذلك لا يتعلق به حكم ديني فتتلقى عنهم تلك الكتب
للاطلاع على احوال الزمان لا لاثبات قواعد الدين وتصحيح عقائد
الملة واحكام الشريعة وبمثل هذه الحجة الواهية احتج على قبول الكتب
التي هي من اناجيلهم لم تنسب الى شخص معين حيث قال ولنجعل هذا تقبل
عدة من كتب التواريخ من حيث اننا نطرح مؤلفيها مع اننا نجهل اسماءهم
قد عاشوا في ذلك الزمان وشاهدوا الامور التي نتكلم الان عليها ادعوا
لانفسهم انهم عاشوا في الازمنة الاولى وانهم منحوا من الله المواهب الروحية
فيجب ان يقتنع بهذا الانتهى وله في الاحتجاج على صحة كتبهم من هذا النمط
من الحجج الواهية ما يكفي سماعه عن الاشتغال عن برده وهو من اكبر الحجج
عليهم في ضد ما قصدوه وقد نبهنا على مقاصدها في هذا الفصل
بما فيه مقنع لذوي الالباب **والمقصود** من هذا كله ان كتب اليهود
والنصارى وما عندهم من العلم قد اختلط فيه الحق بالباطل والصدق
بالكذب فلا تقبل منه الا ما وافق الحق الذي بايدينا عن من شهدت
بصدقه المعجزات والادلة القاطعات فما وافقه فهو الحق وما خالفه فهو الباطل
وما اخبروا به مما لم يشهد له بصدق ولا كذب فهذا لا يقدم على تكذيبه
لانه قد يكون حقا ولا على تصديقه فلعله ان يكون باطلا ولكن يؤمن
به ايمانا مجملا معلقا على شرط وهو ان يكون حقا لا مبدلا **وقد**
اخرج البخاري في صحيحه عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤون
التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي
انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون وفي حديث
اخر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا
تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان كان حقا لم تكذبوهم
وان كان باطلا لم تصدقوهم اخرجه الامام احمد وروى ابن جرير عن عبد الله
بن مسعود قال لا تسئلوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا
اما ان تكذبوا بحق وتصدقوا بباطل وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كيف تسئلون اهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي انزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
احدث تقرؤونه محضا لم يشب وقد حدثكم ان اهل الكتاب بدلوا كتاب
الله وغيروه وكتبوا بايديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به
ثمنا قليلا الا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسئلتهم لا والله لا رينا منهم رجلا
يسئلكم عن الذي انزل عليكم **فصل وقال النصراني** واما المسلمون
فانهم يدعون ان في الفصل الرابع عشر من انجيل يوحنا الذي فيه وعد بارقليط
سال فرقليط فكان مسطورا ما وصف به نبيهم وان النصارى محوه وبدلوه
وياليت شعري هذا التغيير وقع فيما بعد ظهوره نبيهم او قبل ظهوره اما
بعد ظهوره فما امكن تغييره اذ وجدت اذ ذاك عدة نسخ في جميع افاق
الارض باللغات المختلفة وهذه النسخ كلها يوافق بعضها بعضا في ذلك
الفصل لا خلاف بينها فيه واما قبل ظهوره فلا كان لهم ما يدعونه في التغيير
والتبديل اذ لم يمكنهم بسابق علمهم ان يعرفوا ما كان محمل من هو الذي ياتي به
الجواب وبالله نستعين اعلم ان الفصل المذكور ما هو موجود بايدي
النصارى الان من الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والبشارة به
ما هو من اوضح الادلة كما سنذكره ان شاء الله تعالى وقبل ذلك فاعلم
ان العلماء اختلفوا في معنى التحريف الذي ذكره الله عن اهل الكتاب فقيل انهم
كانوا يحرفون اللفظ بلفظ اخر بدليل قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب
بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا قال ابو العالية

عمد والما انزل الله في كتابهم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فحرفوه عن مواضعه
وتقدم قريبا كلام ابن عباس من رواية البخاري وروى ابن جرير عن كنانة
العدوي عن عثمان ابن عفان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فويل
للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا
قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم الاية قال الويل جبل في النار وهو الذي انزل
في اليهود وهم الذين حرفوا التوراة زادوا فيها ما احبوا ومحوا منها ما يكرهون
ومحى اسم محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة ولذلك غضب الله عليهم ورفع بعض
التوراة وقال فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون قال ابن كثير وهذا
غريب جدا وقال السدي كان اناس من اليهود كتبوا كتابا عندهم يبيعونه
من العرب ويحدثونهم انه من عند الله فياخذون به ثمنا قليلا وكلام
السدي هذا يدل على ان ذلك في قوم مخصوصين كما قال الله تعالى في
مواضع اخر وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما
هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون
على الله الكذب وهم يعلمون قال مجاهد والشعبي والحسن وقتادة هو الربيع
ابن انس يلوون السنتهم بالكتاب يحرفونه **وقيل** ان التحريف الذي ذكره الله
عنهم هو تحريف بالقاء الشبه الباطلة والتاويلات الفاسدة وجر اللفظ
من معناه الحق الى الباطل بوجوه من التخييل اللفظية كما يفعله اهل الاهوى
والبدع من هذه الامة بالايات المخالفة لمذاهبهم وذلك ان النصوص
التي فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم ليست ظاهرة لكل احد بل هي مما يحتاج
الى التفسير والبيان من اهل العلم الذين هم اهل الكتاب ومعانيه **قال**
وهب بن منبه ان التوراة والانجيل كما انزلها الله لم يغير منها حرف ولكنهم يضلون
بالتحريف والتاويل وكتبا كانوا يكتبونها من عند انفسهم ويقولون
هو من عند الله وما هو من عند الله واما كتب الله فانها محفوظة **قال**
تحن رواه ابن ابي حاتم قال ابن كثير ان عنى وهب ما بايديهم من ذلك
فلا شك انه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص واما

تعريب

تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطاء كبير وزياداة كثيرة ووهم
فاحش وفهم كثير منهم بل جمعهم بل اكثرهم فاسد واما ان عنى كتاب الله
التي هي كتبه عنده فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء انتهى **قلت**
لا يخفى ان كلام وهب لا ينفي وقوع الزيادة فيها كما لا ينفي التغيير في الترجم
باللغات التي نقلت اليها وانما يدل على عدم تغيير الفاظها الاصلية التي
بها نزلت والله اعلم **اذا عرفت** ذلك فلا يلزم من وقوع التغيير في بعض
الالفاظ نصوص الانجيل قبل ظهور نبينا صلى الله عليه وسلم ان يكون التغيير
قد علم ما يكون منه اذ يمكن ان يقع ذلك جهلا ممن ابرز هذه الكتب
الى النصارى فانه كما علمناه يقينا انهم زادوا فيها فلا يستبعد ان يكونوا
نقصوا منها وان لم يكن ذلك منهم عن تعمد حيث غلب عليهم الجهل والضلال
وعدم التمييز بين الصحيح والكذب واما بعد مبعث نبينا صلى الله عليه وسلم
فالتغيير ممكن ايضا حيث ان امة الضلال قد بنوا دينهم على ما تهوى
انفسهم وكلهم متفقون على الكفر بخاتم الرسل الا من هداه الله منهم
من خيارهم الذين اسلموا فيمكن ان يكونوا غيروا نعت محمد صلى الله عليه وسلم
لا سيما وكتابهم ليس انتشاره كان بانتشار القرآن حتى يستحيل الاتفاق
على تغييره فيحتمل ان يكون في تلك الاعصار عند جماعة محصورين فيمكن
اتفاقهم على الكذب والتبديل ثم ان في ما بايديهم من نعوته صلى الله عليه
وسلم و نعوت امته ما ينكر بعضه ان شاء الله ما يكفي محجة على المقاتل
فانها ادلة قاطعة لا محيد عنها وقد قال تعالى في كتابه الذي انزله على
هذا النبي الكريم ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون
الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم و
الاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا
النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون ولا ريب انه لو لم يكن مكتوبا

عندهم لكان ذكر هذا الكلام من اعظم المنفرات لليهود والنصارى عن
قبول قوله لان الاصرار على الكذب والبهتان من اعظم المنفرات والعاقل
لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن مقالته فلما قال لهم عليه
السلام هذا دل على ان ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والانجيل و
ذلك من اعظم الدلائل على صحة نبوته ولكن اهل الكتاب كما قال تعالى يكتمون
الحق وهم يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه ولا يفهم قال الله قد عرفوا محمدا
صلى الله عليه وسلم كما يعرفون ابناءهم ووجدوه مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل لكنهم حرفوها وبدلوها ليطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا
ان يتم نوره ولو كره الكافرون قال شيخ الاسلام ابو العباس وقد
ناظرنا غير واحد من اهل الكتاب وبينا لهم تلك الدلائل فاسلم من علما
هم وخيارهم طوائف يناظرون اهل دينهم ويبينون لهم ما عندهم من الدلا
ئل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا من الحكمة في بعثة اهل الكتاب
بالجزية اذ هم من الشواهد والدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من
الشواهد على ما اخبر به من الايمان بالله واليوم الاخر ما بين ان محمدا صلى
الله عليه وسلم جاء بالدين الذي بعث الله به الرسل قبله وقد
روى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن حمزة بن عبد الله بن سلام عن
جده عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه لما سمع بخروج النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة خرج فلقيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن سلام عالم يثرب
قال نعم قال ناشدتك بالله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد
صفتي في كتاب الله قال انسب وربك يا محمد صلى الله عليه وسلم فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفوا احد قال له ابن سلام اشهد انك رسول الله
وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لاجد صفتك في كتاب
الله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا انت عبدي
ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق

ولا يجزي

وقد

وصار واضح

ولا يجزي بالسيئة السيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى
تستقيم به الملة المعوجة حتى يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا
صما وقلوبا غلفا واخرج البيهقي وابو نعيم عن ام الدرداء امرأة ابي الدرداء
رضي الله عنها قالت قلت لكعب كيف تجد ون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في التوراة قال كنا نجده موصوفا فيها محمد رسول الله اسمه المتوكل ليس بفظ
ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق واعطى المفاتيح ليبصر الله به اعينا عورا ويسمع
به اذانا صما ويقيم به السنة المعوجة حتى يشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له يعني المظلوم ومنعه من ان يستضعف وفي صحيح البخاري عن عطاء بن
يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته
في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للا
ميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه
الله حتى يقيم به الملة المعوجة بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا
عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وفي اثر رواه ابن ابي حاتم عن وهب بن
منبه اليماني ان الله اوحى الى نبي من انبياء بني اسرائيل يقال له شعيا
ان قم في قومك بني اسرائيل فاني منطق لسانك بوحي وانعتك بما
من امين ابعثه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ابعثه مبشرا
ونذيرا لا يقول لخنا افتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا اسدده
لكل امر جميل واهب له كل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره
والتقوى ضميره والحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو و
المعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والهدى امامه والاسلام
سلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة
وارفع به بعد الخمالة وعرف به بعد النكرة واكثر به بعد القلة
واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به بين امم متفرقة

ليس بفظ
او يستضعف

وقلوب مختلفة واهواء متشتتة استنقذ به فئاما من الناس عظيمة
من الهلاكة واجعل امته خير امة اخرجت للناس وعن ابن عباس رضي
الله عنهما قال قدم الجارود فاسلم وقال والذي بعثك بالحق لقد وجد
وصفك في الانجيل ولقد بشر بك بن البتول اخرجه البيهقي ولنذكر
من نصوص التوراة والانجيل مما هو الان موجود بايدي اليهود
والنصارى مما يدل على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ونعوته وصفاته
ما هو دليل على ما وراءه ومصداق ما تقدم ذكره نالله فنقول
في الانجيل على ذلك ما ورد في الفصل الذي اشار اليه الضراني وهو
الفصل الرابع عشر من انجيل يوحنا الذي يرويه عن المسيح عليه السلام
قال فيه ان كنتم تحبوني فحافظوا على كلامي وانا اسئل الاب فيرسل
فارقليط اخر ليمكث معكم الى ابد الابدين فهذا من الادلة على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الله سيبعث اليهم من يقوم مقا
مه وينوب عنه في تبليغ رسالته ربه وسياسة خلقه منابه وتكون
شريعته باقية مخالدة الى ان فعل هذا الاحمد صلى الله عليه وسلم وقد
اختلف النصارى في تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان
وافقناهم على ان المخلص اقتضى ان المخلص رسول ياتي لخلاص العالم و
ذلك من غرضنا الان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول المسيح
عليه السلام في الانجيل اني جئت بخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح
هو النبي وصف نفسه بانه مخلص وهو الذي سالهم فارقليط اخر
ففي مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط اول حتى ياتي
فارقليط آخر وان وافقناهم على القول بانه الحامد فاي لفظ اقرب
الى احمد ومحمد من هذا موافق لقوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم يا بني
اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
ومبشرا برسول ياتي من بعد اسمه احمد قال ابن مضفر و
في الانجيل مما تواتر جمعوه ما يدل على ان الفارقليط الرسول فانه

قال

قال ان هذا الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي بل الاب الذي
ارسلني بهذا الكلام لكم واما الفارقليط روح القدس الذي يرسله ابي
باسمي فهو يعلمكم كل شيء وهو يذكركم كلما قلته لكم فهل بعد هذا البيان
اليس هذا تصريحا في ان الفارقليط رسول يرسله الله وهو روح
القدس وهو يصدق بالمسيح ويظهر امره انه رسول حق من الله
وليس بالله وهو يعلم الخلق كل شيء ويذكرهم كلما قاله المسيح عليه السلام
وكلما امرهم به من توحيد الله واما قوله ابي فهذه اللفظة متداولة
معروفة وليست منكرة الاستعمال عند اهل الكتابين اشارة الى الرب سبحانه
وتعالى انها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذي يستمد
منه العلم ومن المشهور مخاطبة النصارى عظماء دينهم بالاباء الروحانيه
ولم يزل بنو اسرائيل وبنو عيصو يقولون نحن ابناء الله لسوء فهمهم
عن الله تعالى واما قوله يرسله ابي باسمي فهو اشارة الى شهادة
المصطفى صلى الله عليه وسلم بالصدق والرسالة وما تضمنه القرآن من
مدحه وتبريته مما افتري في امن قال في المواهب وفي ترجمة اخرى
للانجيل في وصف الفارقليط اذا جاء روح العالم على الخطيئة ولا يقول
من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به ويسوسهم بالحق ويخبرهم بالحوادث
وهو عند ابن ظفر بل بلفظ فاذا جاء روح القدس ليس ينطق من
عند نفسه بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بكل ما ياتي وهو يمجدني
فقوله ليس ينطق من عنده وفي الرواية الاخرى ولا يقول من تلقاء
نفسه بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بكل ما ياتي اي من الله الذي
ارسله وهذا كما قال تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى وقوله وهو يمجدني فلم يمجده حق تمجيده
الا محمد صلى الله عليه وسلم لانه وصفه بانه رسول الله صلى الله عليه و
براءة وبراءة امه عليهما السلام مما نسبه اليهما قال ابن ظفر ومن الذي
فبخ العلماء على كتمان الحق وتحريف الكلم عن مواضعه وتبديل الدين

بالثمن البخس ومن الذي انذر بالحوادث واخبر بالغيوب الا محمد صلى
الله عليه وسلم انتهى وروح القدس من اسمائه عليه الصلاة والسلام و بكل
منها جاء الانجيل وكذلك روح الحق كما ذكره صاحب المواهب وقد سمى الله
سبحانه الكتاب الذي انزل عليه روحا فقال وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقد قيل في تفسير
الفارقليط معناه روح الحق وفي نهاية ابن الاثير في صفته عليه الصلاة والسلام
ان اسمه في الكتب السالفة فارقليط اي يفرق بين الحق والباطل قال ومنه
الحديث محمد فرق بين الناس اي يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه
وتكذيبه والنصارى في تفسير روح القدس من الكلام الباطل ما هو
مقتض كفرهم بالله وشركهم به تعالى الله عما يشركون فقد عرفت بما ذكرناه
من النص الذي بايديهم في ذكر الفارقليط انه من ادلة نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم لا يحتمل وجها آخر وبذلك تعلم ان احالة النصارى صفته صلى الله عليه
وسلم التي ادعاها المسلمون في الفصل الذي ذكره على ما قدمناه النصارى
مغالطة وتعمية عن الدلالة التي قررناها وهذا من تمويههم على ضعفاء العقول
كما هو دابهم في كل نص في صفته صلى الله عليه وسلم ومن الادلة في الانجيل
ما ورد في الفصل الثالث من اخبار الرسل وهو احد الاناجيل التي
التي بايدي النصارى تمايزونه عن المسيح عليه السلام ولفظه ان موسى قال
ان الرب الهكم يقيم لكم نبيا من اخوتكم مثلي له تسمعون في كل ما يكلمكم به
ويكون كل نفس لا تسمع ذلك النبي تستاصل من بين القوم وهذا النص
ايضا في سفر الاستثناء من التوراة وهو صريح في الدلالة على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وقد حرفه اليهود والنصارى وتاولوه على غير تاويله
فزعمت اليهود ان المراد به المسيح ودعوى كهذه واضحة البطلان فانه
قال من اخوتكم والخطاب لبني اسرائيل ولو كان المراد يوشع او عيسى لكان
من انفسهم لانهم من بني اسحق فدل على ان هذا النبي الموعود به ليس من

انفسهم بل من اخوتهم وهو من بني اسمعيل وايضا فقد وصف هذا النبي
بقوله مثلي ولفظ هذا النص في التوراة مما ترجمه ان الله تعالى قال لموسى و
ساقيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلامي في فمه فيقول لهم كلما امرت به
فهو صريح في ان هذا النبي الموعود به مثل موسى وقد قال في التوراة لا يقوم
في بني اسرائيل احد مثل موسى وفي ترجمة اخرى مثل موسى لا يقوم في
بني اسرائيل ابدا فتعين ان يكون المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لانه كموسى
عليه السلام فانه ماثله في منصب النبوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام
واجراء النسخ على الشرائع السالفة وقوله تعالى واجعل كلامي في فمه صريح
في ان المقصود به محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه اوحي اليه بكلامي فينطق
به على نحو ما سمعه ولا انزل عليه صحفا ولا الواحا لانه امي لا يحسن ان
يقرا المكتوب ويدل على فساد تاويل اليهود ايضا ان يوشع ليس كموسى
عليهما السلام بل كان خادما له في حياته وموكدا لدعوته بعد وفاته
فكيف يصح ان يوصف بانه مثل موسى وعلى فساد تاويل النصارى قوله كل
نفس لا تسمع ذلك النبي تستاصل من بين القوم فان الذي عليه النصارى
ان لا يتعرض النصراني اذا انتقل عن دينه الى غيره سواء الى الاسلام
او اليهودية او غير ذلك وكذلك المراة اذا زنت لا يتعرضون لها ويزعمون
ان شريعة المسيح ليس فيها اقامة الحدود والجلد وليس مشروعا في ملتهم بلام
به عصاة وهذا كله مناقض لهذا النص فدل على بطلان كون المراد به المسيح بل
هو مطابق لصفة محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته فان مخالفة بعض اوامره
يوجب سفك الدم وازهاق النفوس فتعين انه هو المراد ومن ذلك
ما ورد في رسالة يهودا من الانجيل وهو في صحيفة زكريا من كتب العهد
العتيق التي عند اليهود قال ان الرب قد جاء في عشرة بربوات مقدسة
ليقضي على جميع الناس ويوبخ المنافقين بجميع اعمالهم التي نافقوا بها وجميع الا
قوال الصعبة التي تكلم بها عليه الخاطؤن وهذا من الادلة الواضحة على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وزعمت النصارى ان المراد به المسيح وهو زعم باطل

فانه لا دلالة فيه على المسيح بوجه لان هذا المنصوص عليه بالاتيان بالكتاب
المقدسة والقضاء على جميع الناس وتوبيخ المنافقين ينبغي ان يقوم بجد
والباس الشديد ولا دلالة في شيء من هذه الصفات على المسيح عليه
السلام لانه لم يات الا في زي يخالف هذا الوصف ولم يشرع له الجهاد
في ملته واما دلالته على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فواضحة لا
تحتاج الى مزيد تامل فانه هو المتصف بهذه الصفات كما جاء في الحديث
عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيف بين
يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل
رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف امري ومن تشبه بقوم فهو
منهم اخرجه الامام احمد في المسند وهو وثب بربوات العرب وقضى
على جميع الناس بعموم رسالته ووبخ المنافقين والله اعلم يشتمل توبيخه
المنافقين من اتباعه ويشتمل ايضا توبيخه لليهود والنصارى فانهم يدعون
انهم يؤمنون بالكتب التي بايديهم ويتبعون انبياءهم وقد كذبوا في
ذلك بل نقضوا العهود والمواثيق وكذبوا بالحق المصدق لما في ايديهم
فجاء القرآن بتوبيخهم وتعييرهم بالغضب والضلال واللعن فباؤا بغضب على غضب
وللكافرين عذاب مهين ومن ذلك ما ورد في الفصل الحادي والعشرين
من انجيل متى وهو ايضا في انجيل مرقس قال ثم طفق يضرب بهم الامثال
فيقول اغترس رجل كرما وحوطه بحائط وبحث فيه معصرة وبنى
برجا واجره الفلاحين وسافر فلما جاء الموسم ارسل الى الفلاحين
ليهم خادما لينال من ثمرة الكرم شيئا فاخذوه وضربوه وردوه خائبا فا
رسل ثانيا فقتلوه وكثيرين اخرين ضربوا بعضهم وقتلوا بعضا وكان
قد بقي له ابن وحيد هو محبوبه فارسل اليهم اخر الامر وقال انهم سيكرمون
ابني فقال الفلاحون فيما بينهم ان هذا الوارث فهلموا نقتله فيصير
الميراث لنا فاخذوه وقتلوه واخرجوه خارج الكرم فماذا يفعل رب
الكرم نعم انه سياتي ويهلك الفلاحين ويسلم الكروم الى اخرين الخ

تقرؤه

٤٨

تقرؤا هذا المرقوم قوله ان الحجرة التي رفض البناؤن صارت راس الزاوية
هذا هو ما وقع عند الرب وهو في نظركم عجيب فسياق هذا المثل من اظهر الامثال
المضروبة في الانجيل لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو الفصل في انجيل مرقس
وتقرير دلالته ان الغارس هو الباري تعالى والمغرسة الدنيا والكروم بنو آدم والحائط
الناموس الذي جاءت به الرسل والمعصرة الاحكام التي موسية والفلاحون
الذين بلغتهم الدعوة فالذي ضرب به المثل بالخادم الاول يناسب حال عيسى عليه
السلام والثاني يناسب حال يوشع بن نون والثالث يناسب بعض كاملي الانبياء
بعده والمجهولون هم المتوسطون من موسى الى زمان عيسى عليهم السلام والابن الو
حيد يناسب حال عيسى عليه السلام لانه اخر الانبياء بني اسرائيل والاخرون الذين
يسلم اليهم الكروم هم العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي قوله ويسلم
الكروم الى اخرين فضيلة عظيمة لهذه الامة توافق قول الله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس وكما في مسند الامام احمد وجامع الترمذي وسنن ابن ماجه
ومستدرك الحاكم من رواية حكيم بن معاوية بن حيدة عن ابيه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انتم توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله عز وجل
واخرج الترمذي من حديث معاذ وابي سعيد نحوه بوضح المعنى الذي قررناه
ما ختم به المثل من قوله الم تقرؤا هذا المرقوم الى اخره فانه اشارة الى ما ورد في الفصل
الثامن والعشرين من صحيفة اشعيا عليه السلام ولفظه كما في بعض التراجم ان تلك
الحجرة التي رفضها البناؤن صارت راس الزاوية هذا هو عمل الرب وهو في اعيننا
عجيب وقد ذهب النصارى الى تاويل هذا النص في شان المسيح عليه السلام وهي
دعوى باطلة فان سياق الكلام ياباه والوصف يخالفه فان المسيح لم يكن في بني
اسرائيل محتقرا ولا مرفوضا من حيث كونه من بني اسرائيل وانما يدل دلالة
ظاهرة على محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو من بني اسماعيل وهم كانوا مرفوضين عند بني
اسرائيل مع كونهم اخوتهم ولا يرضهم اهل الفضائل وسياق الكلام يدل على ان
تلك الحجرة كانت مرفوضة في زمان موسى والانبياء بعده والنصارى لا يدعون
هذه الصفة في المسيح فدل على ما قلناه وقيل ما عبر عنه بالحجرة المرفوضة من

اجل ماجرى لسارة مع ابراهيم عليهما السلام في شان اسماعيل وامه من اجل غيرة سارة
فنقلهما بامر الله تعالى الى مكة فالله اعلم وراس الزاوية هو ملتقى الخطين فيكون هو الخاتم لان
الخطين يذهبان لحيث ماينذهبان اليه فيكون ملتقاها هو منتهاها وهذا هو محمد صلى
الله عليه وسلم الذي ختم الله به رسله وفي معنى هذا المثل ماروا ابو هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا
فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون
له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة وانا خاتم النبيين اخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما
وقوله هذا ما وقع عند العرب وهو في نظركم عجيب وفي بعض التراجم هذا هو على الرب
جواب سؤال مقدر تقديره هل يمكن ان تستقر الحجرة المرفوضة في راس الزاوية اوهل
يجوز ان يقوم من اولاد الجارية هاجر بني فيكون الجواب هذا هو على الرب ومما
يزيد ذلك بيانا ماجاء في التوراة من بيان ماعهد الله به الى ابراهيم عليه السلام
في ابنه اسماعيل كما جاء في سفر التكوين قال فيه واما اسماعيل فاني قد سمعت دعاءك له وها
انا قد باركت فيه وجعلته مثمرا وساكثره تكثيرا وسيلد اثنا عشر رئيسا وساصيرهم
امة عظيمة وقد ذهب اليهود والنصارى الى ان المراد بالمولود الاثني عشر اولاد اسمعيل
وهو باطل لانهم لم يتملكوا ولم يدعوا الملكية ولكن هذا مطابق لما في الصحيحين
وغيرهما من حديث جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال هذا
الدين عزيزا منيعا الى اثني عشر خليفة كلهم من قريش ولا ريب ان بني اسماعيل
اتما صاروا امة عظيمة بحيث ارتفع شانهم بين الامم وظهرت فيهم الفضائل
التي هي ثمرة البركة الموعودة من الله تعالى لابراهيم اتما حصل ذلك ببعثة محمد
صلى الله عليه وسلم وايضا فلو كان كما يدعي اليهود والنصارى لعنهم الله من ان
العرب قاطبة منقولا على الله كاذبا عليه وحاربوا اولياء الله وابطل رسالة
وانتهكوا حرماتهم هذه القرون المتطاولة لكان ذلك مناقضا لذلك الوعد
الجليل من الله لابراهيم عليه السلام فقد ظهر ان النص مع رفع الادلة على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **ومن الادلة** في الانجيل ايضا ماجاء
في رسالة بولس الى اهل رومية وهو ايضا في صحيفة اشعيا من العهد

فنقلهما

العتيق قال سادعو الذين ليسوا من شعبي يا شعبي والتي ليست بمحبوبتي
يا محبوبة وقد ادعى النصارى ان ذلك في شان اتباع المسيح وادعوا ان رسالته
عامة وهو خلاف ما تواتر عليه نص الانجيل كما ورد في الفصل الخامس عشر من انجيل
متى قال اني لم ارسل الا لغنم بني اسرائيل الضالة وفي الفصل العاشر منه ايضا
ان المسيح لما ارسل الحواريين للدعوة قال سيروا الى غنم بني اسرائيل الضالة الى غير ذلك
مما دل على ان رسالته مختصة ببني اسرائيل وهو موافق لما صح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة اذا عرفت
هذا فلا ريب ان ذلك الوصف انما ينطبق على العرب فانهم كانوا قبل مبعث محمد صلى الله
عليه وسلم من اجهل الخلق بالله وبما جاءت به الرسل لا يعرفون كتابا ولا يؤمنون
بالرسل ولا يصدقون بالبعث فمقتضى هذا النص ان هؤلاء الغافلين الجهال
بالله وما جاءت به رسله سيجعلهم الرب تعالى من شيعة الحق ويجعلهم له
اهلا وينقلهم الى القرب منه ويكونون له احبابا **ومما** يوافق هذا النص و
يوضح دلالته ما ورد في الفصل العاشر من رسالة بولس الى اهل رومية قال
اني ساغيركم بامة اخرى واغيظكم بامة لا فهم لها انتهى **وهذا** النص ايضا في
سفر الاستثناء من التوراة وقد ساقه بولس في جملة ما وعظ به اليهود حتى يرتدعوا عما كانوا عليه ويذكروا يوم يغيرهم الله بامة اخرى ويغيظهم بامة
لا فهم لها وهذا الوصف لا ينطبق على غير العرب البتة وان حمله النصارى على ما دخل
في النصرانية من اليونان والروم فهو باطل فان عند اولئك علوما كثيرة
وافهاما قوية بل هم اعلم من اليهود في جميع العلوم العقلية بكثيرة وفيهم الحكماء
الذين استنبطوا فنونا كثيرة ودونوها وعرفت عنهم واما العرب فكانوا
قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم يتعاطون شيئا من العلوم العقلية او النقلية
وغاية ما عندهم علم الشعر والبلاغة وان كانوا قد منحوا من صحة الاذهان وقوة
العقول في اصل الجبلة ما فاقوا به غيرهم لكن غلبت عليهم الغفلة فاستولى عليهم الجهل
فدل على انهم المعنيون بهذا النص **ومن** هذا اللغز في صفة هذه الامة ما جاء
حديث ابي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت ابا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول ان الله

قال لعيسى ابن مريم اني باعث بعدك امة ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا
وان اصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم قال يا رب كيف ولا حلم
ولا علم قال اعطيتهم من حلمي وعلمي اخرجه البزار في مسنده وغيره وايضا فلم
يغط اليهود امة كما غاظهم محمد صلى الله عليه وسلم وامته **ومن ذلك**
ما ورد في الفصل العاشر من رسالة بولس الى اهل رومية من كتب النصارى
وهو ايضا في صحيفة اشعيا من كتب اليهود اني وجدت عند من لم يطلبني وظهرت
عند من لم يسئل عني وقد تولى النصارى هذا النص في الموناسبين الذين
دخلوا في النصرانية من زمن الفترة وهو من جنس تحريفهم للنصوص قبلة والاظهر صريح
في حق العرب كما اشرنا الى الذي قبله **وايضا** فاليونان هم من الحكام في الالهيات
والبحث عنها ما هو مشهور لكن بالطرق العقلية لم ياخذ واذ ذاك من جهة الانبياء
واما العرب فكانوا في غفلة عن ذلك سوى ما بقي في فطرهم من الاقرار
بالله وانه خالق كل شئ **وما** يوضح دلالة هذا النص سياقه في صحيفة اشعيا
ولفظه اني اصبت عند من لم يسئل عني ووجدت عند من لم يطلبني وقلت
لامة لم تدع باسمي انظري الي انا قد اظهرت يدي طول النهار لامة عاصية
سالكة في سبيل غير ممتاز لها هو امتها وفئة تغيظني وفئة اي فئة تغيظني
امام وجهي وتقرب قرابينها في البساتين وتبخر في مبلخ الشياطين التي تسكن
المقابر وتاكل لحم الخنازير ومرق النجاسة في اوانيها **فقد** قوله اصبت الى قوله انظري
الى اشارة الى صحة العرب وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم فيهم بالهدى ودين الحق ومن
قوله لامة الى قوله عز اسمه لاهوتها اشارة الى اليهود وقد جاء القرآن وصفهم بما وافق
هذا كوصفهم باتباع الاهواء وتركهم الحق على علم وغير ذلك من اخلاقهم الذميمة
ومن قوله وفئة الى قوله في اوانيها اشارة ظاهرة في حق النصارى متضمنة وصفهم
بالضلال والجهل بما هو لطبق صفتهم في القرآن فقد تضمن هذا النص وصف لامم الثلاث
بمثل ما وصفهم القرآن وجاء الخبر به محمد صلى الله عليه وسلم فكان دليلا من ادلة
نبوته كما هو دليل على صدق من قبله حيث تطابق الوصفان من غير تواطئ والا
اقتباس **ومن ذلك** ما ورد في الفصل الثالث عشر من انجيل متى والثامن من

انجيل لوقا النظر والى زارع خرج للزرع وبينما هو يزرع سقط بعض البذر في الطريق
فجاءت الطيور فلقطته وسقط بعضه على الصخر حيث لم يكن التراب كثيرا وفي ساعته
نبت لانه لم يكن له في الارض عمق ولما طلعت الشمس احترق وبيس لانه لم يكن له اصل
وسقط بعضه في الشوك فنمى الشوك وخنقه وسقط بعضه في الارض الطيبة فاثمر ما
بة ضعف وبعضه ستين وبعضه ثلاثين فمن كانت له اذن سامعة فليسمع وهذا
المثل والله اعلم يتضمن وصف الامم الثلاث بما يظهر للمتامل والمقصود منه قوله وسقط
بعضه في الارض الطيبة الى اخره فانه موافق لما اخبر الله به في صفة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا
يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في
التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطاه فازره فاستغلظ فاستوى على
سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة
واجرا عظيما فذكر صفاتهم في التوراة والانجيل فكان هذا اعظم البراهين على صدق
ما جاءت به التوراة والانجيل والقرآن وان هؤلاء هم المذكورون في الكتب المتقدمة
بهذه الصفات المشهورة فيهم لا كما يقول الكفار عنهم انهم مغلوبون طالبوا ملك ودنيا
ولهذا طارهم نصارى الشام وشاهدوا هديهم وسيرتهم وعدلهم وعلمهم ورحمتهم وزهدهم
في الدنيا ورغبتهم في الاخرة قالوا اما الذين صحبوا بافضل من هؤلاء فكان هؤلاء
النصارى اعرف بالصحابة وفضلهم من الرافضة اعداوهم والرافضة تضهم يضد
ما وصفهم الله به في هذه الاية وغيرها فهذه عدة ادلة مما جاء به الانجيل في
البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته وصفة امته وقد ذكر العلماء كثيرا منها
في هذا المعنى اقتصرنا منها على ما قدمناه اشارة للاختصار **فصل** ومن الادلة الواقعة
في التوراة ما ذكره غير واحد من العلماء منهم ابن قتيبة في اعلام النبوة تجلى الله وفي
رواية جاء الله من طور سيناء واشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران
فسيناء هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام وساعير هو الجبل الذي انزل
الله فيه عيسى عليه السلام وظهرت فيه نبوته وجبال فاران وهو اسم عبراني
وليس الفه الاولى همزة وهي جبال بني هاشم التي كان رسول الله صلى الله عليه و

يتحدث في احدها وينه فاتحة الوحي قال ابن قتيبة وليس بعد هذا غوض لان يجيء
الله من سينا انزال التوراة على موسى عليه السلام بطور سينا فيجب ان يكون اشراقه
من ساعير انزاله الانجيل على المسيح عليه السلام والمسيح يسكن من ساعير ارض الخليل بقرية
قديمي فاصره و باسمها يسمع من اتبعه نصارى وكما وجب ان يكون اشراقه من ساعير
عبارة انزاله الانجيل على عيسى عليه السلام فكذلك لا يجب ان يكون استعلانه من
فاران بانزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة وليس بين المسلمين واهل
الكتاب اختلاف ان فاران هي مكة وان ادعى مدع انها غير مكة قلنا اليس في التوراة
ان الله اسكن هاجر واسمعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله
منه واسمه فاران والنبي الذي كتبنا بابعه المسيح عليه السلام **قال شيخ الاسلام**
ابو العباس وهذه الكتب نور الله وهداه ففي الاول مجاء والثاني اشرق والثالث
استعلن فمجيء التوراة كطلوع الفجر والانجيل مثل اشراق الشمس والقرآن بمنزلة ظهور
الشمس في السماء فظهر به نور الله في المشارق والمغارب اعظم مما ظهر بالكتابين و
لهذا سماه الله سراجا منيرا وسمى الشمس سراجا وهاجا والخلق محتاجون الى الاول
اعظم من الثاني وهذه الثلاثة اقسم الله بها في قوله والتين والزيتون وطور
سينين وهذا البلد الامين فالاول الارض المقدسة التي نبت فيها ذلك
وفيها بعث المسيح والثاني الجبل الذي كلم الله عليه موسى والبلد الامين مكة و
لما كان في التوراة خبرا عنها اخبر بها على الترتيب الزماني واما القرآن فاقسم
بها تعظيما لشانها فاتى بها على وجه التدريج درجة بعد درجة فهو من باب
الترقي الى الاعلى فالاعلى وقد ونه **ومن ذلك** ما جاء في زبور داود عليه السلام
في مزبور اربعة واربعين فاضت النعمة من شفتيك من اجل هذا باركك الله
كل الى اخر الباب تقلد بها الجبار بالسيف فان شريعتك وسنتك مقرونة بهيبة
يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك فهذا من اظهر الادلة على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هو القول الذي يقوله
وهو الكتاب الذي انزل عليه والسنة التي سنها وليس يتقلد بالسيف من الانبياء
بعد داود الا محمد صلى الله عليه وسلم وقرنت شرائعه بالهيبة كقوله صلى الله عليه وسلم

نصرت بالرعب وهو صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه
وخاطبه بلفظ الجبار اشارة الى قوته وقهره لاعداء الله وانه يجبر الخلق
بالسيف على الحق ويصرفهم عن الكفر جبرا بخلاف المستضعف فهو نبي الرحمة
ونبي الملحمة وامته اشداء على الكفار رحماء بينهم بخلاف من كان دليلا
للطائفتين من النصارى او عزيزا على المؤمنين من اليهود بل متكبرا وجاء
في الزبور ايضا في صفاتهم يكبرون الله باصوات مرتفعة ويسجدون على مضا
جعم بايديهم سيوف ذات شفرتين **قال شيخ الاسلام** ابو العباس
بن تيمية وهذه الصفات انما تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم وامته فهم الذين
يكبرون الله باصوات مرتفعة في اذانهم وعلى الاماكن العالية كما قال جابر كنا
اذا علونا كبرنا واذا هبطنا سبحنا فوضعت الصلوة على ذلك وهم يكبرون باصوات
مرتفعة في اعيادهم وفي ايام منى وعقيب الصلوة وعلى قرابينهم وعلى الصفا والمروة
وغير ذلك وليس هذا لغيرهم فان موسى يجمعهم بالبوق والنصارى لهم ناقوس
والسيوف ذات الشفرتين هي العربية التي فتح بها الصحابة واتباعهم البلاد
وقوله يسجدون على مضاجعهم اي يذكرون الله حتى في هذه الحال ويصلون
في البيوت على المضاجع بخلاف اهل الكتاب والصلوة اعظم الشعب واليهود
لا يكبرون باصوات مرتفعة ولا بايديهم سيوف ذات شفرتين بل هم مغلو
بون مع الامم والنصارى تغلب من يقاتل الكفار وفيهم من يجعله من شعائر
محمد وامته **ومن ذلك** ما جاء في كتاب اشعيا عليه السلام من البشارة
به صلى الله عليه وسلم يفتح العيون العور والاذان الصم ويحي القلوب الغلف
وما اعطيه لا يعطي احد مشفحي يحمد الله حمد احد يا فمشفحي محمد بغير شك
كما قال ابن القيم قال واعتباره انهم يقولون مشفحا لا هاكما اراد وان
يقولوا الحمد لله واذا كان الحمد مشفحا فمشفحي محمد والادلة على نبوته صلى
الله عليه وسلم من الكتب التي بايدي النصارى اكثر مما ذكرناه فلو انهم
تركوا الهوى واتبعوا الهدى وصدقوا كتب الله لعرفوا ان محمدا رسول الله
وان نعوته وصفاته وصفات امته مسطورة في الكتب التي بايديهم والله

لاعذرهم في اصرارهم على الكفر به ومخالفته ومن يهد الله فهو المهتدي ومن
يضلل فلن تجد له وليا مرشدا على انا لو لم نات بهذه الانباء والقصص من كتبهم
المحرفة بما اودع الله عز وجل القرآن دليل على ذلك وفي ترکهم تجحد ذلك وا
نكاره وهو يقرعهم به دليل على اعترافهم له فانه يقول الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ويقول حكاية
عن المسيح عليه السلام اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة
ومبشرا برسول ياتي من بعد اسمه احمد ويقول يا اهل الكتاب لم تلبسون
الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون ويقول الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وكما قال صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى اتباعه و
تصديقه فكيف يجوز ان يحتج بباطل من الحجج فيجعل ذلك على ما عندهم
وما في ايديهم ويقول من علامة نبوتي وصدقي انكم تجدوني عندكم
مكتوبا وهم لا يجدونه كما ذكروا وليس ذلك مما يزيدهم عنده بعدا وقد كان
غنيا عن ان يدعوهم بما ينفرهم ويستميلهم بما يوحشهم ولو انهم وجدوا خلاف
قوله لكان اظهاره اهون عليهم من اتلاف النفوس والاموال وتخريب الديار
وكم اسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام وابني سعنة وابن يامين ومخريق
وكعب الاحبار وغيرهم من علماء اليهود وبحيرا ونسطور وصاحب بصرى
واسقف الشام والجارود العبدي وسلمان الفارسي ونصارى الحبشة وا
ساقفة نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وكلهم قد وقفوا منه
على مثل هذه الدعاوي فلولا انهم يعلمون صدقه فيما قال ويجدون صفته
في الكتب التي بايديهم والا لكان ذلك مما ينفرهم ويبعدهم عنه **وقد اعترف**
بنبوته هرقل وصاحب دومة عالما النصارى ورئيسهم والمقوقس صاحب
مصر وابن صوريا وابن اخطب واخوه وكعب ابن اسد والنبر باحيا
وغيرهم من علماء اهل الكتاب ممن حملهم حب الرياسة او الحسد والشقاوة
على البقاء على الشقاوة والاخبار في هذا كثيرة لا تحصر وقد قال الحارث
بن عوف لحيي بن حصين وقراء جادا في عداوة رسول الله صلى الله عليه

ولم

ولم يحصل على شيء الم اقل لك انك توضع في غير شيء والله ليظهرن محمد على
ما بين المشرق والمغرب يهود كاهم تواخبرونا بهذا اشهد لسمعت ابا رافع سلام
بن ابي الحقيق يقول انا نحسد محمدا على النبوة حيث خرجت من بني هرون وهو نبي
رسل ويهود لا تطاوعني على هذا ولنا منه ذبحان واحد بيثرب والخر بخيبر
قال الحارث قلت لسلام يملك الارض جميعا قال نعم والتوراة التي انزلت على
موسى وما احب ان تعلم بقولي **ومن هذا** استفتاح اليهود على مخالفهم عند القتال
بمجيئه كما قال تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من
قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على
الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل
الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤ بغضب على غضب وللكافرين
عذاب مهين **قال محمد بن اسحق** عن عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري عن
اشياخ منهم قالوا فينا والله وفيهم يعني اليهود الذين كانوا جيرانهم نزلت هذه
القصة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم الى قوله فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به فلعنة على الكافرين قالوا كنا قد علوناهم دهرا في الجاهلية
وكنا اهل شرك وهم اهل الكتاب فكانوا يقولون ان نبيا سيبعث الان نتبعه
قد اظل زمانه نقتلكم معه قتل عاد وارم فلما بعث الله رسوله من قريش وا
تبعناه كفروا به يقول الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة على الكافرين
وقال ابن اسحق اخبرني محمد بن ابي محمد عن عكرمة او سعيد بن جبير عن ابن عباس ان
يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما
بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل
وبشر ابن البراء بن معرور وداود بن سلمة يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم
تستفتحون علينا بمحمد ونحن اهل شرك وتخبروننا بانه مبعوث وتصفونه بصفته
فقال بشر بن مشكم اخو بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكركم
في ذلك من قولهم وما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم الاية **اذا عرفت** ذلك
فهو من اوضح الادلة واكبر الحجج على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم ما كانوا يستفتحون

ومن هذا

قال محمد بن اسحق

اذا عرفت ذلك

به الا ما يعلمون من نعته وصفاته ونزماده فلما ظهر صلى الله عليه وسلم كفروا به بغيا وحسدا
وبغيا وجحدوا نبوته ولا ريب ان استفتاحهم به وبجد نبوته لا يجتمعان فاذا كان
استفتاحهم به لانه نبي كان جحد نبوته محالا وان كان جحد نبوته كما يزعمون حقا
كان استفتاحهم به باطلا وهذا مما لا جواب لاعداء الله عنه البتة فسوغ ان يقولوا
ان هذا الموجود ليس الذي كنا نستفتح به وهذا من اعظم الجحد والعناد فان الصفات
والعلامات التي فيه طابقت ما كان عندهم مطابقة للعلوم العالم فانكروها ان يكون هو
هذا الجحد باللسان مع ان القلب بمعرفة تامة ولهذا قال تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا
به فلعنة الله على الكافرين ثم قال تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله
بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده قال السدي بئسما اشتروا به انفسهم يقول
بئسما باعوا به انفسهم يقول بئسما اعتاضوا لانفسهم ورضوا به وعدلوا اليه من الكفر بما
انزل الله على محمد عن تصديقه ومؤازرته ونصرته وانما حملهم على ذلك البغي والحسد والكراهية
لان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ولا حسد اعظم من هذا فباؤا بغضب على
غضب قال ابن عباس غضب بما كتموا من التوراة وهي معهم وغضب بكفرهم
بهذا النبي الذي احدث الله اليهم ثم قال وللكافرين عذاب مهين ملكان كفرهم
سببه البغي ومنشأه ذلك الكبر قوبلوا بالاهانة والصغار في الدنيا والاخرة ثم قال
لهم تعالى واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه
وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين
قال ابو عبد الله ابن القيم في هذه الاية هذه حكاية مناظرة بين الرسول
وبين اليهود لما قال لهم امنوا بما انزل الله فاجابوه بان قالوا نؤمن بما انزل علينا
ومرادهم التخصيص اي نؤمن بالمنزل علينا دون غيره فظهرت عليهم الحجة بوجهين
من وجهين احدهما انه ان كان ايمانكم به لانه حق فقد وجب عليكم ان تؤمنوا
بما انزل على محمد لانه حق مصدق لما معكم وحكم الحق الايمان به اين كان ومع
من كان فلو كم الايمان بالحقين جميعا او الكفر الصراح ففي ضمن هذه الشهادة
عليهم بانهم لم يؤمنوا بالحق الاول ولا بالثاني وهذا الحكم في كل من فرق الحق
فامن ببعضه وكفر ببعضه كمن امن ببعض الكتاب وكفر ببعض لم ينفعه ايمانه حتى

احدهما

يؤمن بالجميع ونظير هذا التفريق تفريق من يرد ايات الصفات واخبارها ويقبل
ايات الاوامر والنواهي فان ذلك لا ينفعه لانه امن ببعض الرسالة وكفر ببعض فان
كانت الشبهة التي عرضت لمن كفر ببعض الانبياء غير نافعة فالشبهة التي عرضت
لمن رد بعض ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اولى ان لا تكون نافعة وان كانت
هذه عذرا فاشبهه من كذب بعض الانبياء مثلها وكما انه لا يكون مؤمنا حتى يؤمن
بجميع الانبياء ومن كفر بنبي من الانبياء فهو كمن كفر بجميعهم فكذلك لا يكون مؤمنا
حتى يؤمن بجميع ما جاء به الرسول فاذا امن ببعضه ورد بعضه فهو كمن كفر به
كله فتامل هذا الموضع واعتبر به الناس على اختلاف طوائفهم يتبين لك ان اكثر من يدعي
الايمان برئ من الايمان ولا حول ولا قوة الا بالله **الوجه الثاني** من
النقض قوله فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ووجه النقض انكم
تزعمون انكم تؤمنون بما انزل اليكم وبالانبياء الذين بعثوا فيكم فلم قتلتموهم
وفيما انزل اليكم الايمان بهم وتصديقهم فلا امنتم بما انزل اليكم ولا ما انزل
على عهدهم كانه توقع منهم الجواب بانا لم نقتل من ثبتت نبوته ولم نكذبه
فاجيبوا على تقدير هذا الجواب الباطل منهم بان موسى قد جاءكم بالبينات
وما لا ريب معه في صحة نبوته ثم عبدتم العجل بعد غيبته عنكم واشركتم
بالله وكفرتم به وقد علم نبوة موسى وقيام البراهين على صدقه فقال و
لقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون فهلكتا
تكونون الى والبراهين ومناظرة الانبياء لخصومهم انتهى قال محمد بن اسحق
حدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمد بن لبيد اخي بني عبد
الاشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان سلمة من اصحاب بدر قال كان
لنا جار من يهود في بني عبد الاشهل قال فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف
على بني عبد الاشهل قال سلمة وانا يومئذ احدث منهم سنا فذكر القيمة والبعث
والحساب والميزان والجنة والنار فقال ذلك لقوم اهل شرك واصحاب
اوثان لا يرون ان بعثا كائن بعد الموت فقالوا له ويحك يا فلان اوترى
كاينة ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها باعمالهم

قال نعم والذي يحلف به ولو كان له بحظه من تلك النار اعظم تنور في الدنيا
يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطيقونه عليه بان ينجو من تلك النار غدا قالوا له و
يحك يا فلان فما اية ذلك قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد واشار بيده الى
مكة واليمن قالوا ومتى نراه فنظر الي وانا من احدثهم سنا فقال ان يستنفد هذا
الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله رسوله
وهو حي بين اظهرنا فامن به وكفر به بغيا وحسدا قال فقلنا له ويحك يا فلان
الست بالذي قلت لنا فيه ما قلت قال بلى وليس به واخرج بن اسحاق
ايضا قصة ابن الهيبان وهو رجل من اهل الشام من اليهود قدم المدينة على بني
قريظة في الجاهلية ووصف الراوي من فضله وانهم كانوا يستسقون به للمطر
قال ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف انه ميت قال يا معشر اليهود ما تردنه
اخرجني من ارض الخمر والخمير الى ارض البوس والجوع قال فقلنا انت اعلم
قال فاني انما قدمت هذه البلدة انتوكف خروج نبي قد اظل زمانه و
هذه البلدة مهاجره وكنت ارجو ان يبعث فاتبعه وقد اظلكم زمانه
فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري
والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحاصر بني قريظة قال هو لك يا فتية وهم ثعلبة بن سعنة واسيد بن
سعنة واسد بن عبيد وكانوا شبابا احداثا يا بني قريظة والله انه للنبي
الذي كان عهد اليكم ابن الهيبان قالوا بلى والله انه هو بصفته فنزلوا فاسلموا فاحرزوا دماءهم واموالهم واهليهم واخرج الحاكم صاحب المستدرك
والبيهقي في دلائل النبوة من طريقه بسند لا باس به كما قال ابن
كثير عن ابي امامة الباهلي عن هشام بن العاص الاموي قال بعث انا
ورجل اخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث
وانه ارسل الينا ليلا فقال فدخلنا عليه فدعا بشيء كهيئة الربعة العظيمة
مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج حريرة سودا
فنشرها فاذا فيها صورة حمرا واذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين

لم ار مثل طول عنقه واذا له ظفير فان احسن ما خلق الله قال اتعرفون هذا قلنا
لا قال هذا ادم عليه السلام ثم فتح بابا اخر فاستخرج منه حريرة سودا فاذا فيها
صورة بيضاء واذا رجل احمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال اتعرفون هذا
قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام قال ثم فتح بابا اخر واخرج حريرة فيها صورة
بيضاء واذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتعرفون هذا قلنا الله ورسوله
اعلم قال رسول الله وبكينا قال والله انه قام قائما ثم جلس وقال انه هو قلنا نعم انه كانك
تنظر اليه فامسك ساعة ينظر اليها قال اما والله انه لاخر النبيون ولكني بجلته لانظر
ما عندكم لحديث وفيه ذكر صور الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم
قال فقلنا له من اين لك هذه الصور قال ان ادم سال ربه ان يريه الانبياء من ولده
فانزل عليه صورهم فكان في خزانة ادم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها
ذو القرنين من مغرب الشمس فدفعها الى دانيال ثم قال اما والله ان نفسي طابت
بالخروج من ملكي واني كنت عبدا لاشركم ملكا له حتى اموت ثم اجازنا فاحسن
جوائزنا فسرحنا فلما اتينا ابا بكر الصديق فحدثناه بحاربنا وما قال لنا وبما
جازنا قال فبكى ابو بكر وقال مسكين لو اراد الله به خيرا لفعل ثم قال اخبرنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم واليهود يجدون نعت محمد صلى الله عليه وسلم
عندهم وبالجملة فالاخبار باعتراف كثير من اليهود والنصارى بنبوته والاقرار
بصدقه ممن قد مناذكرهم وغيرهم كثيرة مشهورة في كتب الاحاديث و
السير وكنا اردنا قصد الاختصار **المقام الثالث** قال النصراني فصل في
الترجيح بين المسيح ومحمد لنقيس الان الخصال والاحوال المتعلقة بالشريعتين
لننظر ايهما اشرف واولى بان تتبع ووجد امتحان ذلك هو اعتبار كمال
ذلك الشخص وتعقب افعاله وتامل سيرته واكبر علامات اطراح الذات
البدنية والتهاون بها فان هذا اول درجات اهل العلم فنا هيك الانبياء
وبخاصة التي هي عار علينا كما ذكر ارسطو ولا سيما قذارة النكاح ولذلك
فضح الله بها كل مبتدع ليبين الحق للمحقين ولا يضلوا ولا يغلطوا وانما
يشوع فهو على ما يعترف به المسلمون المسيح الموعود به في التوراة وكتب

الانبياء ويسميه محمد بكلمة الله وروحه ويقول انه لم يكن له اب من البشر وانما
محمد فهو مولود على الطريق المعتاد به في الطبيعة وكان يشوع ذا صلاح تام في سيرته
حتى لم يطعن في عرظه بشيء اما محمد فهو صاحب الغزاة والقتال مغرما بالنساء كثير النكاح
وكان يشوع قد رفع الى السماء واما محمد فهو بقي في القبر فمن ذا الذي لا ينظر بهما
اولى بان يتبع هذا كلامه ونقول وبالله التوفيق لا ريب ان النظر في التفضيل
انما يكون بين شيئين متقاربين في الفضل مع ثبوت الفضل في كل منهما فيكون
النظر حينئذ نظر ترجيح بحسب كثرة الفضائل والخامس في احد الشقين ومعلوم
انه لا نسبة بوجه من الوجوه بين انبياء الله ورسله وبين الكذابة على الله الملقولين
ولا بين الشرائع التي شرعها الله وفرض فرائضها وحدودها على اكمل وجوه
الحكمة والمصلحة وبين مخترعات المخلوقين ومبتدعاتهم لا عند اهل الضلالة
والجهالة كهؤلاء النصارى الذين اتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا
وضلوا عن سواء السبيل والمقصود ان نسبة الترجيح بين محمد والمسيح عليهما
السلام وشريعتهما دليل على اعتراف بفضل محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته
وهذا يلزم منه ان محمدا حق ودينه حق والا فاين النسبة بين الحق والباطل
والصدق والكذب فهذا الطريق في الترجيح انما يتوجه مع الاعتراف بحقية
كل من الشريعتين كان يرجح المسلمون ما هو من افضليه محمد صلى الله عليه وسلم
على من سواه من الرسل وشريعته على من عداها من شرائع الانبياء
مع الايمان بان كلا منهما من عند الله وان الله تعالى هو الذي فضل من شاء
على من شاء ورفع بعض الرسل فوق بعض درجات ولكنه لما كانت شريعة
محمد صلى الله عليه وسلم شريعة باهرة وفضائلها ظاهرة لم يمكن الخصوم
الا الاعتراف ببعضها وفضل من جاء بها لما بهرهم من انوار النبوة و
بهتهم من عظم نواميس هذه الشريعة الكاملة التي اختارها لخيرته
من خلقه ولامة خير امة اخرجت للناس وجعلها حجة باقية الى قيام
الساعة لا يتطرق اليها النسخ ولا تعتريها التغيير والتبديل الذي
وقع في الشرائع قبلها فلا تجتمع هذه الامة على ضلالة بل لا تزال فيها

طائفة

طائفة على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي امر الله وهم
على ذلك وبهذا المعنى الذي ذكرناه كان كل عاقل من اليهود والنصارى
كما قال شيخ الاسلام ابو العباس يعترف بان دين الاسلام حق وان محمدا رسول
الله وان من اطاعه منهم دخل الجنة بل كثير منهم يعترفون ان دين الاسلام خير من
دينهم كما اطبقت على ذلك الفلاسفة كما قال ابن سينا وغيره اجمع فلاسفة العالم
على انه لم يطرق العالم ناموس اعظم من هذا الناموس انتهى اذا عرف هذا فان
الله سبحانه وتعالى اختار الانبياء من ولد ادم وهم مائة الف واربعة وعشرون
الفا واختار الرسل منهم ثلاث مائة وثلاثة عشر رسولا على ما دل عليه
من عددهم حديث ابي ذر الذي رواه الامام احمد وابن حبان في صحيحه
ثم اختار منهم اولي العزم الخمسة وهم المذكورون في قوله واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وذكرهم ايضا
في سورة الشورى ثم اختار منهم الخليلين ابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم
واختار منهما محمدا صلى الله عليه وسلم فهو سيد ولد ادم وهو امام الانبياء اذا جمعوا
وخطيبهم اذا وفدوا وصاحب المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون
وصاحب لواء الحمد وصاحب الحوض المورود وشفيع الخلائق يوم القيمة وصاحب
الوسيلة والفضيلة الذي بعثه الله بافضل كتبه وشرع له افضل شرائع
دينه وجعل امته خير امة اخرجت للناس وجمع له ولامته من الفضائل والمحاسن
ما فرقه فيمن قبلهم وهم اخر الامم خلقا واولهم بعثا فهم كما قال صلى الله عليه وسلم
في الحديث الصحيح نحن الاخرون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب
من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا يعني يوم الجمعة يومهم الذي اختلفوا فيه فهدانا
الله له فالناس لنا فيه تبع غدا لليهود وبعد غد للنصارى وقال صلى الله عليه وسلم
انا اول من تنشق عنه الارض وقال اتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن
من انت فاقول محمد فيقول بك امرت ان لا افتح لاحد قبلك وفضائله
وفضائل امته كثيرة دل عليها خبر صاحب المعجزات الذي لا ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى ونطقت به الكتب السالفة واخبرها الانبياء الاقدمون

ودل عليها استقراء سيرهم واخبارهم وهذه الجملة مجمع بين المسلمين وهي ان
الله فضل بعض الرسل على بعض وفضل على الجميع محمدا صلى الله عليه وسلم كما قال
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
واتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس وكذلك اجمعوا على
محبتهم وموالاتهم والايمان بهم كلهم لا يفرقون بين احد منهم فيؤمنون ببعض
ويكفرون ببعض كحال اهل الكتاب الذين يدعون الايمان ببعض الرسل
ويكفرون ببعض ويظهرون بعضهم حتى يجعلوهم الهة مع الله وينتقصون
بعضهم كما فعل هذا النصراني فيما تقدم من كتابه حيث لم يقتصر على الطعن
في سيد المسلمين اذ كفره سابق على ذلك بل اعترض ايضا على موسى كليم
الرحمن وهيهات لا شك فيما جاءوه من الحق وانه كتابا يستحق عليه اللوم
مع اعترافه بانه رسول الله فليعتبر الموقن بالله اي الفريقين اولى
بالله وبرسله وقد اجمع المسلمون على ان الانبياء صلوات الله وسلامه
عليهم فيما يخبرون به عن الله وفي تبليغ رسالاته لا خلاف بينهم في
ذلك وان وقع خلاف فيما دونه والذي عليه الجمهور من المتقدمين والمتاخرين
انهم معصومون ايضا من الاصرار على الذنوب مطلقا والمسئلة طويلة الاذيال
فلا نطيل بذكرها والمقصود ان الله تعالى كما اختار الانبياء على من سواهم
اصطفى لهم من الاخلاق ازكاها واختار لهم افضلها واولاها وجمع الفضائل
التي فرقها فيهم لخاتمهم وسيدهم وافضلهم محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى في حقه
له وانك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس وغيره اي على دين عظيم وسمى
الدين خلقا لان للخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وارادة زكية واعمال
ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة واقوال مطابقة للحق
تصدر تلك الاقوال والاعمال عن تلك العلوم والارادات فتكسب النفس بها
اخلاقا هي ازكى الاخلاق واشرفها وافضلها وهذه كانت اخلاقه صلى الله
عليه وسلم المقتبسة من القرآن وهذا اعظم ايات نبوته وادلة رسالته و
لما سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان خلقه

القرآن اما تقرأ وانك لعلى خلق عظيم فكان كلامه مطابقا للقرآن تعضيدا و
تبيينا وعلومه علوم القرآن وارادته وامثاله ما اوجبه وندب اليه القرآن واعراضه
وتركه ما منع منه القرآن ورغبته محبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه
وكراهته كما كرهه ومحبته ما احبه وسعيه في تنفيذ اوامره فترجمة ام المؤمنين
لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها كان خلقه القرآن
وفهم السائل عنها هذا المعنى فاكتفى به واشتفى فهو صلى الله عليه وسلم في جميع اموره على
الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه لا من الاولين ولا من الاخرين
وقد خرج الامام احمد في مسنده من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق واعلم ان تحصال الفضل والكمال البشري نوعان
كما قال بعض العلماء احدهما ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا
والثاني مكتسب ديني وهو ما يحمل فاعله ويقربه الى الله زلفى ثم هي على قسمين
منها ما يختص باحد الوصفين ومنها ما يتداخل ويتمازج فاما الضروري المحض فما
ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب كمال الخلقة وجمال الصورة وقوة العقل و
صحة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الحواس والاعضاء واعتدال الحركات وشرف
النسب وعزة العشيرة وكرم الارض ويلحق بذلك ما تدعو اليه ضرورة الحيوة
البدن من غذائه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد
تلحق هذه الخصال الاخر بالاخرويه اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على
طريقها وكانت على قوانين الشريعة واما الخصال المكتسبة الاخرويه فسائر
الاخلاق العليه والاداب الشرعيه من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر
والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة
والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة ونحوها من الخصال التي
جماعها حسن الخلق وتكون هذه الاخلاق دنيويه اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة
وان كانت كلها محاسن وفضائل باتفاق اصحاب العقول السليمة واذا نظرت
في جميع هذه الخصال لنوعها وجدت نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حائزا بين فضائلها
الاجناس بل قد بلغ مبلغ القطع من طرق التواتر الذي لا يمكن القدح فيه كما

نقلت ايضا بجزانه صلى الله عليه وسلم المتواتر الذي هو الطريق الذي علمت به نبوة
موسى وعيسى ومعجزاتهما ومكان من اخبارهما فالذي عند المسلمين من العلم بنبيهم
صلى الله عليه وسلم وشمائله ومعجزاته وسيرته قد حصل عندهم من طريق القطع فلا
يمكن المعارض ان يقدح في ذلك الا بالقدح في جميع ما جاء به عن الانبياء عليهم
السلام **وما فضله الله به** من الفضائل التي لا تنال بالاكتساب ولا تحصل
الا بتخصيص نزل للكتاب من فضيلة ختم الانبياء ومن الخلة والمحبة والاصطفاء
والاسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة
الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود والصلوة بالانبياء
والشهادة من الانبياء والامم وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة و
النذارة والمكانة عند ذي العرش والامانة والهداية وكونه رحمة للعالمين
واعطاء الرهاء والسؤل والكوثر وسماع القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم
وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر والتاييد بالملائكة وابتاء الكتاب والحكمة
والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء الى الله وصلوة الله والملائكة
والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع الاصار والاغلال عنهم الى ما لا يحيط به
كتاب الله ولا يحيط به الا من خصه بذلك وفضله به لا يضره الى ما اعده له في
الدار الاخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة والحسنى
والزيادة فكل ذلك انما علمناه من طريقه حيث بلغه عن الله خبرا ومنه
بالامانة لا مفتخرا وطريق اثباته ادلة الرسالة واعلام النبوة اذ هو من علم
الغيب الذي لا يعلم الا من طريق الوحي على السنة الرسل ولولا خوف الملال
طالبه لذكرنا من تفاصيل ما اجملناه من اخلاقه الزكية ما تنشرح به صدور
اهل الايمان وتزغ به انوف عبدة الصلبان ولكنا قد بينا هذا الكتاب على
الاقتصار وقصدنا به تحصيل المراد من غير اكثار ومن اراد التفصيل لهذه
الخصال السنية فعليها بمظانها من كتب الشمائل والسير النبوية ولكنا نذكر
من ذلك ما يختص ما ترجمنا عواضر وره الحيوة اليه مما يقال انه من باب اللذات
البد فيه ليتبين انه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب كما هو في غيره على وفق

الكمال

الكمال البشري المرضي من جميع الوجوه ان الذي ندعو اضرورة
الحيوة اليه مما اشرنا اليه قبل ثلاثة اقسام قسم الفضل في قلته وقسم الفضل في
كثرته وقسم يختلف الاحوال فيه فاما التمدح والكمال في قلته اتفاقا عادة و
شرعية كالغناء والنوم فلم تزل العلماء والحكماء والعرب تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما
لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة
وسبب للسخاوة في الدنيا والدين وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة
وسبب لحفظ الصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على
الضعف وقلة الذكاء والفطنة سبب للكسل وتضييع العمر في غير نفع وقساوة
القلب وغفلته وموته وكان نبينا صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين
القنين بالاقل هذا ما لا ينفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه وعلى
ذلك كان اصحابه رضي الله عنهم والصدر الاول من امته ولهذا قال العلماء
ان التشبع بدعة ظهرت بعد القرن الاول وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم
الخلف بعد القرون الفاضلة من امته بانهم يظهر فيهم السمن **وروى**
الامام احمد والنسائي والترمذي وصححه والحاكم من حديث المقدام ابن
معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملا ابن آدم وعاء شرا
من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان فاعلا لا محالة فثلث لطعامه
وثلث لشرابه وثلث لنفسه وقال الترمذي حديث حسن قال القرطبي
لو سمع بقراط بهذه القسمة لعجب من هذه الحكمة **وروى** الطبراني عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم
جوعا في الاخرة **وروى** ابو هريرة رضي الله عنه قال ما شبع ال محمد
من طعام ثلاثة ايام تباعا حتى قبض رواه البخاري ومسلم في صحيحهما
وروى عائشة رضي الله عنها فالتكان ياتي علينا الشهر ما نوقد
فيه نارا انما هو التمر والماء الا ان نوتى باللحم اخرجه البخاري ومسلم و
غيرهما رواية ما شبع ال محمد من خبز البر ثلاثا حتى مضى
سبيله اخرى ما اكل ال محمد اكلتين في يوم واحد الا

احدها تمر وروى النعمان ابن بشير رضي الله عنهما قال ذكر عمر ما اصاب
الناس من الدنيا فقال لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضل اليوم
يلتوي من الجوع ما يجد من الدقل ما يملا بطنه اخرجه مسلم وروى
انس رضي الله عنه قال مشيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخبز
شعير واهالة سنخة ولقد سمعته يقول ما امسى عند ال محمد صاع تمر
ولا صاع حب وان عنده يومئذ لتسع نسوة اخرجه البخاري والنسائي
والترمذي وفي الصحيحين عن عروة عن عائشة قالت ان كنا لننظر
الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال وما اوقد في ابيات رسول الله صلى الله
عليه وسلم نار قال قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر و
الماء وقال انس خادمه ما اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رغيفا
مرققا حتى لحق بالله ولا رى شاة سميطا حتى لحق بالله رواه البخاري
وروت عائشة رضي الله عنها قالت توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس عندي شيء ياكله ذو كبد الا شطر شعير في رفي فاكلت منه حتى
طال علي فاكلته ففني رواه البخاري ومسلم ولها ايضا عنها قالت توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعا
من شعير والاحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا وهي تدل دلالة وا
حدة على تقلله صلى الله عليه وسلم من تناول الطعام سوى ما تدعو اليه
ضرورة البشرية وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت
بذلك الاثار الصحيحة وكان صلى الله عليه وسلم ينام اول الليل ويستيقظ
في اول النصف الثاني فيقوم ويتوضى ولم يكن ياخذ من النوم فوق
القدر المحتاج اليه ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج اليه منه تشريعا للامة
ليقتدوا به ولا يكلفوا من العمل ما لا يطيقون ويشق عليهم مشقة تحملهم
على الساامة من العمل وكان يحب من العمل ما دام عليه صاحبه وان قل
وعلى ذلك حث امته وكانهم عن التشديد على انفسهم وفي
السنن والمسانيد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السمحة و

وكان يقول يسروا ولا تعسروا وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال انكم امة مريد
بكم اليسر خرجه الامام احمد وقال الله تعالى يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر و
قد انكر صلى الله عليه وسلم على من عزم على التبتل والاختصاء وقيام الليل و
صيام النهار قراءة القران كله ليلة كعبد الله بن عمرو بن العاص وعثمان
ابن مظعون والمقداد وغيرهم وقال لكني اصوم وافطر واقوم وانام
واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني واما لباسه
صلى الله عليه وسلم فهو كما قال القاضي عياض كان قد اختصر على ما تدعوا
ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجد فيلبس في غالب
احواله الشملة والكساء والاردية والازر ويقسم على من احضره اقبية الديباج
المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر ذا المباهات في الملابس والتزين
بما ليست من خصال الشرف والجلالة بل هي من سمات النساء والمحمود منها
نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكون ليس شاله غير مقسط مرفوعة حلة
انتهى وكان صلى الله عليه وسلم ينام على الفراش تارة وعلى النطع تارة
وعلى الحصير تارة وعلى الارض تارة وفي الصحيحين انه كان فراشه ادما
حشوه ليف وفي الصحيح ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو في تلك المشربة فراه موسدا مضطجعا على
رمال حصير وليس في البيت الا صبوة من قرظ او هية معلقة فابتدرت
عيناي بالبكاء فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال يا رسول
الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وانت صفوة الله من خلقه فقال او في شك
انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا فكان صلى
الله عليه وسلم ازهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها ينفقها هكذا وهكذا
في عبادته ولم يدخر لنفسه شيئا لغد وخرج الترمذي وصححه عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نام
على رمال حصير وقد اثر في جنبه فقلت يا رسول الله لو اتخذ نا لك

لعله ادهر به

وطاء بحذاه بينك وبين الحصير بقيك منه فقال مالي والدنيا ما انا والدنيا
الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ولما بنى صلى الله عليه وسلم
مسجده ومساكن ازواجه قالوا الا تسقفه فقال عريشا كعريش موسى خشيك
وتمام الامر اجمال من ذلك فكان حاله صلى الله عليه وسلم في ماكله و
مشربه ولباسه ومسكنه حال مسافر يقنع في مدة سفره بمثل زاد
الراكب من الدنيا ولا يلتفت الى فضولها وحسبك من تقلله منها واعراضه
عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها ان
توفي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله
كما تقدم الحديث بذلك وتقدم ايضا قول عائشة رضي الله عنها لقد
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا
شطر شعير في رف لي وقالت ايضا ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعير القسم الثاني ما اتفق على المدح
بكثرته والترغيب في فوره كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق عليه شرعا
وعادة فانه دليل الكمال وصحة التكوين ولم يزل التفاخر عادة
معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة ماثورة
من سنن المرسلين معلومة من سيرتهم عند المتقدمين والمتأخرين
من الموافقين والمخالفين ولما صالح عديدة لاجلها شرعه الله تعالى
ومقاصده الاصلية ثلاثة احدها حفظ النسل ودوام النوع الانساني
الى ان تتكامل العدة التي قدر الله تعالى بروزها الى هذا العالم وهذه مصلحة
عظيمة دالة على فضيلة النكاح والشرائع جاءت بتحصيل المصالح
الثاني اخراج الماء الذي يضر احتقانه واحتباسه بجملة البدن
وهذا فيه من حفظ الصحة ما تقتضي الحكم مشروعيته والاستحسان من اجله
الثالث قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالتحمد وهذه هي الفائدة
التي في الجنة اذ لا تناسل هناك يستغرقه الا نزال لكن التنعم
يتكون التنعيم الجسماني في الجنة وما اخبرت به الانبياء

من

من المآكل والمشارب والملابس والمناكح تحقيقة فوهم انكار المعاد الذي
اخبرت به الرسل فقد كفروا بالله وبرسله وباليوم الآخر والمقصود
التنبيه على فضيلة النكاح وكان نعلا بالاطباء يرون ان الجماع احد اسباب
حفظ الصحة وقد قالوا ان المني اذا دام احتقانه احدث امراضا رديئة منها
الوسواس والجنون والصرع وغير ذلك وقد يرى استعماله من هذه الامراض كثيرا
فانه اذا طال احتباسه افسد واستحال الى كيفية رديئة يوجب امراضا رديئة ولذلك
تدفعه الطبيعة اذا كثر عندها من غير جماع وقال ابن زكريا من ترك الجماع مدة
طويلة ضعفت قوى اعصابه واشتدت مجاريها وتقلص ذكره قال وربما جملة
تركوه لنوع من التشقق فبردت ابدانهم وعشرحركاتهم ووقعت عليهم كآبة
بلا سبب وقلت شهواتهم وهضمهم انتهى غض البصر وكف النفس
والقدرة على العفة عن الحرام وتحصيل ذلك للمرأة فهو ينفع نفسه في دنياه وآخرته
وينفع المرأة فشرعية للانبياء ويجبهم له يحمل المقتدى بهم على تحصيله فيترتب
عليه ما ذكرناه من الصالح وغيرها فقد ظهر بما قررناه ان النكاح فضيلة يرغب
فيها الافاضل ولا يقدح في فضله الا غبي جاهل ولذلك كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتعاهده ويحبه ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت
قرة عيني في الصلاة وحث على التزويج امته فقال تزوجوا فاني مكاثر
بكم الامم وانكر على النفر من اصحابه الذين قال احدهم اما انا فاصلي الليل ابدا
وقال الآخر وانا اصوم الدهر ولا افطر وقال الآخر وانا اعتزل النساء ولا اتزوج
ابدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاخشاكم لله واتقاكم له ولكني اصوم
وافطر واصلي وارقد وانزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني اخرجه
البخاري ومسلم وقال لعثمان ابن مضعون ارغبت عن سنتي قال لا واي
يا رسول الله ولكن سنتك اطلب فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاني انام و
اصلي واصوم وافطر وانكح النساء فاتق الله يا عثمان فان لاهلك عليك
حقا وان لضيفك عليك حقا وان لنفسك عليك حقا فصم وافطر وصل
ونم اخرجه ابو داود وحبب النساء والنكاح من كمال الانسان ولو كان نقيصه

والمقصود
لعله
وتحصيل
بلغ

او قدحا فى الفضيله لصان الله عند انبياءه ورسله الذين اصطفيهم
على العالمين هذا خليل الله ابراهيم امام الحنفاء كانت عنده ساره اجمل
نساء العالمين واحب هاجر وشرى بها وهذا داود عليه السلام على زهده
واكله من عمل يده كان عنده تسع وتسعون امراة فاحب تلك المراة
وتزوج بها فكمل المائه وهذا سليمان ابنه عليه السلام كان يطوف
فى الليله على تسعين امراة قال ابن عباس كان فى ظهر سليمان عليه السلام
مائه مائه رجل وكان له ثلثمائه امراه وثلثمائه سريه وحكى النقاش
وغيره سبعمائه امراة وثلاث مائه سريه ذكره القاضى عياض ولكون
النكاح بهذه المثابه من الفضيله قال بعض العلماء ان ثار الله
على يحيى عليه السلام بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا لا
ذكر معه قال عياض انكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذا
نقصه وعيب لا يليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب
اى لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليس
له شهوه فى النساء انتهى واما ما اشار اليه النصارى من تراد عيسى
عليه السلام للتزويج فليس فيه دلاله على ان ذلك افضل لانا قد
بينا بالادله الواضحه شرعا وعقلا افضليه التزويج وان عدم القدره
على النكاح ليس فضيله فالفضل فى كونها موجوده ثم تختلف
حال الشخص فمن لم تتشوق وقته للقيام بحقوق الله فقمع نفسه اما بالجاء
كعيسى عليه السلام او بكفايه من الله تعالى كيحيى ابن زكريا عليه السلام
فذلك فضيله من هذا الوجه لكون التزويج شاغلا فى كثير من الاوقات
وقات حاطا الى الدنيا اوعرضا لتضييع الحقوق الواجبه فيه ثم فى
حق من قدر عليه وقام بالواجب فيه ولم يشغله عن رتبه درجه
عليا وهى درجه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذى لم تشغله كثره
النساء عن عباده ربه عز وجل بل زاده ذلك عباده لتحصينهن و
قيامه بهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن ونقلهن للامه محاسنه

لعله مجبوبا.

الباطنه بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ
دنيا غيره فقال حبب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قره عينى فى
الصلوه فدل على ان حبه النساء والطيب اللذين هما من امور دنيا غيره
واستعماله لذلك ليس لذات دنياه بل للاخرويه للفوايد التى ذكرناها فى
التزويج والقاء الملائكه فى الطيب ولغير ذلك وكان حبه الحقيقى المختص
بذاته فى مشاهده جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحقين
وفصل بين الحالتين فقال وجعلت قره عينى فى الصلوه فقد ساوى
عيسى ويحيى فى كفايه نفسه ونزاد فضيلته فى القيام بهن واما
الجاه فهى كما قال القاضى ابو الفضل محمود عند العقلاء عاده
وبقدر وجاهه تكون عظمته فى القلوب لكن افاته كثيره فهو مضر لبعض
الناس لعقبى الاخره فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد
فى الشرع مدح الخمول وذم العلو فى الارض وكان صلى الله عليه وسلم
قد رزق من الحشمه والمكانه فى القلوب والعظمه قبل النبوه
عند اهل الجاهليه وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه و
يقصدون اذاه فى نفسه خفيه واذا واجههم اعظموا امره وقضوا
حاجته واخباره فى ذلك معروفه وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته
من لم يره كما روى عن قيله انها للوانه اوعدت من الفرق
فقال يا مسكينه عليك السكينه وفى حديث ابن مسعود ان
رجلا قام بين يديه فارعد فقال صلى الله عليه وسلم هون عليك
فانى لست بملك انما انا ابن امراه من قريش تاكل القديد وا
تاعظيم قدره بالنبوه وشريف منزله بالرساله وانافه رتبته
بالاصطفى والكرامه فى الدنيا فامره هو بالغ النهايه ثم هو فى
الاخره سيد ولد ادم انتهى وكان صلى الله عليه وسلم على ما
اعطاه الله من الجاه العريض ونفوذ الكلمه وعلو المنصب فى رفعه
الرتبه فى غايه التواضع لربه تعالى وكان ينهى اصحابه ان يقوموا له

كما تقوم الاعاجم بعظم بعضها بعضا وقال صلى الله عليه وسلم انما انا
عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يركب الحمار و
يردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد
ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث انتهى به المجلس جلس وعن
عائشة والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفة النبي صلى الله عليه
وسلم وبعضهم يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي
ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه ويعلق دلوه ويرقع ثوبه ويقم البيت
ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويحمل بضاعته من السوق ويشاور
الاشارة الى حمله واحتماله وعفوه بعد القدرة فيما يعد انشاء الله
تعالى القسم الثالث وهو ما اختلف الحال في التمدح به والثنا
خر بسببه والتفضيل لاجله كثرة المال فمتى كان صاحبه متفقا
لدى محمدة مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة في القلوب
والله كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر و
قصد به الدار الاخرة كان فضيلة عند الكل ومتى كان صاحبه
ممسكا له عاد كثرة كالعدم وكان منقصة في صاحبه يشبه خازن
المال لا محمدة ولا مال له فانظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم في
المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت له
الغنايم وفتح عليه صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة
العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق وجبي اليه من جزيتها واخماسها
وصدقاتها ما لا يحصى الملوك الا بعضه وهادنه جماعة من
ملوك الاقالم فما استثر بشيء منه وما امسك منه درهما بل صرفه
في مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال عليه الصلاة
والسلام ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا
دينارا رصده لدين واتته دنانير فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها
لبعض نسوته فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الان استر حت

وبالجملة

وبالجملة فتفاصيل اخلاقه الكريمة واوصافه العظيمة تقصر دونها الالسنة
وتكل عن تدوينها الاقلام وانما اثبتنا في هذا الفصل ما اقتضته الحال
على سبيل الاختصار وفي المقال جوابا عن قول المعرض وكيف علا ما تراك
طراح اللذات البديد بما فيه مقنع لذوي الفطن والعقول المستنيرة
فصل واما قول النصراني ان يفرع على ما تعترف به المسلمون
المسيح الموعود به في التوراة وكتب الانبياء ويسميه محمد بكلمة الله
وروحه ويقول انه لم يكن له اب من البشر واما محمد فهو مولود على
الطريق المعتاد في الطبيعة فالجواب عنه ومن الله التاييد ان
نقول اما الثناء على عيسى عليه السلام وتنزيهه وتنزيه امه عليها
السلام عن فرية المفترين وكذب الكاذبين فقد جاء بذلك نبينا صلى
الله عليه وسلم وذلك تصديق نص الانجيل الذي قدمنا ذكره في وصف
الفارقليط حيث قال وهو يمجدني فلم يجده تمجيده الحق الا محمد
صلى الله عليه وسلم فانه جاء بتنزيه اخيه المسيح عن فرية المكذبين
له وفرية الغالين فيه واتى فيه بالحق والمذهب الوسط بين غلو
النصارى وطراهم وبين تكذيب اليهود وجفائهم قال الله تعالى في كتابه
العزيز اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح
عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس في
المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب اني يكون لي ولد ولم يمسسني
بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن
فيكون وقال تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا
على الله الا الحق انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم
انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما في السموات وما في
الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله
ولا الملائكة المقربون وقال تعالى ان هو الا عبد انعمنا عليه و

وجعلناه مثلا لبني اسرائيل والايات في هذا المعنى كثيرة معلومة
وفي الصحيحين عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها
الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان
من العمل فهذا ما يعترف به المسلمون من امر المسيح عليه السلام واما
كون ذلك يقتضي تفضيله على خاتم الانبياء وسيد ولد آدم فكلا ولما
ولكنه اية من ايات الله الدالة على قدرته على ما يشاء حيث اوجده
من ام بلا اب بل خلقه بكلمته كن كما قال تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فالله تعالى
خالق البشر على اربعة انواع من الخلق فخلق ادم عليه السلام من
تراب من غير اب ولا ام وخلق حوى من اب بلا ام حيث خلقها
من ضلع ادم وخلق عيسى عليه السلام من ام بلا اب وخلق
سايرالخلق من بين الام والاب فتبارك الله احسن الخالقين
وهذا التنويع في الخلق دال على قدرة الخلاق وكمال ربوبيته
وانه ما شاء كان وانه المستحق ان يعبد وحده لا شريك له وان
لا يجعل له ندا من خلقه تعالى عما يشركون وليس في خلق عيسى
عليه السلام من ام بلا اب ما يقتضي تفضيله على ابراهيم امام
الحنفاء وخليل الرحمان ولا على موسى كليم الله وبحيه فضلا عن ان
يدل على تفضيله على خاتم الانبياء وسيد الخلق في الدنيا والاخرة
وكما انه ليس في تخصيص آدم بخلقه من تراب لا يقتضي تفضيله على غيره
فكذلك عيسى عليه السلام وايضا فخلق حوى عليها السلام من غير
ام ولا يقتضي تفضيلها على مريم ابنة عمران وفاطمة بنت محمد صلى الله
عليه وسلم وانها خديجة وعائشة واسية امراة فرعون فقد
جاءت الاحاديث بفضلهن على سايرالنساء فعرفت انه ليس في

ولادة محمد صلى الله عليه وسلم على الطريق المعتاد في الطبيعة ما يحط رتبته
او يقدح في فضيلته او يقتضي تفضيل مخلوق عليه فان الكل اشتركوا في
ان الله تعالى اوجدهم من العدم وخلقهم بعدان لم يكونوا على ما اقتضته
حكمته ثم اختص من شاء منهم بما شاء وفضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم
فوق بعض درجات على وفق ما اقتضاه في الازل وجرايه قلم التقدير والقضاء
قضاه اختيار الرب تعالى واصطفاؤه كما قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار
وايضا فعيسى عليه السلام حملت به امه وتقلب في رحمها ووضعته
على الطريق المعتاد في حمل النساء وولادتهن فهل كان ذلك نقصا في حقه
وحطا لرتبته واذا لم يكن كذلك تحقق ان ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم
بين الابوين لا نقص فيه اذ خصايص البشرية من خلقه من ضعف ثم
حاجته الى الطعام والشراب اذ لا ينفك منه بشر وهذا برهان قاطع على
بطلان ربوبية المسيح وامه كما نبه تعالى على ذلك في قوله ما المسيح ابن
مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام
انظر كيف نبه بهم الايات ثم انظر الى ما يؤفكون فليس من تعظيم الانبياء
الغلو فيهم ومجاوزة الحد برفعهم عن منزلة العبودية الى منزلة
الالوهية والربوبية كما هو مذهب النصارى فانهم تجاوزا الحد في
عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي اعطاه الله اياها بل غلوا في
اتباعه وادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقا
او باطلا او ضلالا او رشادا او صدقا او كذبا وهذا قال تعالى اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا
الا ليعبدوا الها واحدا سبحانه عما يشركون وفسر النبي صلى الله
عليه وسلم لعدي ابن حاتم عبادتهم اياهم بانهم كانوا يحلون لهم ما
حرم الله فيستحلونه ويحرمون عليهم ما احل الله فيحرمونه وقال
الله تعالى يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق
ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا

عن سواء السبيل ومعنى الاية لا تجاوزوا الحد في اتباع الحق ولا
تطروا ابن مريم حتى تبالغوا في تعظيمه حتى تخرجوه من حيز النبوة
الى مقام الالهية وهو نبي من الانبياء فجعلوه الها من دون الله
وما ذلك الا لاقتدائكم بشيوخ الضلال الذين سلفكم من
قبل قديما واضلوا كثيرا واضلوا عن سواء السبيل وخرجوا عن
طريق الاستقامة والاعتدال الى طريق الغواية والضلال و
قد حذر النبي صلى الله عليه وسلم امته من الغلو وان يصنعوا
مثل صنيعهم ففي مسند الامام احمد وصحيح البخاري عن ابن عباس
عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله وقال الامام احمد حدثنا حسن ابن موسى
حدثنا حماد ابن سلمة عن ثابت البناني عن انس ان رجلا قال يا محمد
يا سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس عليكم بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان
انا محمد ابن عبد الله عبد الله ورسوله ما احب ان ترفعوني
فوق منزلتي التي انزلني الله عز وجل نصل واما ما وصف
الله به المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم
وروح منه فمعناه انما هو عبد من عباد الله وخلق من خلقه
قال له كن فكان رسولا من رسله ومعنى قوله وكلمته القاها
الى مريم اي خلقه بالكلمة التي ارسل بها جبريل عليه السلام
فنفخ فيها من روحه باذن ربه عز وجل وكانت تلك النفخة
التي نفخها في جيب درعها فنزلت حتى ولجت الفرج فكانت
بمنزلة لقاح الاب ولام والجميع مخلوق لله عز وجل ولهذا
قيل لعيسى انه كلمة الله وروح منه لانه لم يكن لاب
تولد منه وانما هو نافشيء عن الكلمة التي قال الله بها كن

فكان

فكان والروح التي ارسل بها جبريل قال الله تعالى ان مثل عيسى
عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقال
عبد الرزاق عن معمر عن قتادة وكلمته القاها الى مريم وروح
منه هو قوله كن فكان وعن بعض السلف قال ليست الكلمة صارت
عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى قال ابن كثير وهذا احسن مما اراد
عاه ابن جرير في قوله القاها الى مريم ان علمها بها كما زعم في قوله تعالى
اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اي يكون بكلمة
منه ويجعل ذلك كقوله وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب بل
الصحيح انها الكلمة التي جاء بها جبريل الى مريم فنفخ فيها باذن الله
فكان عيسى عليه السلام انشيء فان قيل الكون بكلمة كن ليس مختصا
بعيسى بل هو عام في كل مخلوق كما قال تعالى انما امره اذا اراد شيئا
ان يقول له كن فيكون اجيب بانه لما كان السبب المتعارف
في حق عيسى وهو الاب كان منتفيا حدوثه بالكلمة اكمل واتم
فجعل بهذا التاويل كانه نفس الكلمة اكمالا من ظهر عليه الجود والكرم
والاقبال يقال فيه على سبيل المبالغة انه نفس الجود ومحض الكرم
والاقبال فكذا ها هنا واما من في قوله تعالى وروح منه فليست
للتبعيض كما تقوله النصارى بل لابتداء الغاية كما في قوله تعالى وسخر لكم
ما في السموات والارض جميعا منه اي من خلقه ومن عنده فهو مخلوق
من روح مخلوق واضيف الروح الى الله عز وجل التشريف كما اضيفت
الناقة والبيت الى الله في قوله هذه ناقة الله وفي قوله وطهر
بيتي للطائفين وكما في الحديث الصحيح وادخل على ربي في داره
اضافها اليه اضافة تشريف لها وهذا كله من قبيل واحد
وغط واحد قاله ابن كثير وقال غيره قد جرت عادة الناس اذا
اذا وصفوا شيئا بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما
كان عيسى لم يكن عن نطفة الاب وانما كان عن نفخة

جبريل لاجرم وصف بانه روح وقيل وصف بانه روح لانه كان
سببا لاحياء الخلق في اديانهم ومن كان كذلك وصف بانه روح كما
قال تعالى في صفة القرآن وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
وقيل روح منه اي رحمة منه كما قيل في تفسير قوله تعالى وايدهم
بروح منه اي رحمة منه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انما
انا رحمة مهداة فلما كان عيسى عليه السلام رحمة من الله تعالى
على الخلق من حيث انه كان يرشدهم الى مصالحهم في دينهم ودنياهم
لاجرم سماه روحا منه قال ابن كثير والاول اظهر يعني انه مخلوق
من روح مخلوق وان الاضافة للتشريف وتقدمت شواهده
فهذا مذهب الحق واعتقاد المسلمين في وصف المسيح بانه كلمة الله
وروح منه واما مذهب النصارى الملحدة فقد حكى الله عنهم في كتابه
ثلاث مقالات من الكفر فقال لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه
من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين
من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من
اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا
منهم عذاب اليم وقال تعالى في خطاب اهل الكتاب ولا تقولوا
ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد
وقال تعالى وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم في
هذا المعنى وقال شيخ الاسلام ابو العباس واعلم ان من الناس
من يزعم ان هذه الاقوال الثلاثة التي ذكرها الله عن النصارى
هي قول الاضافة الثلاثة اليعقوبية وهم شرهم وهم السودان
من الحبشة والقبط ثم الملكية وهم اهل الشام ومن
والروم ثم النسطورية وهم نشأوا في دولة الاسلام في زمن المأ
وهم قليل فاليعقوبية تزعم ان اللاهوت والناسوت اتحدا

متزجا

متزاجا كامتزاج الماء واللبن فهما جوهر واحد واقنوم واحد وطبيعة واحدة
فصار عين الناسوت عين اللاهوت وان المصلوب هو عين اللاهوت والملكية تزعم
انهما صار جوهر واحد له اقنومان وقيل اقنوم واحد له جوهران والنسطورية
يقولون هما جوهران اقنومان وانما اتحدا في المشيئة وهذا قول من
يقول بالاتحاد واما القول بالحلول فمن المتكلمين كابي المعالي من يذكر الخلاف
فيه عن خرقهم الثلاث وذكر طوائف من المتكلمين كابن الراغوني عنهم
انهم جميعا يقولون بالاتحاد والحلول لكن الاتحاد بالمسيح والحلول في مريم
فقالوا اتفقت طوائف النصارى على ان الله جوهر واحد له ثلاثة
اقانيم وان كل واحد من الاقانيم جوهر خاص يجمعها الجوهر العام و
ذكروا اختلافا بينهم ثم ذكر اليعقوبية والنسطورية والملكية قال الناقلون عنهم واختلفوا في الكلمة الملقاة الى مريم فقالت طائفة منهم ان
الكلمة حلت في مريم حلول الممازجة كما يحل الماء في اللبن فيمازجه
ويخالطه وقالت طائفة منهم انما حلت في مريم من غير ممازجة كما ان
شخص الانسان يحل في المرآة وفي الاجسام الصقيلة من غير ممازجة ومن
طائفة ان اللاهوت مع الناسوت كنقش الخاتم مع الشمع ويؤثر فيه النقش ثم
لا يبقى فيه شيء الا اثر فيه ثم ذكر هؤلاء عنهم في الاتحاد نحو ما حكي
الاولون فقالوا قد اختلف قولهم في الاختلاف اختلافا متباينا فمن زعم
قوم منهم ان الاتحاد هو الكلمة التي هي الابن حلت جسد المسيح وهذا قول
الاكثرين منهم ومن زعم قوم منهم ان الاتحاد هو الاختلاط والامتزاج و
قال قوم من اليعقوبية هو ان كلمة الله انقلبت لحما ودما بالاتحاد و
قال كثير من اليعقوبية والنسطورية الاتحاد هو ان الكلمة والناسوت اختلطا فامتزجا كاختلاط الماء بالخمر وقال قوم منهم ان الكلمة
اتحدت بجسد المسيح على معنى انها حلت من غير تماسد ولا ممازجة
وقالت الملكية الاتحاد هو الاثنين صارا واحدا وصارت الكثرة
قالوا فزعم بعض الناسوتية ان الذي قالوا هو المسيح ابن مريم هم

الذين قالوا التحدا حتى صار شيء واحدا والذين قالوا هما جوهر واحد
له طبيعتان يقولون هو ولده بمنزلة الشعاع المتولد عن الشمس والذين
قالوا جوهرين وطبيعتين واقنومين مع الرب قالوا ثالث ثلاثة وهذ
الذين قاله هؤلاء ليس بشيء وان الله اخبر ان النصارى يقولون
انه ثالث ثلاثة وانهم يقولون ان الله وانهم يقولون انه ابن الله
وقال لهم لا تقولوا ثلاثة مع اخباره ان النصارى افترقوا والقى
بينهم العداوة والبغضاء بقوله ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا
ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى
يوم القيمة وقد ذكر هذا اخبارا بتفرقهم الى هذه الاصناف الثلاثة
وغير ذلك وقد اخبر سبحانه عقب قولهم ثالث ثلاثة بما يقتضي ان
هؤلاء اتخذ الله ولدا فقال ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم
انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد وقد ذكر ايضا ما يقتضي
ان قولهم ان الله هو المسيح ابن مريم من الشرك فقال تعالى لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار فهذا يقتضي ان هذا
القول من الشرك وذلك لانهم مع قولهم ان الله هو المسيح ابن مريم لا
يخصونه بالمسيح بل يثبتون ان له وجودا وهو الاب وليس هو الكلمة
التي في المسيح فعبادتهم اياه معه اشراك وذلك مفهوم الى قولهم انه
هو وقولهم انه ولده وقد نزه الله تعالى نفسه عن هذا وهذا في
غير موضع من القرآن كما قال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على
عبده ليكون للعالمين نذيرا الذي له ملك السموات والارض
ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء
فقدره تقديرا وايضا فهذه الاقوال لا تنطبق على ما ذكرناه
الذين يقولون انهما اتحدا وصارا شيئا واحدا يقولون ايضا انما

التحديد الكلمة التي هي الابن والذين يقولون هما جوهر واحد له طبيعتان
يقولون ان المسيح اله وان الله والذين يقولون انه حل فيه حلت فيه
الكلمة التي هي الابن وهي الله ايضا بوجه اخر كما سنذكره وايضا فقولهم
ثالث ثلاثة ليس المراد به الله واللاهوت الذي في المسيح وجسد المسيح
فان احدا من النصارى لا يجعل لاهوت المسيح وناسوته الهين ويفصل
الناسوت عن اللاهوت بل سواه قال بالاتحاد او بالحلول فهو تابع اللاهوت
وايضا فقوله تعالى عن النصارى ولا تقولوا ثلاثة ولقد كفر الذين
قالوا ان الله ثالث ثلاثة قد قيل ان المراد به قول النصارى باسم الاب
والابن وروح القدس اله واحد وهو قولهم بالجوهر الواحد الذي له ثلاثة
اقانيم اي ثلاث صفات وخواص وقولهم انه هو الله وابن الله هو الاب
والحلول فعلى هذا تكون تلك الآية على قولهم بتثليث الاقانيم و
هاتان في قولهم بالحلول والاتحاد فالقرآن على هذا القول رد في كل آية بعض قولهم
على القول الاول رد في كل آية على صنف منهم وقيل ان المراد بذلك
جعلهم المسيح الها وامه لقابلة الله كما ذكر الله في قوله واذ قال الله يا عيسى
ابن مريم اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال
سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب ما
قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت
على كل شيء شهيد ويدل على ذلك قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا
ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما
يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله و
يستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من
قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام فقوله ما المسيح ابن مريم
الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام
عقب قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة يدل على ان

التثليث الذي ذكره الله عنهم اتخاذ المسيح ومريم الهين وهذا واضح على
قول من حكى عن النصارى انهم يقولون بالحلول في مريم والاتحاد بالمسيح
وهو اقرب الى تحقيق مذهبهم وعلى هذا فتكون كل اية مما ذكره الله في
اقوالهم تعم جميع طوائفهم وتعم اضافاتهم بتثليث الاقانيم وبالاتحاد والحلول
فتعم اصنافهم واصناف كفرهم ليس تخص كل اية بصنف كما قال من زعم
ذلك ولا تختص اية بتثليث الاقانيم واية الحلول والاتحاد بل هو سبحانه
ذكر في كل اية كفرهم للشرك ولكن وصف كفرهم بثلاث صفات وكل
صفة تستلزم الاخرى انهم يقولون المسيح هو الله ويقولون هو ابن الله و
يقولون ان الله ثالث ثلاثة حيث اتخذ والمسيح وامه الهين من دون
الله هذا بالاتحاد وهذا بالحلول ويبين بذلك اثبات ثلاثة الهة منفصلة
عن الاقانيم وذلك يتضمن كفر النصارى وذلك انهم يقولون الاله جوهر
واحد له ثلاثة اقانيم وهذه الاقانيم يجعلونها تارة جواهر واشخاصا
وتارة صفات وخواص فيقولون الوجود الذي هو العلم وروح القدس
التي هي الحيوة عند متقديمهم والقدرة عند متاخريهم لكن يقولون
ايضا ان الوجود الذي هو الاب جوهر والكلمة التي هي الابن جوهر و
روح القدس ايضا جوهر وان اتحاد المسيح هو جوهر الكلمة دون جوهر
الاب وروح القدس وهو مما الاتفاق بينهم فيه **قلت** وبيان هذا
الاعتقاد بعبارة اخرى من كلام بعض المحققين ان النصارى اعتقدوا
ان معبودهم جوهر اي اصل الاقانيم وذلك ان اله عندهم ثلاثة اقانيم
اقنوم الوجود ويعبرون عنه بالاب واقنوم العلم ويعبرون عنه
بالابن والكلمة واقنوم الحيوة ويعبرون عنه بروح القدس ثم قالوا
مجموع الثلاثة اله واحد والاقنوم كلمة يونانية والمراد بها في تلك اللغة
اصل شيء ويعنى بها النصارى الاصل الذي كانت عليه حقيقة الفهم
وقد طولبوا في دليل الحصر في الثلاثة فقالوا ان الخالق والاب يباين
لابنائي الايها فقيل لهم والارادة والقدرة لابنائي الخالق الا بهما

فيلزم

فيلزم الحكم بان الاقانيم خمسة وهو باطل فكذا التثليث والله اعلم
قال ابو العباس ومن ها هنا قالوا كلهم المسيح هو الله وقالوا كلهم هو ابن
الله انه من حيث ان الاب والابن وروح القدس اله واحد وقد اتحد
بالمسيح كان المسيح هو الله ومن حيث ان الاب جوهر والابن جوهر و
روح القدس جوهر والذي اتحد به هو جوهر الابن الذي هو الكلمة
كان المسيح هو ابن الله عندهم ولا ريب ان هذين القولين وان كان
كل منهما متضمنا للكفر هم كما ذكره الله فانهما متناقضان اذ كونه هو نفسه
كونه ابنه لكن النصارى يقولون هذا كلهم كما ذكر الله ذلك عنهم وهذا
كان قولهم معلوم التناقض في بداعة العقول عند كل من تصوره
فان هذه الاقانيم اذا كانت صفات او خواصا وقدرات الموصوف
له بكل صفة اسم كما مثلوه بقولهم زيد الطبيب وزيد الحاسب و
زيد الكاتب لكن لا يمكن ان تعرض هذه الصفات تحدث بشيء دون
الجوهر ولا ان بعض هذه يفارق بعضا فلا يتصور مفارقة
بعضها بعضا ولا مفارقتي منها الموصوف حتى يقال اتحد بالمسيح بعض
هذه الصفات وهم لا يقولون بذلك والموصوف ايضا لا يفارق صفاته
كما لا تفارقه فلا يمكن ان يقال اتحد الجوهر بالمسيح باقنوم العالم
دون الحيوة اذ العلم والحيوة لازمان للذات ولا ان يفارقهما واحد
منهما ومن ها هنا قيل النصارى غلطوا في اول مسئلة الحسنا الذي
يعلمه كل احد وهو قولهم الواحد ثلاثة واما قول بعضهم احدي الذات
ثلاثي الصفات فهم لا يكتفون بذلك كما تقدم بل يقولون الثلاثة
جواهر والمتحد المسيح واحد منهما دون الاخر وهذا يتبين ان كل
من اراد ان يذكر قولهم على وجه يعقل فقد قال الباطل كقول
المتكايسين منهم هذا كما تقول زيد الطبيب وزيد الحاسب و
زيد الكاتب فهم ثلاثة رجال باعتبار الصفات وهم رجل واحد
باعتبار الذات فانه يقال من يقول هذا لا يقول بان زيد الطبيب

فعل كذا او تحد بكذا وحاله دون ذلك الحاسب الكاتب

ونظير هذا المثل ما قاله بعضهم انك اذا فرضت مثلثا متساوي الاضلاع كما
ثلاثة اضلاع ص
بعد غلط
نت الاضلاع ثلاثة والمثلث واحد وكان للمثلث الواحد وهذا من غلط
ما قيله في الفساد واذلك ان كل واحد من الاضلاع على انفراده ليس هو المثلث
المفروض بل ان اعدت الاضلاع الثلاثة شيئا واحدا انتفى التثليث لان
لواحد لا يكون ثلاثة وان اعتبر احد الاضلاع على انفراده انتفت الوحدة
بالجمع بينهما جمع بين النقيضين والله اعلم قال والنصارى يجتمعون هذا
المثلث في الاقانيم مع قولهم ان المتحد هو الواحد فيجعلون المسيح هو الله
لانهم يقولون الموصوف المتحد به ويجعلون المسيح هو ابن الله لانهم
يقولون الموصوف المتحد به ويجعلون المسيح هو ابن الله لانهم يقولون انما
اتحد به الجوهر الذي هو الكلمة وانما اتحد به الكلمة دون الاب الذي هو
الوجود دون روح القدس وهما ايضا جوهران فقد تبين ان قول النصارى
بهذا وبهذا جمع بين النقيضين وهو من افسد شيء في بداية العقول وكل
منهما كفر كما كفرهم الله واما قولهم ثالث ثلاثة فانهم مع ذلك يعبدون
الام التي هي والدة الاله عندهم وهذا كفر اخر مستقل بنفسه غير تثليث
الاقانيم والاتحاد للمسيح فالقرآن يتناول جميع اصناف كفرهم في هذا
الباب تناولا تاما انتهى وقد اقام الله تعالى

بياض

انواع الادلة والبراهين على بطلان دعوى هؤلاء الجهلة الضلال وا
عتقادهم في المسيح وبين ذلك في كتابه العزيز في مواضع كثيرة بطرق
عقلية وبحج واضحة جلية فتذكر منها انموذجا يدل على ما وراءه فمن ذلك
قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض
كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون فاشتملت هاتان الايتان على الرد عليهم دعواهم الولد لله
وتنزيه نفسه عنه فقال سبحانه اي تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك
ثم ذكر عدة حجج على استحالة اتخاذه الولد احدها كون ما في السموات

بلغ

والارض

والارض ملكا له وهذا ينافي ان يكون فيهما ولد له لان الولد بعض الوالد
وشريكه فلا يكون مخلوقا له مملوكا لان المملوك مربوب عبد من العبيد
والابن نظير الاب فكيف يكون عبدا ومخلوقا ومملوكا بعضه ونظيره
فهذا من ابطل الباطل واكد مضمون هذه الحجة بقوله كل له قانتون
فهذا تقرير لعبوديتهم له وانهم مملوكون مربوبون ليس فيهم شريك ولا
نظير ولا ولد فاثبات الولد له من اعظم الاشراك به فان المشرك به
جعل له شريكا من مخلوقاته مع اعترافه بانه مملوكه كما كان المشركون
من العرب يقولون في تلبيتهم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك هو لك
تملكه وما ملك فكانوا يجعلون ما اشركوا به مملوكا له عبدا لخالقه
والنصارى جعلوا له شريكا هو نظيره وجزء ومن اجزائه كما جعل
بعض المشركين الملائكة بنات الله فقال تعالى وجعلوا له من
عباده جزءا فان كان له ما في السموات وما في الارض وهم عبيده
قانتون مملوكون استحال ان يكون له منهم شريك وكل هذه
اقرباب الله ما في السموات وما في الارض يلزمه ان يقر بالتوحيد ولا بد الحجة الثانية قوله بديع السموات والارض وهذه
من ابلغ الحجج على استحالة نسبة الولد اليه ولهذا قال في سورة
الانعام بديع السموات والارض انى يكون له ولد اي من اين لبديع
السموات والارض ولد ووجه هذه الحجة ان من اخترع السموات
والارض مع عظمها واياتهما وفطرهما وابتدعهما فهو قادر على اختراع
ما دونهما ولا نسبة له اليهما البتة فكيف يخرج عن هذا الشخص عن
قدرته وابداعه ويجعلوا له نظيرا وشريكا وجزءا من الله تبارك
العالم العلوي والسفلي فاطره ومخترعه وبارئه فكيف يجوز ان
يوجد هذا الشخص من غير اب حتى يقولوا انه ولده فمن نسب
الولد لله فما عرف الرب ولا امن به ولا عبده فظهر ان هذه الحجة
من ابلغ الحجج على استحالة نسبة الولد اليه وبهذا الوجه قرر الاستدلال

الاشريك ص

بهذه الحجة غير واحد من المفسرين قال ابن القيم وان شئت
تقرير الاستدلال بهذه الحجة بوجه اخر وهو ان يقال اذا كان نسبة
السموات والارض وما بينهما اليه انما هي بالاختراع والخلق والابداع
انشأ ذلك وابتدعه من العدم الى الوجود فكيف يصح نسبة شيء من
ذلك اليه بالبنوة وقد رته على اختراع العالم وما فيه لم يزل ولم يحتج
فيه الى معاون ولا صاحب ولا شريك وان شئت ان تقررها بوجه اخر
فتقول النسبة اليه بالبنوة مستلزمة حاجته وفقره للمحال الولادة و
ذلك ينافي غناه وانفراده بابداع السموات والارض وقد اشار
تعالى الى هذا المعنى بقوله قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في
السموات وما في الارض فكمال قدرته وتمام غناه وكمال ربوبيته يحيل
نسبة الولد اليه ونسبته اليه يقدح في كمال ربوبيته وكمال غناه و
كمال قدرته وهذا كان نسبة الولد اليه مسبة له يتبارك وتعالى كما
في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى كذبني
ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اي
فزعمه اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اي فقوله ان لي
ولدا فسبحاني ان اتخذ صاحبة وولدا اخرجاه في الصحيحين واللفظ
للبخاري وقال عمر ابن الخطاب في النصارى ذلوهم ولا تظلموهم فقد سبق
الله مسبته ما سبه اياها احد من البشر وقال تعالى وينذر الذين قالوا
اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابائهم كبرت كلمة تخرج من
افواههم ان يقولون الا كذبا واخبر تعالى ان السموات كادت
تنفطر من قولهم وتنشق الارض منه وتخر الجبال هدا وما ذاك الا
لتضمنه شتم الرب تعالى والتنقص به ونسبة ما يمتنع كمال ربوبيته
وقدرته وغناه اليه الحجة الثالثة قوله واذا قضى امرا فانما يقول
له كن فيكون وتقرير هذه الحجة ان من كانت قدرته في الايجاد
بمجرد امره وقوله كن فاي حاجة به الى الولد وهو لا يتكثر به من قاله

ولا

ولا يتعزز به من ذله ولا يستعين به من عجز وانما يحتاج الى الولد من لا
يخلق ولا اذا اراد شيئا يقول له كن فيكون وهو المخلوق العاجز المحتاج
الذي لا يقدر على تكوين ما اراد ومن قوله تعالى بديع السموات
والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء
عليم ففي هذه الايه اربع حجج تدل على استحالة نسبة الولد اليه ومنافاة
ذلك كما له المقدس لحجة الاولى ما تضمنه قوله بديع السموات والارض و
تقدم تقريرها قريبا الثانية قوله ولم تكن له صاحبة والمعنى انه يلزم
من نسبة الولد اليه كذلك ونسبة الصاحبة اليه ايضا وهو محال
فنسبة الولد كذلك ووجه التلازم ظاهر لان الولد انما يتولد من اصلين
فاعل ومحل قابل متصلا اتصالا خاصا فينفصل عن احدهما جزء في الاخر
يكون منه الولد والله تعالى ليس له صاحبة فكيف يكون له ولد قال
ابن القيم ولذلك لما فهم عوام النصارى ان الابن يستلزم الصاحبة
لم يستنكفوا من دعوى كون مريم الها وانها والدة الاله عيسى فيقول
عوامهم يا والدة الاله اغفري لي ويصرح بعضهم بانها زوجة الرب
ولا ريب ان القول بالولد يستلزم ذلك اتباث الولد لا يعقل ولا يتوهم
محال فخواص النصارى في حيرة وضلال وعوامهم لا يستنكفون ان يقول
الزوجة والولد تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا والقوم في هذه
المذاهب الخبيثة اضل خلق الله فهم كما وصفهم الله بانهم قد ضلوا من قبل
واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل وقال غيره ان النصارى
يقولون ان الاب والد منه الكلمة ومريم ولد منها الناسوت فاتحد
الناسوت باللاهوت فكان المسيح عندهم اله تام وانسان تام
فاللاهوت من الله والناسوت من مريم فهو من اصلين لاهوت وناسوت
فاذا كان احد الاصلين اباه والاخر امه فلم لا تكون امه زوجة
ابيه واذا اتحد اللاهوت بناسوت المسيح مدة طويلة فلما
ذا يمتنع ان يجتمع اللاهوت بناسوت مريم مدة قصيرة واذا جعل

النّاسوت الذي ولدته ابتغاء اللاهوت فلاي شيء لا تجعل صاحبة وزوجة
اللاهوت تعالى الله عمّا يقول الكافرون علوّا كبيرا الحجة الثالثة قوله
تعالى وخالق كلّ شيء وتقرير الحجة انّه قد ثبت بالبراهين القاطعة انّه
تعالى خالق كلّ شيء فنسبة الولد اليه تنافي عموم خالقه فانّه لو كان له ولد لم
يكن مخلوقا له بل جزءا منه وهذا ينافي كونه خالق كلّ شيء وبهذا
يعلم انّ الفلاسفة الذين قالوا بتولّد العقول والنفوس عنه بواسطة
او بغير واسطة شرّ من النصارى وان من زعم انّ العالم قديم فقد
اخرج عن كونه مخلوقا لله والنصارى لم يصل كفرهم الى هذا الحدّ قاله
ابن القيم الحجة الرابعة وهو بكلّ شيء عليم وتقرير الدلالة انّه
تعالى لا يعلم له ولد فيستحيل نسبته اليه فانّه لو كان له ولد لعلمه لانّه بكلّ
شيء عليم ونظير هذا قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم
ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبّئون الله بما
لا يعلم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عمّا يشركون
فهذا نفي لما ادّعوه من الشفعاء بنفي المتلزوم لنفي العلوم
ومن ذلك قوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل وامّه صدّيقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبّههم الآيات ثمّ
انظر انّى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرّا ولا
نفعا والله هو السميع العليم وهاتان ذكرهما الله تعالى بعد الكفارة
النصارى في قولهم انّ الله هو المسيح ابن مريم وقولهم انّ الله ثالث ثلاثة
وابطل فيهما قولهم بعدّة من الادلّة الاوّل التنبيه على انّ المسيح عليه السلام
رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما اتوا
بآيات مثلها فانّ الذي ابرء الاكمه والابرص واحيا الموتى على يده
وهو الذي احيا العصا وجعلها حيّة تسعى وفلق البحر على يد موسى
لا غير ذلك من آياته وهو الذي اخرج الناقة لصالح من صخرة صمّاء
الذي خلق المسيح من غير ذكر هو الذي خلق آدم من غير ذكر ولا انثى

فكما

فلمّا لم يكن اتيانهم بالآيات دالّا على الهتهم فكذلك عيسى الثاني انّ من
له امّ فقد حدث بعد ان لم يكن وكلّ من كان كذلك كان مخلوقا والمخلوق لا
يكون الها الثالث انّهما كانا محتاجين لانّهما كانا يحتاجان الى الطعام والشراب
اشدّ الحاجة والاله هو الذي يكون غنيّا عن جميع الاشياء فكيف يعقل ان
يكون المسيح الها حاجة الرابع قال بعض العلماء ان قوله كانا يأكلان الطعام
كناية عن الحدث لانّ من اكل الطعام فلا بدّ ان يحدث فهذا ابلغ في
ابطال الهيّة الخامس انّ الاله لا بدّ ان يكون قادرا على الخلق والايجاد فلو كان
المسيح الها لقدر على دفع الجوع عن نفسه بغير الطعام فلمّا لم يقدر على دفع
الضرر عن نفسه فكيف يعقل ان يكون الها للعالمين ولمّا كانت هذه الحجج
غاية الجلاء ونهاية الظهور قال تعالى انظر كيف نبيّن لهم الآيات اي اظهرها
ثمّ انظر انّى يؤفكون اي ثمّ انظر بعد هذا البيان والوضوح والجلاء اين
يذهبون وباي شيء يتمسّكون السادس انّ اليهود كانوا يعادون المسيح
ويقصدونه بالسوء فما قدر على الانتصار لهم وكان انصاره يحتاجون
الى النفع فما قدر على ايصال نفع من منافع الدنيا اليهم والعاجز عن الضرّ
والنفع كيف يجوز ان يكون الها وهذا قال تعالى قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرّا ولا نفعا السابع انّ مذهب النصارى
انّ اليهود صلبوه ومزّقوا اعضاءه فما خلّصه من غير ذلك من زعمهم ومن كان
في الضعف هكذا كيف يعقل ان يكون الها الثامن انّ الاله العالم يجب
ان يكون غنيّا عن كلّ ما سواه وكلّ ما سواه يكون محتاجا اليه فلو كان
المسيح الها لامتنع ان يكون مشغولا بعبادة الله لانّ الاله لا يعبد شيئا انّما
العبد هو الذي يعبد الاله فلمّا عرف بالتواتر كون عيسى مواظبا على الطاعات والعبادات دلّ على انّه انّما كان يفعلها لكونه
محتاجا لتحصيل المنافع ودفع المضارّ واذا كان كذلك كان عبدا
كسائر العبيد ثمّ قال الله تعالى والله هو السميع العليم اي فلم عدلتم
عن السميع لاقوال عباده العليم بكلّ شيء الى عبادة عبد من العباد

علم صح

الآيات صح

لا يملك لنفسه ولا لغيره ضرّ ولا نفعاً وقد كان المسيح عليه السلام لم يسمع
اقوال الذين تمالوا عليه ولم يعلم بهم حتى وصلوا اليه فكيف يعلم انه الهامع
الله تعالى الله عما يشركون ومن ذلك ما تضمنه صدر سورة العمران فانه
كان سبب نزوله ان وفد نجران النصارى حين قدموا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون ان فيه ما يزعمون من النبوة
والالهية فانزل الله تعالى صدر السورة الى اية المباهلة رداً عليهم كما ذكره
الامام محمد ابن اسحق ابن يسار وغيره فنذكر طرفاً من قصتهم ثم نتبعه
ببعض ما تضمنه صدر السورة من الحجة انشاء الله تعالى قال ابن اسحق في
سيرته المشهورة وغيره قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران
ستون راكباً فيهم اربعة عشر رجلاً من اشرافهم في الاربعة عشر منهم ثلاثة
نفر اليهم يؤل امرهم العاقب امير القوم وذو رايهم وصاحب مشورتهم والذي
لا يصدرون الا عن رايه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم
ومجتمعهم واسمه الايهم وابو حارثة ابن علقمة احد بني بكر ابن وايل
اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان ابو حارثة قد
شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكان ملوك الروم من
اهل النصرانية قد شرفوه وموّلوه واخدموه وبنوا له الكنايس وبسطوا له
الكرامات لما يبلغهم من علمه واجتهاده في دينهم فلما وجهوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من نجران جلس ابو حارثة على بغلة له موجهاً والى
جنبه اخ له يقال له كوز ابن علقمة فعثرت بغلة ابي حارثة فقال كوز
تعسر الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل انت
تعست قال ولم يا اخي قال والله انه للنبي الذي كنا ننتظر فقال له كوز
ما منعك منه وانت تعلم هذا قال ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا وموّ
لونا واكرمونا وقد ابوا الا خلافه فلو فعلت ذهبوا عوّامنا كلما
ذهبوا فاضر عليها منه اخوه كوز ابن علقمة حتى اسلم بعد ذلك فهو كان
يحدث عنه هذا الحديث فيما يذكر قال وحدثني محمد ابن جعفر ابن

ابن الزبير قال قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا
عليه في مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وارديه في جمال
رجال بني الحارث ابن كعب قال يقول بعض من راهم من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم يومئذ ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا
في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق قال ابن اسحاق وكان من
دين النصرانية على دين الملك مع الاختلاف من امرهم يقولون
هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة وكذلك
قول النصرانية فهو يحتجون في قولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرئ
الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم
ينفخ فيه فيكون طيراً وذلك كله بامر الله تبارك وتعالى ولجعله
اية للناس ويحتجون في قولهم انه ولد الله بانهم يقولون انه لم
يكن له اب يعلم وقد تكلم في المهد وهذا شيء لم يصنعه احد من
ولد آدم قبله ويحتجون في قولهم انه ثالث ثلاثة بقول الله
فعلنا وامرنا وقضينا فيقولون لو كان واحداً ما قال الا فعلت
وقضيت وامرت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم في كل
ذلك من قولهم قد نزل القرآن فلما كلموه ولحبروه قال لهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قال انكما لم تسلما فاسلما
قالا بلى قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام
دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قال فمن
ابوه يا محمد فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما
فانزل الله في ذلك من قولهم واختلاف امرهم كله صدر سورة
العمران الى بضع وثمانين اية منها ثم تكلم ابن اسحق على تفسيرها الى ان
قال فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من الله عز وجل وبه
الفصل من القضاء بينه وبينهم وامر بما امره به من ملاعنتهم

ان ردّوا عليه دعاهم الى ذلك فقالوا يا ابا القاسم دعنا ننظر في امرنا
ثم نأتيك بما تريد ان نفصل فيما دعوتنا اليه ثم انصرفوا عنه و
خلوا بالعاقب وكان ذو رأيهم فقالوا يا عبد المسيح ما ترى فقال والله
يا معشر النصارى لقد عرفتم ان محمدا النبي المرسل ولقد جاءكم
بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم ما لاعن قوم نبيا قط فنبقى
كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه للاستيصال منكم ان فعلتم فان ابيتم
الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا
دعا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا ابا القاسم قد رأينا ان لا نلاعنك ونتركك على دينك و
نرجع على ديننا ولكن ابعث معنا رجلا من اصحابك ترضاه لنا يحكم
بيننا في اشيا اختلفنا فيها من اموالنا فانكم عندنا مرضي فقال لا
بن جعفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوني العشية ابعث
معكم القوي الامين قال فكان عمر ابن الخطاب يقول ما احببت الا
مارة قط حبي اياها يومئذ وجاء ان اكون صاحبها فرحت الى
الظهر مهجرا فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر سلم
ثم نظر عن يمينه وعن يساره فجعلت اتطاول له ايراني فلم يزل
يلتمس بصره حتى راى ابا عبيدة ابن الجراح فدعاه فقال اخرج
معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه قال عمر فذهب بها ابو
عبيدة وقد رويت هذه القصة بالاسانيد من وجوه اخر باطول
من هذا السياق ضربنا عن ذكرها صفحا خوف الاطالة وروى
البخاري ومسلم في صحيحهما عن حذيفة رضي الله عنه قال جاء
العاقب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريدان ان يلاعناه قال فقال احدهما لصاحبه لا تفعل فوالله
ان كان نبيا فلاعناه فلا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا انا
نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا امينا فقال لابعثن معكم رجلا

امينا

امينا حق امين فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال قم يا ابا عبيدة ابن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه
هذا امين هذه الامة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لو خرج
الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون
مالا ولا اهلا رواه الامام احمد في مسنده والبخاري في صحيحه
وجعنا الى ما وعدنا عليه من التنبيه على بعض ما في ضمن سورة
ال عمران من الحجة على بطلان قول النصارى وما في ضمنه من تقرير
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم مما استنبط العلماء من بعض اسرار هذه
الايات وما فيها من العلم وبسط الكلام على مواضع الدلالة يستدعي
طولا لا نقتضر على بعض ما في فاتحة السورة وخاتمة القصة قال الله
تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى
للناس وانزل الفرقان ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد
والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السما
هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم
هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون
في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب
ففي مطلع هذه السورة الكريمة من اقامة البرهان على وحدانية
الله تعالى ونفي الولد عنه وعلى بطلان ربوبية المسيح وعلى تحقق
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما هو من اقوى القواطع لشبه المبطلين و
الادلة المناديه بجهالة المجادلين وذلك ان اولئك النصارى الذين
جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانة قيل لهم اما ان جادلوه
في معرفة الاله او في النبوة فان كان النزاع في معرفة الاله

وتقولون ان المسيح ابن الله وتقولون انه الله وتقولون
ان الله ثالث ثلاثة فالحق معه بالدلايل العقليه فانه
قد ثبت بالبرهان انه حي قيوم وليس الحي القيوم يستحيل نسبة
الولد والشريك اليه لانه ذلك يقدح في حياته وقيوميته وا
ن كان النزاع في هذه النبوة فهذا ايضا باطل لان الطريق
الذي عرفتم به ان الله انزل التوراة والانجيل على موسى
وعيسى هو بعينه قائم في محمد صلى الله عليه وسلم وما ذاك الا ما
اقترن به من الدلايل والمعجزات وهو حاصل هاهنا فكيف
يمكن منازعته في صحة نبوته والحاصل ان هذه الايات الكريمة
تضمنت اقامة الحجة في الاصلين الاولين الالهيات والثاني في
النبوات وتقرير الاول انه تعالى حي قيوم وملكان حيا قيوما
يمتنع ان يكون له ولدا ومشاركا لان الحي القيوم هو واجب
الوجود لذاته وحياته وقيوميته لا ابتداء لها ولا انتهاء
فهو الاول فلا شيء قبله والاخر فلا شيء بعده واما ما عداه
فانه ممكن الوجود لذاته حدث بتخليق الحي القيوم وايجاده وتكو
وملكان محدثان مخلوقان فلا يكون لهما ولا يضاف نسبة الولد اليه
تنافي كمال حياته وقيوميته وذلك لان الولد جزء الوالد وفرع
عنه والولد حادث بعد ان لم يكن لانه بالضرورة لابد ان يكون
مسبوقا بالاب فيلزم ذلك حدوث الاب ايضا للارتباط الذي
بين الاب والابن من المشابهة وهذا على التعطيل الصرف
فثبت ان دعوى الولد لله تنافي ربوبيته للعالمين وايضا
لما ثبت ان الاله يجب ان يكون حيا قيوما وثبت ان عيسى
لم يكن حيا قيوما لانه ولد وكان ياكل ويشرب ويحدث
والنصارى زعموا انه قتل وصلب وما قدر على الدفع من
نفسه فثبت انه ما كان حيا قيوما وذلك يقتضي القطع

وايضا

وبالجزم

وبالجزم بانه ما كان الها فهذه الكلمة وهي قوله تعالى الحي القيوم جامعة
لجميع الوجوه الدلايل على بطلان قول النصارى بالتثليث واما
الاصل الثاني وهو اثبات النبوة فقد ذكر الله تعالى تقريره ههنا في
غاية الحسن ونهاية الجودة وذلك انه قال نزل عليك الكتاب وهذا
يجري مجرى الدعوى ثم انه تعالى اتبع ذلك بادلة تدل على صحتها
الدليل الاول مادل عليه قوله بالحق وقد قال المفسرون فيه اقوالا
كلها مطابقة لوصف القرآن دالة على المقصود فقيل وصفه بقوله با
لحق لانه يحمل المكلف على ملازمة الطريق في العقايد والاعمال و
يمنعه عن سلوك الطريق الباطل وقيل لانه قول فصل وليس بالهزل
وقيل لانه تعالى انزله بالحق الذي يجب له على خلقه من العبودية
وشكر النعمة واظهار الخضوع ويلحق بعضهم على بعض من العدل
والانصاف في المعاملات ولانه انزله يصدق بعضه بعضا
والا يتناقض كما قال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم
يجعل له عوجا وقال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
وهذه كلها من صفات القرآن فدل على انه من عند الله الدليل
الثاني قوله تعالى مصدقا لما بين يديه والمعنى انه مصدق لكتب
الانبياء عليهم السلام فيما اخبروا به عن الله تعالى فدل على انه
من عند الله من وجهين الاول ان الذي جاء به رجل امي لم
يقرا شيئا من الكتب ولا اخذ عن احد من العلماء ومع ذلك
جاءت اخباره مطابقة لاخبار الانبياء فيما تضمنته من القصص و
من الخبر عن الله تعالى وهذا برهان قاطع على انه لم يعلم ذلك
الا بوحي من الله تعالى الوجه الثاني ان الله تعالى لم يبعث نبيا قط
الا بالدعاء الى توحيده والايمان به وتنزيهه عما لا يليق به
والامر بالعدل والاحسان وبالشرايع التي هي صلاح كل زمان
والقرآن جاء بهذه المطالب على اكمل الوجوه واحسنها فهو

صدق لتلك الكتب في كل ذلك فدل على انه من عند الله الدليل
الثالث قوله تعالى وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس و
تقرير الدلالة ان يقال وافقتمونا ايها اليهود والنصارى على انه تعالى
انزل التوراة والانجيل كتابين الهيين وانه تعالى قرن بانزالهما المعجزة
والدلالات الدالة على الفرق بينهما وبين اقوال الكاذبين فانه لولا المعجزة
لما حصل الفرق بين قول المحق وقول المبطل ثم ان تلك المعجزات والادلة
كما حصلت في كون التوراة والانجيل نازلين من عند الله تعالى فذلك ايضا
حاصل في كون القرآن نازلا من عند الله واذا كان الطريق مشتركا فاما
ما يكون الواجب تكذيب الكل كما هو قول البراهمة ومن ضاهاهم وتصديق
الكل كما هو قول المسلمين وهو الحق الواضح المبين فاما قبول البعض و
رد البعض فذلك جهل وضلال وما قرن الله تعالى هذه الدلالات القاطعة
في شان الالهيات والنبوات اتبع ذلك بالوعيد لمن اعرض عنها
وكفر بها فقال تعالى ان الذين كفروا بايات الله لهم عذاب شديد
والله عزيز ذو انتقام واعلم ان النصارى لما ادعوا الالهية في عيسى
المسيح تعلقوا في دعواهم بشبهات اربع فلما قرر الله تعالى بطلان
قولهم في الهية عيسى وفي التثليث بقوله الله لا اله الا هو الحي القيوم
اتبع ذلك بابطال شبههم فالشبهة الاولى تتعلق بالعلم وهو ان المسيح
عليه السلام كان يخبر بالغيوب قالوا فوجب ان يكون الها فاجاب الله
تعالى عنه بقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء و
تقرير الجواب انه لا يلزم من كونه عالما ببعض المغيبات ان يكون الها
لان ذلك انما يكون بوحي من الله واطلاعه على ذلك لا لانه
على نبوته لكن عدم احاطته ببعض المغيبات دليل قاطع على انه
ليس باله لان الاله هو الذي لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في
السماء فان الاله هو الذي يكون خالقا والخالق لا بد ان يكون
عالما بكل ما خلقه وما ذاك الا الله وحده كما قال تعالى الا يعلم من خلق

وهو

وهو اللطيف الخبير ومن المعلوم بالضرورة ان عيسى لو كان عالما
بجميع المخلوقات والمغيبات كيف والنصارى يزعمون انه اظهر الجزع من
الموت فلو كان عالما بالغيب كله لعلم ان القوم يريدون اخذه وقتله
وانه يتاذى بذلك ويتالم وكان يفر منهم قبل وصولهم فلما لم يعلم هذا
الغيب ظهر انه ما كان عالما بجميع المعلومات والمغيبات والاله هو الذي
لا يخفى عليه شيء من المعلومات فوجب القطع بان عيسى ما كان الها
الشبهة الثانية قالوا المانثبت انه كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخلق
من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا وجب ان يكون
الها فاجاب الله تعالى عنها بقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف
يشاء والمعنى ان حصول الاحياء والاماتة على وفق عيسى في
بعض الاحوال لا يدل على كونه الها لانا نقول ان ذلك وقع باذن
الله تعالى معجزة دالة على نبوته لكن عجزه عن الاحياء والاماتة في بعض
الصور يدل على عدم الهيته وذلك ان الاله هو الذي يكون
قادرا على ان يصور في الارحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا
التركيب العجيب والتاليف الغريب ومعلوم ان عيسى عليه السلام
ما كان قادرا على خلق الاحياء والاماتة على هذا الوجه كيف
ولو قدر على ذلك لامات اولئك الذين زعم النصارى انهم اخذوه
وقتلوه فظهر ان حصول الاحياء والاماتة في بعض الصور على
وفق له قوله لا يدل على كونه الها وايضا فعيسى عليه السلام صوره
في الارحام وتقلب فيها كسائر الله في غيره من ذرية ادم فعلم
انه معلوم كسائر الخليقة فبطل ان يكون الها الشبهة الثالثة
ان النصارى يقولون انكم ايها المسلمون توافقونا على انه
ما كان له اب من البشر فوجب ان يكون ابناء الله تعالى عن قولهم
علوا كبيرا فاجاب الله عنها ايضا بقوله وهو الذي يصوركم في الارحام
حام كيف يشاء لان هذا التصوير لما كان من الله تعالى فان شاء

صورة من نطفة الاب وان شاء صورة ابتداء من غراب كيف
وقد خلق الله تعالى آدم من تراب من غير اب ولا ام فلما كان يقدر
على ما شاء من التصوير بطل ما تعلقوا به في ذلك الشبهة الرابعة انه
ورد في بعض الروايات انا اولكم النصارى قالوا للرسول صلى الله
عليه وسلم الست تقول ان عيسى كلمة الله وروحه فهذا يدل
على انه ابن الله وفي بعض الروايات انهم احتجوا على التثليث
بقول الله تعالى فعلنا وامرنا ونحوه فاجاب الله تعالى عنه بقوله
هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب
واخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه
ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والمعنى كما
قال ابن اسحق منه ايات محكمات فيهن حجة الرب وعصمة العباد
ودفع الخصوم والباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن
عليه واخر متشابهات فاما من تصريف وتاويل ابتلى الله فيهن العباد
كما ابتلاهم في الحلال والحرام ان لا يصرفن الى الباطل ولا يحرفن
عن الحق يقول الله عز وجل فاما الذين في قلوبهم زيغ اي
ميل عن الحق الى الهوى فيتبعون ما تشابه منه اي ما تصرف ليصدقوا
به ما ابتدعوا واحدثوا ليكون لهم حجة ولهم على ما قالوا شبهة
ابتغاء الفتنة اي اللبس وابتغاء تاويله على ما ركبوا من الضلالة في
قوله خالفنا وقضينا بقول الله تعالى وما يعلم تاويله والراسخون
في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا فكيف يختلف وهو قول
واحد من رب واحد ثم ردوا تاويل المتشابه على ما عرفوا من
تاويل المحكمات التي لا تاويل لاحد فيها الا تاويل واحد فالتقى
بقولهم الكتاب وصدق بعضه بعضا فتفتح به الحجة وظهر به العذر
وانزاح به الباطل ودفع به الكفر بقول الله تعالى وما يذكر
الا اولوا الالباب وهذا الكلام من ابن اسحق من احسن ما قيل وا

الشبهة الرابعة

لعله فاتسق

بينه وحاصل الجواب عن الشبهة ان النصارى تعلقوا بظاهر لفظ
من القرآن يحتمل عدة معان من الحقيقة والمجاز فهو من المتشابه
الذي يجب رده الى المحكم الذي لا يحتمل غير معناه الظاهر لكل احد فتعلقوا
بقوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وغفلوا عن قوله في عيسى
ان هو الا عبد انعمنا عليه وقوله ان اعبدوا الله ربي وربكم فاخبر الله
تعالى ان ذلك في قلوبهم من الزيغ وهكذا من شابههم من هذه الامة
كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم في
هذه الامة قال فاذا رايت الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك
الذين سمى الله فاحذروهم هذا لفظ البخاري وقد كان الذين انكروا
الحلول والاتحاد من النصارى الذين يصدقون بلفظ الاب والابن و
روح القدس وان تلك العبارة ماخوذة عن انجيل المسيح يقولون مع
ذلك ان المسيح عبد مرسل كسائر الرسل فوافقوهم على اللفظ ولم ينفعهم
ذلك بما يقوله منازعوهم من الحلول والاتحاد كما ان المنسوبين
يوافقونهم ايضا على هذا اللفظ وينازعونهم على الاتحاد الذي يقوله
اليعقوبية والملكية فلما كانوا متفقين على اللفظ متنازعين في معناه
علم انهم صدقوا باللفظ ولاجل اعتقادهم مجيء الشرع به ثم تنازعوا
بعد ذلك في تفسيره كما يختلفون هم وسائر اهل الملل في تفسير
بعض الكلام الذي يعتقدون انه منقول عن الانبياء عليهم السلام
وكلما صح عنهم انهم قالوه فهو حق لانهم لا يقولون الا الحق ولا بد
له اذا كان صحيحا عنهم من معنى صحيح يوافق اللفظ المحكم الذي
لا يحتمل غير معناه الظاهر لكل احد فظهر بما قرره قوله الى القوم اشارة
الى ما يدل على ان المسيح له ليس بالله ولا ابن للاله وان قوله لا يخفى
عليه شيء في الارض ولا في السماء جواب عن الشبهة المتعلقة بالا
لعلم وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء جواب
عن قولهم بانه ما كان له اب من البشر فيجب ان يكون ابنا لله

وان قوله هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات
الاية جواب عن تمسكهم بما ورد في القران من الالفاظ المحتملة
لعدة من المعاني ومن تامل ما ذكرناه علم انه ليس في المسئلة
حجة ولا شبهة ولا سؤال ولا جواب الا وقد اشتملت عليه هذه
الايات والحمد لله الذي اغنى عباده المؤمنين بكتابه وما اودعه
من مجده وبيناته عن شقاشق وهذيانات الملحدين
فلقد عظمت نعمه على عباده اذ فهم كتابه عن الفقر الى غيره
اولم يكفهم انا انزلنا اليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة
وذكرى لقوم يؤمنون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا
وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ثم ذكر تعالى انواعا من
الحجج وشرح قصة مريم وعيسى عليهما السلام شرحا جليا مقتضيا لا
نواع من الادلة على بطلان قول النصارى على ما يتسع هذا المختصر لشرحه
الى ان قال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم
قال له كن فيكون وفي هذه الاية ابطال شبهة النصارى في قولهم لما لم
يكن له اب من البشر وجب ان يكون ابن هو الله تعالى فبين تعالى
انه خلق ادم من تراب ولم يكن له اب ولا ام ولم يلزم من ذلك
ان يكون ابنا لله فكذا القول في عيسى وايضا فلما جاز ان يخلق
الله ادم من تراب فلم لا يجوز ان يخلق عيسى من دم مريم
بل هذا اقرب الى العقل فان توليد الحيوان من الدم الذي يجتمع في
رحم المرة اقرب من توليده من التراب اليابس ولكن الرب جل
جلاله اراد ان يظهر قدرته لخلقه في تنويع التخليق فيعلموا
ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما
وبعد ان بين تعالى انواع الادلة القاطعة في هذه السورة
واجاب عن شبهة النصارى على اكمل الوجوه واحسنها وكان
من انصف وطلب الحق علم ان البيان قد بلغ الغاية القصوى

لاجرم قال تعالى بعد ذلك فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا
ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل
لعنة الله على الكاذبين يعني فبعد هذه الدلائل الواضحة والجوابات اللائحة
فانقطع الجواب معهم وعاملهم بما تعامل به المعاند وهو ان تدعوهم الى الملاعنة
وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم اليها فانصرفوا ورجعوا الى الصلح
واقروا بالصغار وبذلوا الجزية كما تقدم في القصة فكان ذلك دليلا على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من وجهين احدهما انه عليه الصلاة والسلام
خوفهم بنزول العذاب فلو لم يكن واثقا بذلك لكان ذلك منه سعيا
في اظهار كذب نفسه لان بتقدير ان يوعنوا في المباهلة ثم لا ينزل العذاب
يكون ذلك تكذيبا له ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم من اعقل الناس بل
هو اعقلهم على الاطلاق ولا يليق بالعاقل ان يعمل عملا يفضي الى
ظهور كذبه فلما اصر على ذلك علمنا انه انما اصر عليه لكونه واثقا بنزول
العذاب عليهم لو فعلوا الثاني ان القوم لما تركوا المباهلة واعطوا
الصغار من انفسهم فلولا انهم علموا من التوراة والانجيل ما يدل
على نبوته لما اجبوا عن مباهلة ورضوا لانفسهم بالذل والصغار
بل قد تقدم في القصة ما يدل صريحا على معرفتهم به وانه النبي المبشر
به في كتب الانبياء فصل ولا باس بان نذكر مناظرة حكاها بعض العلماء
جرت بينه وبين بعض النصارى ممن يدعي التحقيق والتعمق في مذهبه
قال لي النصراني ما الدليل على نبوة محمد فقلت له كما نقل الينا ظهور
المعجزات على يد موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء نقل الينا ظهور
الخوارق على يد محمد صلى الله عليه وسلم فان رددنا التواتر وقبلناه
لكن قلنا ان المعجزة لا تدل على الصدق فحينئذ تبطل نبوة سائر
الانبياء وان اعترفنا بصحة التواتر واعترفنا بدلالة المعجزة
على الصدق ثم انهما حاصلان في حق محمد صلى الله عليه وسلم وجب
الاعتراف قطعا بنبوته ضرورة ان عند الاستواء في الدليل

لابد من الاستواء في حصول المدلول فقال النصراني اني لا اقول
في عيسى انه كان بنيا بل اقول كان الها فقلت له هذا الذي تقوله باطل
لان الاله هو واجب الوجود لذاته وعيسى هو هذا الشخص البشري الذي
وجد بعد ان كان معدوما وقتل على قولك بعد ان كان حيا فكان اولا
طفلا ثم صار مترعرعا ثم صار شابا وكان ياكل ويشرب ويحدث
وينام ويستيقظ وقد تقرر في بداية العقول ان المحدث لا يكون قديما
والمحتاج لا يكون غنيا والممكن لا يكون واجبا والمتغير لا يكون دائما هذا
وجه الوجه الثاني في ابطال هذه المقالة انكم معترفون بان اليهود
اخذوه وصلبوه وتركوه حيا على الخشبة وفعلوا احد من الاهانة
والاذى ما تدعونه وانه كان يحتال في الهرب منهم وفي الاختفاء عنهم
وحين عاملوه بتلك المعاملات اظهر الجزع الشديد فلو كان الها او
كان الاله حالا فيه او كان جزء من الاله حالا فيه فلم لم يدفعهم عن
نفسه ولم يهلكهم بالكلية واي حاجة به الى اظهار الجزع والاحتيال
في الفرار منهم الوجه الثالث وهو انه اما ان يقال بان الاله هو هذا
الشخص الجسماني المشاهد او يقال حل الاله بكليته فيه او حل بعض الاله
وجزؤ منه فيه والاقسام الثلاثة باطلة اما الاول فلان الاله
العالم لو كان هو ذلك الجسم المحيي فقتلته اليهود كان ذلك قولا بان
اليهود قتلوا الاله العالم فكيف بقي العالم بعد ذلك بغير اله ثم ان
اشد الناس ذلا وديناءة اليهود فالاله الذي يقتله اليهود اله
في غاية العجز واما الثاني وهو ان الاله بكليته حل في هذا الجسم فهو
ايضا فاسد لان الاله ان لم يكن جسما ولا عرضا امتنع حلوله
في الجسم وان كان جسما فحينئذ يكون حلوله في ذلك الجسم عبارة
عن اختلاط اجزائه باجزاء ذلك الجسم وذلك يوجب وقوع
التفرق في اجزاء ذلك الاله وان كان عرضا كان محتاجا الى غيره
وذلك محال في حق الاله واما الثالث وهو انه حل فيه بعض

من

من ابعاض الاله وجزؤ من اجزائه فذلك ايضا محال لان ذلك
الجزؤ وان كان معتبرا في الاله هذا لم يكن جزءا من الاله فثبت فساد
هذه الاقسام فكان قول النصارى باطل الوجه الرابع في بطلان
ما ثبت بالتواتر ان عيسى عليه السلام كان عظيم الرغبة في العبادة
والطاعة لله تعالى فلو كان الها لاستحال ذلك لان الاله يعبد نفسه
فهذا وجوه في غاية الجلاء والظهور دالة على فساد قولهم انتهى وبالجملة
فالامر كما قال ابو عبد الله ابن القيم رحمه الله تعالى ان دين الامة
الصليبية بعد ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بل قبله بنحو من ثلاثمائة
سنة مبني على محانة العقول والشرائع وتنقص الله العالمين وربه با
لعظائم فكل نصراني لا ياخذ بحظه من هذه البلية فليس نصراني على
الحقيقة افليس هو الذي اسسه اصحاب المجامع للثلاثين على ان
الواحد ثلاثة والثلاثة واحد فيا عجبا كيف يرضى العاقل ان يكون هذا
مبلغ علمه ومنتهى عقله اترى لم يكن في هذه الامة من يرجع الى عقله و
فطرته ويعلم ان عين المحال وان ضربوا له الامثال واستخرجوا له الاشباه
فلا يذكرون مثالا ولا شبها الا وفيه بيان خطائهم وضلالهم كتشبيه بعضهم
اتحاد اللاهوت بالناسوت وامتزاجه به باتحاد النار والحديد وتمثيل بعضهم
ذلك باختلاط الماء باللبن وتشبيه اخرين ذلك بامتزاج الغذاء واختلاط
باعضاء البدن الى غير ذلك من الامثال والمقاييس التي تتضمن امتزاج
حقيقتين واختلاطهما حتى صارا حقيقة اخرى تعالى الله عن افكهم وكذبهم
ولم يسعهم هذا القول في رب السموات والارض حتى اتفقوا بامرهم
على ان اليهود اخذوه وساقوه بينهم ذليلا مقهورا وهو محل خشبته
التي صلبوه عليها وان اليهود يبصقون في وجهه ويضربونه ثم صلبوه
وطعنوه بالحربة حتى مات وتركوه مصلوبا حتى التصق شعره بجلده
لما يسدر منه مجاورة الشمس ثم دفن واقام تحت التراب ثلاثة ايام
ثم قام بلاهويته من هذا قولهم ليس فيهم من ينكر منه شيئا فيا

العقول كيف كان هذا العالم الاعلى والاسفل في هذه الايام الثلاثة
ومن كان يدبر السموات والارض ومن الذي خلف الرب سبحانه في
هذه المدة ومن كان الذي يمسك السماوات ان تقع على الارض وهو
مدفون في قبره ويا عجبا هل دفنت الكلمة معه بعد ان قتلت
وصلبت ام فارقته وحذلته احوج ما كان الى نصرها له كما حذله ابوه
وقومه فان كانت فارقته وتجرد منها فليس هو حينئذ المسيح وانما
هو كغيره من احاد الناس وكيف يصح مفارقتها له بعد ان اتحدت
به وما زجت لحمه ودمه واين ذهب الاتحاد والامتزاج وان كانت
لم تفارقه وقتلت وصلبت ودفنت معه فكيف وصل المخلوق الى
قتل الاله وصلبه ودفنه ويا عجبا اي قبر يسع الله السموات والارض
هذا وهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر سبحان الله عما يشركون

٥ اعباد الصليب لنا سؤال * نريد جوابه ممن وعاه
٥ اذا مات الاله بفعل قوم * اماتوه فاهذا الاله
٥ وهل لقضاه ما نالوه منه * فبشراهم اذا نالوا رضاه
٥ وان سخط الذي فعلوه فيه * فعقوبتهم اذا اوهت قواه
٥ وهل بقي الوجود بلا اله * سميع يستجيب لمن دعاه
٥ وهل خلت الطباق التسع لما * ثوى تحت التراب وقد علاه
٥ وهل خلت العوالم من اله * يدبرها وقد شدت يداه
٥ وكيف تخلت الاملاك عنه * ينصرهم وقد سمعوا بكاه
٥ وكيف الحاقت الاخشا حمل * اله الحق مشدودا وداقا
٥ وكيف دفن الحديد البحتي * يخالطه ويلحقه اذ لاه
٥ ويا عجبا لقبر ضم ربا * هوى واعجب منه بطن قد حواه
٥ اقام هناك تسعا من شهور * لدى الظلمات من حيض غذاه
٥ وشق الفرج مولود اصيغر * ضعيفا فاتحا للثدي فاه

ويكمل

٥ ويا كل ثم يشرب ثم يأتي * بلازم ذاك هل هذا الاله
٥ تعالى الله عن افك النصارى * سيسئل كلهم عما افتراه
٥ فيا عبد المسيح افق فهذي * بدايته وهذا منتهاه

فصل واما قوله النصراني وكان يشوع ذا صلاح تام في سيرته
حتى لم يطعن في عرضه بشيء اما محمد فهو صاحب الغزاة والقتال مولع بالنساء
كثير النكاح فالجواب وبالله التوفيق اما عيسى عليه السلام فهو عبد الله
ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وهو احد الخمسة اولوا العزم من
الرسل وهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم تسليما
وحاشا وسل الله وانبيائه ان يطعن عليهم في اعراضهم بشيء كيف وهم الذين
اصطفاهم الله للرسالة وجعلهم سفراء بينه وبين عباده فاعتقاد المسلمين في
المسيح كغيره من الرسل هو ما جاء به نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو انزلهم المنزلة
التي انزلهم الله اياها فلا يغلون غلو النصارى ولا يجفون جفاء اليهود فكلا
طرفي الامور ذميم واما فضائل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصلاح
سيرته وعظم اخلاقه وزهادته في الدنيا واعراضه عن زهرتها فقد قدمنا
اشارة يسيرة الى ذلك وهو غيض من فيض ونقطة من بحر لا ما قد بينا كتابنا
هذا على الاختصار والتبيين على مقاصده بادنى اشاره فلو تتبعت فضائله
وفصلت شمائله وشرحت اخلاقه لكان ذلك في مجلدات كثيرة فصلى الله
وملائكته وانبياؤه ابد الابدين وقوله هو صاحب الغزاة الى آخره جوابه
اما النكاح ومحبة النساء فقد قدمنا فيه ما يكفي ويشفي ان ذلك من الفضائل
لا من الرذائل ومن المناقب لا من المثالب وانه من سنن الانبياء والمرسلين
ومن طريق عباد الله الصالحين فلا يتأتى الطعن بالنكاح وملابسة النساء الا
ينقص الانبياء والمرسلين كنوح وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب وموسى
وهارون وداود وسليمان وغيرهم من الانبياء وسلم وكفى بذلك
عماية قلب وسخافة عقل وسمة ضلاله وقبيح جهالة واما اعتراضه بالغزو
والقتال فهذا اعتراض باطل من وجوه الاول ان الغزو والقتال

والاخرة مالا يحصى فنها ما يترتب عليه من اعلاء كلمة الله واقامة
دينه وعزة انصاره وانفاذ احكامه وقد حصل به من ذلك على يد
محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه واتباعه ما شئت فشمل الكفر وفرق
كلمة الاشراك وترغم انف الشيطان اللعين ومنها انفاذ الهالكين
في الكفر والضلالة وعبادة الاصنام والانداد واخراجهم من ظلمات
الكفر الى نور الايمان ومن طريق النار الى سبيل الجنان ومن رق
الشيطان الى عبادة الرحمن وقد انقذ بهذه الامة وجاهدها ما شاء الله
من الامم الهالكين وفي هذا المعنى ما رواه البخاري في صحيحه عن ابي
هريرة رضي الله عنه في قول الله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
قال خير الناس للناس تاتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى
يدخلوهم في الاسلام ومنها ابتلاء الله تعالى عباده واختبارهم
بتكليفهم القتال وبنائهم في طاعة النفوس والاموال كما قال تعالى
ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم
وقال تعالى ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض و
قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع
للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز
ومنها ما يترتب على ذلك من عظيم المثوبات ورفع الدرجات بما ينالوا
من مهجهم واموالهم في طاعة الله ونصرة دينه فالمجاهدون ارفع
الناس درجة في الدنيا والاخرة **الوجه السادس** انه
اذا كان قتاله صلى الله عليه وسلم عن امر الله لثبوت رسالته فالاعتراض
عليه في شيء من امره اعتراض على الله لانه الذي شرع ولم
وهذا نظير اعتراض من يعترض من الكفار بين المرسل على ذبح
الحيوان للاكل بان هذا تعذيب للحيوان لا باذن الله فيه
واذا كانت شرائع الانبياء جاءت بذبح بعض الحيوان للاكل

الاعداء فضيلة متنافس فيها على الجملة دالة على شرف السكان النفس وعلو
الهمة ولم يزل التمادح به مشهورا في القديم والحديث وانما يذم ما كان منه ظلما
وعدوانا وليس كذلك قتال نبينا صلى الله عليه وسلم لما بيناه في الوجه
الثاني ان قتاله صلى الله عليه وسلم انما هو عن امر الله تعالى وشرعه لاقامة
دين الله وابطال عبادة من سواه من الاصنام والاصنام وهذا من اعظم الفضائل
واكبر المناقب وارفع الرتب وهو قتال الانبياء واتباعهم ونبينا صلى الله عليه وسلم
واتباعه من هذه الفضيلة اوفر حظ واكمل نصيب **الوجه الثالث** ان قتاله صلى الله
عليه وسلم من اعلام نبوته ودلالة رسالته لانه مطابق لما جاء من نعته في كتب
الانبياء عليهم السلام كما قدمنا من نص التوراة في قوله تقلد ايها الجبار بالسيف
فان شريعتك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسمومة
وفي النصف الاخر في صفته صلى الله عليه وسلم وصفت امته بايديهم سيوف
ذات شفرتين الى غير ذلك من الادلة الدالة على انه يبعث بالسيف والقتال
وتقدم في قصة ابن الهيبان الحبر في وصية لليهود باتباع محمد صلى الله عليه وسلم
قوله لاسبقن عليه يا معشر اليهود فانه يبعث بسفك الدماء وبسبي النساء
والنساء من خالفه فلا يعنكم ذكر ذلك منه **الوجه الرابع** ان القتال ليس مختصا
بشريعته صلى الله عليه وسلم فقد قاتل كثير من الانبياء عليهم السلام باذن الله
لهم في ذلك وامرهم وقد امر الله بني اسرائيل بقتال الجبارين ودخول الارض
المقدسة مع موسى عليه السلام فلما عصوا امر الله عاقبهم بالتيه اربعين سنة وبعد
خروجهم منه توجهوا لقتال الجبارين مع يوشع بن نون عليه السلام ففتح الله عليهم
ولم يزل الجهاد والقتال مشهورا في بني اسرائيل ومعهم الانبياء كما قال الله تعالى
وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله
وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين واما كون القتال غير مشروع
لعيسى عليه السلام فذلك لا يدل على ان تركه افضل مطلقا بل هذا من
اختلاف الشرايع كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا **الوجه**
الخامس ان في الجهاد من المصالح العظيمة والحكم الباهرة فيما يتعلق بامر الدنيا

وقتل بعضهاد نعالاذى مع انه لا تكليف عليها ولا ذنب لها فكيف
يكون الامر في قتال الاعداء الله الكافرين به الملك بين وسله العابد
معه الهة اخرى لا جرم ان قتالهم وغزوهم وجهادهم حتى يؤمنوا بالله
وبيا بعوا رسوله لفي غاية الصلاح ونهاية السداد وتمام الحكمة
وبالجملة فضائل الجهاد في سبيل الله اكثر من ان يأتي عليها الوصف
وملكان هذا شانه فلا شك ان المتصف به قد حاز من الله فضلا عظيما
واقتنى خيرا كثيرا وان مشروعيته في هذه الملة من محاسنها ومحاسن
من جاء بها وفضائل اتباعه الذين هم خير امة اخرجت للناس **فصل**
واما قول النصراني وكان يشوع قد ارتفع الى السماء واما محمد فهو في
محبوسا في القبر فجوابه ان الله تعالى خص من شاء من انبيائه ورسله
بما شاء من الخصائص وخص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بخصائص كثيرة لم
يشركه فيها احد من الانبياء ويشاركه الانبياء عليهم الصلوة والسلام
في خصائص كثيرة قال بعض العلماء انه ما خص نبي شيئ الا كان لنبينا
صلى الله عليه وسلم مثله زيادة ما اختص به على جميعهم وقد بسط العلماء
ذلك بما يبين للمتامل صحته ولسنا بصدد تفصيل ذلك خوف الاطالة
على ان ذلك ما ذكرت من رفع عيسى عليه السلام الى السماء فان نبينا صلى الله
عليه وسلم قد اعطى ذلك ليلة المعراج الى السموات وزاد في الترقي
لمزيد الدرجات وحظي بسماع المناجات ومشاهدة الكبرى من الايات
والوصول الى ذلك المقام الذي يسمع فيه صريف الاقلام وفرضت عليه
هناك الصلوات وخلعت عليه خلع الكرامات وهذه فضيلة لم يحز
لاحد من الانبياء عليهم الصلوة والسلام وايضا فلو لم يحز هذه
الفضيلة لنبينا صلى الله عليه وسلم من الفضائل والخصائص ما هو
مقتضى سيادته لولد آدم فتخصيص المفضول بخصيصة ليست للفاضل
او امر معلوم كما خص داود عليه السلام بالانة الحديد وتاويب
والطير معه وسليمان بتسخير الجن والشياطين وتسخير الريح

غدوها

غدوها شهر ورواحها شهر والملك الذي لا ينبغي من بعده
وكرفع ادريس عليه السلام وامثال ذلك وكل هذا لا يدل على
تفضيل هؤلاء الانبياء عليهم السلام على الخمسة اولي العزم الذين هم
افضل الرسل وان لم يكن لهم تلك الخصائص فان الذي اتوه من
الفضائل والخصائص من وجوه اخر اعظم وافضل وقد روى جابر
بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه
خاصة ويبعث الى الكل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد
قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي
ادركته الصلوة فليصل حيث كان ونصرت بالرعب مسيرة
شهر واعطيت الشفاعة اخرجه البخاري وغيره وفي رواية
بعثت الى الناس كافة وليس المراد حصر خصائصه صلى الله عليه وسلم
في هذه الخمس المذكورة فقد روى مسلم في صحيحه عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فضلت على الانبياء
بستة اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون فذكر
الخمس المذكورة في حديث جابر وزاد خصلتين وهما اعطيت
جوامع الكلم وختم بي النبيون وله صلى الله عليه وسلم من مشاهير
الخصائص غير هذا كتخفيف امته بوضع الاصار وحط الاثقال
التي كانت على من قبلهم ورفع تحميلهم ما لا يطاق ورفع الخطا والنسيان
عنهم وتسميته صلى الله عليه وسلم احمد واعطائه مفاتيح خزائن
الارض وجعل امته خير الامم وغفران ذنبه ما تقدم وما
تاخر وبقاء معجزة القران الذي انزل عليه الى يوم القيمة وما
عطائه الكوثر واعطائه لواء الحمد يوم القيمة وان آدم ومن دونه
تحت لوائه وبعض العلماء عد خصائصه ستين خصلة وليس غرضنا

والنسيان

استقصاء ذلك فاكتفينا بالتنبيه عليه رد الكلام المبطل ونقضا لا
عتراضه وطريق اثبات هذه الخصائص هو طريق اثبات المعجزات
كما سياتي ان شاء الله تعالى **فصل** واما قول النصراني فمن ذلك
لا ينظر ايهما اولى ان يتبع فالجواب ان من نظر لنفسه وضحها و
نظر بعين البصيرة والعقل الصحيح دلا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وكثرة فضائله وظهور معجزاته وشواهد نبوته وشهادة الله له
بالصدق بما ايده به من عظيم الايات لا يعتريه شك ولا يخالجه
ريب ولا يقف ادنى وقفة في وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم
والدخول في دينه والسلوك على منهاجه وذلك هو تحقيق اتباع
المسيح عليه السلام والايمان به لانه بشر به وعهد الى اتباعه بالايمان
به ونصرته كما اخذ الميثاق بذلك على النبيين كما قال تعالى واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال اقررتم واخذتم
على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين
فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون قال علي ابن ابي طالب
وابن عمه عبد الله ابن عباس رضي الله عنهم ما بعث الله نبيا من الانبيا الا اخذ
الله عليه الميثاق لان بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وايضا
فالنظر في ايهما اولى ان يتبع فاسد بعد ظهور دلائل نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم ظهورا اظهر من شمس الظهيرة وقد دعى الناس
جميعا الى اتباعه واخبر انه رسول الله اليهم جميعا وان شرائع الانبياء
منسوخة بشرعه وان من سمع به من هذه الامة يهودي
او نصراني ثم لم يؤمن به فهو من اهل النار وقد قال الله تعالى
وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا فاجيبوا عن هذه الدعوى
بقوله قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهذا
الجواب مع اختصاره قد تضمن المنع والمعارضة اما المنع فانضمنه حرف

بل

بل من الاضراب اي ليس الامر كما قالوا واما المعارضة ففي قوله ملة
ابراهيم حنيفا اي نتبع او اتبع ملة ابراهيم حنيفا وفي ضمن هذه
المعارضة اقامة الحجة على انها اولى بالصواب مما دعوهم اليه من
اليهودية والنصرانية لانه وصف صاحب الملة بانه حنيف غير
مشرك ومن كانت ملته الحنيفية والتوحيد فهو اولى بان يتبع
من ملته اليهودية او النصرانية فان الحنيفية والتوحيد دين
جميع الرسل التي لا يقبل الله من احد دينا سواه وهو الفطرة
التي فطر الله عليها عباده فمن كان عليها فهو المهتدي لا من كان
يهوديا او نصرانيا فان الحنيفية تتضمن الاقبال على الله بالعبادة
والاجلال والتعظيم والمحبة والذل والتوحيد يتضمن افراده
بهذا الاقبال دون غيره فيعبد وحده ويحب وحده ويطاع وحده
ولا يجعل معه اله اخر فمن اولى بالهداية صاحب هذه الملة او ملة
اليهودية والنصرانية ولم يبق بعد هذه الخصوم الا ان يقولوا فنحن
على ملته ايضا لم نخرج عنها وابراهيم وبنوه كانوا هودا او
نصارى فاجيبوا عن هذا السؤال باهم كاذبون فيه وان الله
تعالى قد علم انه لم يكن يهوديا ولا نصرانيا فقال ام تقولون ان
ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
او نصارى قل ءانتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة
عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون وقرر تعالى هذا
الجواب في سورة ال عمران فقال له ما كان ابراهيم يهوديا ولا
نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان
اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
امنوا والله ولي المؤمنين او ان يقولوا نحن وان انتحلنا
هذا الاسم فنحن على ملته فاجيبوا عن هذا بقوله قولوا
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل و

اقتضاه الكفر واتباع الهوى والا فقد علموا انه صلى الله عليه وسلم اتى
بالمعجزات والادلة القاطعات التي لا عذر لاحد في الاعراض عنها
هذا مع ما يجدونه مكتوبا عندهم من صفته في التوراة والا
فجيل يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق
وهم يعلمون ثم هذا النصراني حين انكر الحق والرسالة بقي في الحيرة
والضلالة وزعم ان الامر مشكل فصار منتهى قصده وغاية رشده
ان وقف حيران في ظلمة الاشكال وسقط في هوة الجهالة والضلال
فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين واهل
الاخر كلهم في ظلمات الجهل والغي الا من اشرق عليه نور النبوة كما
في مسند الامام احمد وغيره من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و
قال ان الله خلق خلقه في ظلمة والقى عليهم من نوره فمن اصابه
من ذلك النور شيء اهتدى ومن اخطاه ضل فلذلك اقول جف
القلم على علم الله ولذلك بعث الله رسله ليخرجوا الناس من الظلمات
الى النور فمن اجابهم خرج الى الفضاء والنور ومن لم يجبهم بقي في
الضيق والظلمة التي خلق فيها وهي ظلمة الطبع وظلمة الجهل وظلمة
الهوى وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تشتد به في معاشها و
معادها فهذه كلها ظلمات خلق فيها العبد فبعث الله رسله لاخراجه
منها الى نور العلم والمعرفة والايمان والهدى الذي لاسعادة للنفس البتة
الا به فمن اخطاه هذا النور اخطاه خطه وكماله وسعادته ثم وصار
يتقلب في ظلمات بعضها فوق بعض ومن لم يجعل الله له نورا فما له
من نور واعلم ان الله تعالى ايد الانبياء بالمعجزات دلالة
على صدقهم في دعوى الرسالة فيجب تصديقهم في جميع ما جاءوا به
لان المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قوله الله تعالى صدق
عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا
كلام جامع من يثبت معجزات الانبياء وانما تدل على صدقهم اذا كشفنا

اسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما
اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون
فهذه المؤمنين ثم قال تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به
فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع
العليم صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون
فهذا من كلام الله وهو اصدق القائلين وهذا من كلام النصراني
ومن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا ارباب
من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فهذا
من كلام الله وهو اصدق القائلين وهذا من كلام النصراني
ومن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة
والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل
اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين
فهذا من كلام الله وهو اصدق القائلين وهذا من كلام النصراني
ومن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى
من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون فهذا من كلام الله وهو اصدق القائلين وهذا من كلام
النصراني ومن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم
الظالمين وقال تعالى ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا
ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا
فهذا من كلام الله وهو اصدق القائلين وهذا من كلام النصراني
ومن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم
كفار فلن يغفر الله لهم فهذا من كلام الله وهو اصدق القائلين
وهذا من كلام النصراني ومن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله
لا يهدي القوم الظالمين وقال تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم
يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين
فيها ابدا فهذا من كلام الله وهو اصدق القائلين وهذا من كلام
النصراني ومن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم
الظالمين وقال تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا لن تقبل توبتهم وهم الضالون فهذا من كلام الله وهو
اصدق القائلين وهذا من كلام النصراني ومن اتبع هواه بغير
هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال تعالى
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء
الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم
من ناصرين فهذا من كلام الله وهو اصدق القائلين وهذا من
كلام النصراني ومن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي
القوم الظالمين وقال تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم
ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وهم الضالون فهذا من كلام
الله وهو اصدق القائلين وهذا من كلام النصراني ومن اتبع
هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا
وهم كفار فلن يغفر الله لهم فهذا من كلام الله وهو اصدق
القائلين وهذا من كلام النصراني ومن اتبع هواه بغير هدى
من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال تعالى ان
الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا فهذا من كلام
الله وهو اصدق القائلين وهذا من كلام النصراني ومن
اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم
الظالمين وقال تعالى ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا
ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم سبيلا فهذا من كلام الله وهو اصدق القائلين
وهذا من كلام النصراني ومن اتبع هواه بغير هدى من
الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال تعالى
ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل
توبتهم وهم الضالون فهذا من كلام الله وهو اصدق
القائلين وهذا من كلام النصراني ومن اتبع هواه بغير
هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال
تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب
اليم وما لهم من ناصرين فهذا من كلام الله وهو اصدق
القائلين وهذا من كلام النصراني ومن اتبع هواه بغير
هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال
تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا
وهم كفار فلن يغفر الله لهم فهذا من كلام الله وهو
اصدق القائلين وهذا من كلام النصراني ومن اتبع هواه
بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين
فيها ابدا فهذا من كلام الله وهو اصدق القائلين
وهذا من كلام النصراني ومن اتبع هواه بغير هدى
من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال
تعالى ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا
ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم سبيلا فهذا من كلام الله وهو اصدق
القائلين وهذا من كلام النصراني ومن اتبع
هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم
الظالمين وقال تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم
ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وهم الضالون
فهذا من كلام الله وهو اصدق القائلين وهذا من
كلام النصراني ومن اتبع هواه بغير هدى من
الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال
تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن
يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى
به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين
فهذا من كلام الله وهو اصدق القائلين وهذا
من كلام النصراني ومن اتبع هواه بغير هدى
من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل
الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
فهذا من كلام الله وهو اصدق القائلين
وهذا من كلام النصراني ومن اتبع هواه
بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم
الظالمين وقال تعالى ان الذين كفروا
وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا
ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين
فيها ابدا فهذا من كلام الله وهو
اصدق القائلين وهذا من كلام
النصراني ومن اتبع هواه بغير
هدى من الله ان الله لا يهدي
القوم الظالمين وقال
تعالى ان الذين امنوا
ثم كفروا ثم امنوا
ثم كفروا ثم
ازدادوا
كفرا

ذرابة اللسان مالم يؤت انسان يأتون من ذلك على البديهة بالعجب
ويدلون به الى كل سبب فيخطبون ويرتجزون به بين الطعن والضرب
ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون و
يضعون فيأتون من ذلك السحر الحلال ويطوفون من اوصافهم اجمل
من سمط اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب لايشكون ان
الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حوا فتونها و
استنبطوا عيونها فاراعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم احكمت اياته
وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على
كل مقول وهم فسحة ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة
رجالا الاصاخ بهم في كل حين ومقرعلهم بضعا وعشرين عاما
على رؤس الملا اجمعين ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وا
دعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل
هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا قل فأتوا
بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله
ان كنتم صادقين فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم اشد التقريع
ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم ويشتت
نظامهم وينم الهتهم واباءهم ويستبيح اوضهم وديارهم واموالهم
وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته مجحمون عن مماثلته
مخادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب والاعتراء بالافتراء
وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واعانه
الاولون والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي

بهذه الاشارة في هذا المقام وليست ادلة الرسالة منحصرة في المعجزة بل
لها ادلة كثيرة يعرف بها صدق الرسول غير المعجزات كما سيأتي ايضا
ان شاء الله تعالى واعلم ان المعجزة على قسمين قسم هو من نوع قدرة
البشر فيعجزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه كعصا موسى فانها
عن تمنى الموت وتعجزهم عن الاتيان بمثل القرآن على قول من قال
بالصرفة وهو قول مرجوح كما سيأتي لان القرآن في نفسه معجز يستطيعه
البشر وقسم هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة
ونبع الماء من بين الاصابع وانشقاق القمر فالامكان يفعله أحد
الا الله تعالى وكانت معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته و
براهين صدقه من هذين النوعين معا سوى ما اقترن بها من ادلة
اخر وبالجملة فمعجزاته ودلالة رسالته لا يحيط بها ضبط فان القرآن وهو
معجزة من معجزاته قد احتوى من الاعجاز على ما لا يحصى كثرة حتى
بلغها العلماء الى الوف كثيرة قالوا واقصر السور انا اعطيناك الكوثر
فكل اية او اياة منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها
معجزات وقد فصلوا ذلك وبينوه **فصل** ومعجزة القرآن
هي المعجزة العظيمة والاية الباقية ما بقيت الدنيا ولا تشكل الموافق
والمخالف في نبي محمد صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله وان انكر
هذا معاند جاحد فهو كانكار وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا
وانما جاء اعتراض الجاحدين في اعجازه وظهور الحجة به ومن المعلوم
بالضرورة انه صلى الله عليه وسلم تحدى العرب بما فيه من الاعجاز
ودعاهم الى معارضته وان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن
معارضته وانجمعوا عن مساجلته وهم كما قال بعض العلماء
في وصفهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا
من البلاغة والحكم ما لا يخص به غيرهم من الامم واوتوا من

اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا
هذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز يقولهم لو نشاء
لقلنا مثل هذا وقد قال الله ولن تفعلوا فما فعلوا وما قدروا ومن
تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عوارهم لجميعهم وسلبهم الله ما
القوه من فصيح كلامهم والاقلم يخف على اهل الميز فهم انه ليس من
نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم انتهى ملخصا وقد جاء في الاخبار ما
اعترف عقلاؤهم وفصحاؤهم بالعجز عن معارضته عند سماعه جمل كثيرة
ففي قصة عتبة ابن ربيعة حين قرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم حم
فصلت ورجع عتبة الى قريش قال لهم اني والله قد سمعت قولا
والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر والسحر ولا الكهانة يا معشر
قريش اطيعوني وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله
ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فاجابني بشيء والله ما هو
بسحر ولا كهانة انه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
حتى بلغ فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكت
وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا لم
يكذب فخفت ان ينزل عليكم العذاب رواه البيهقي وغيره في
خبر طويل وفي حديث اسلام ابي ذر وقد وصف اخاه انيسا
فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثنا عشر شاعرا
في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي ذر
بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد
وضعته على قراءة الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان احد بعدي
انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون رواه مسلم والبيهقي وعن
عكرمة في قصة الوليد بن المغيرة وكان زعيم قريش في الغضاضة
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقرأ عليه ان الله يأمر

بالعدل

بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغي يعظكم لعلكم تذكرون قال اعد فاعاد صلى الله عليه وسلم
فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر
وان اسفله لمغدق وما يقول هذا بشر ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل
اعلم بالاشعار مني ولا باشعار الجن والله ما هو الذي يقول شيئا
من هذا والله ان لقوله الذي يقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة
وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله وانه ليعلو وما يعلى عليه وفي خبره الاخر حين
جمع قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا
يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن فقال والله ما هو بكاهن ما هو
بحمحمته ولا بزمزمته ولا بسجعه قالوا فنقول مجنون فقال والله ما هو بمجنون
ولا بخنقه ولا بوسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا
الشعر كله رجزه وهجزه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا
فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول
قال ما انتم قائلون من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل الى
اخر القصة رواه ابن اسحق والبيهقي وما احسن ما قيل ان
هذا القرآن لو وجد مكتوبا في صحف في فلاة من الارض
ولم يعلم من وضعه هنالك شهدت العقول السليمة انه منزل من
عند الله وان البشر لا قدرة لهم على تاليف ذلك فكيف اذا جاء
على لسان صدق الخلق وابرهم واتقاهم وقال انه كلام الله وتحدى
الخلق كلهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا
شك واعلم ان وجوه الاعجاز في القرآن كثيرة وبينها
بعض العلماء بما حاصله انه ينحصر مقصود اعجازه في امور اربعة
وعدها بعضهم اكثر من ذلك وهو يرجع الى ما قلناه الاول
ما فيه من الايجاز والبلاغة وحسن التركيب بحيث وصل في
كل منهما الى الرتبة العليا لفظا ومعنى ولهذا اعترف عقلاؤهم

بالعدل

وفصحاؤهم انه لا يقوله بشر وذكر ابو عبيدة ان اعرابيا سمع صدى فاتح
بما تقوم واعرض عن المشركين فسجد فقال سجدت لفصاحته وسمع اخر
وجلا يقراء فلما استيأس منه خاصوا جيا فقال اشهد ان مخلوقا
لا يقدر على هذا الكلام والاخبار عنهم بمثل هذا كثيرة وما سمع
نضر اي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فا
ولئك هم الفائزون وقال جمعت هذه الاية ما نزل على عيسى
من امر الدنيا والاخرة ولقد وام بعض سخفاء العقول
محاكمات بعض قصاص المفصل فاتى من الهذيان العجب العجاب كقوله
مسيلمة الكذاب اللعين يا ضفدع كم تنقين اعلاك في الماء واسفلك
في الطين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين فلما سمع ابو بكر الصديق
هذى الكلام قال ان هذا كلام لم يخرج من الا قبل الال بالكسر هو الله
تعالى وقبل الالى بالاصل الحيا اي لم يجي من الاصل الذي جاء
منه القران وما سمع مسيلمة والنازعات قال والنازعات
نزعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا
والخابزات خبزا والثاردات ثردا والالمات لقما لقد فضلتم على
اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر وقال معارضا لسورة الكوثر انا
اعطيناك الجواهر فصل لربك وجاهر ان مبغضك وجل كافر و
كقوله الاخر الم ترك كيف فعل ربك بالجبلى اخرج منها نسمة تسعى من بين
قرا سيف وحشى وقال اخر الفيل وما ادراك ما الفيل له
ذنب وثيل وشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل وهذى
كلام فيه من السخافة ما لا اخفاء به على من لا يعلم فضلا عمن يعلم
ثم جاء جماعة من المتاخرين ممن انتهت اليهم الرياسة في
الفصاحة فتعرضوا لمعارضته كابن المقفع والمعري والمتنبي و
نظرائهم فلم ياتوا الا باعجم تحمد الاسماع وتنبو عنه الطباع وبا
وا عليهم بالخزي والانقطاع وصيرهم مثله وتخزيه وضحكه الى

ان تاب اكثرهم وظهر ندمه ونسكه الثاني انه مع كونه من جنس
كلام العرب قد جاء في نظمه واسلوبه مخالفا لسائر فنون من النظم
والنثر والخطب والشعر والرجز والسجع فحير عقولهم حتى لم يهتدوا الى
مثل شيء منه اذا مال له يحتذي عليه والامام يرجع عند الاشتباه
اليه وقد حكي عن غير واحد ممن تصدى لمعارضته انه اعتراه
روعة وهيبة كفته عن ذلك كما حكي عن يحيى بن احكم الغزال وكان بليغ
الاندلس في زمانه انه قد رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص
خلا صرا يحذو اعلى مثالها وينسج بزعمه على منوالها فاعتراه من خشيته
حملته على التوبة والانابة وحكي ايضا ان ابا المقنع وكان افصح اهل
زمانه طلب ذلك وراوده ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فا
جتاز يوما بصبي يقراء في مكتب وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا
للقوم الظالمين فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض ابدا
وما هو من كلام البشر الثالث تاثيره في النفوس والقلوب بحيث
تجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا تجده عند سماع غيره
ولذلك كان قارئه لا يمله وسامعه لا يتجه بل الاكباب على تلاوته
تزيده حلوة وترديده يوجب له محبة وحلاوة قال القاضي
عياض واما غيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة ما بلغ يمل
مع الترديد ويعادي اذا عيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات
وبونس بتلاوته في الازمان وسواه من الكتب لا يوجد فيها
ذلك حتى احفظها اصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون
تنشيطهم على قراءتها وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم القران
بانه لا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه هو
الفصل ليس بالهزل لا تشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء الرابع
ما فيه من الاحاطة بعلوم الاولين والاخرين والاخبار بالعلوم

الماضيه والاتيه وجمعه لعلوم كثيرة لم تتشابه العرب الكلام فيها ففيه
من الاخبار بالغيوب الاتيه شيء كثير فوقع على ما اخبر كقوله لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون
وقوله ليظهره على الدين كله والايات في هذا كثيرة وفيه ايضا من
اخبار الامم السالفه والقرون الخاليه ما لم يكن يعلم القصه الواحده منه
الا الفرد من احبار اهل الكتاب ياتي به على وجهه ويعترف بذلك بحجته
وصدقه كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته
واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وامثاله ذلك من الانباء قال
القاضي عياض ولم يحك عن احد من اليهود والنصارى على شدة
عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم
وكثرة سؤالهم له عليه الصلوة والسلام وتعنتهم صحيح اياه عن اخبار
انبيائهم واسرار علومهم لهم بمكتوم شرائعهم مثل سؤالهم عن الروح و
ذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل
على نفسه وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القرآن فاجابهم
بما اوحي اليه من ذلك انكر ذلك او كذب به بل اكثرهم صرح بصدق
نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسدهم اياه كاهل نجران
وابن صوريا وابن اخطب وغيرهم انتهى ولا يرد على هذا ما قدمناه
من خبر عيسى وما في القرآن من مخالفة ما عند النصارى في انه
ما قتل وما صلب لان الذي عندهم من خبر قتله وصلبه لا يدعون
انه من اخبار الانبياء وانما يعزونه الى تلاميذ عيسى وانهم
نقلوا ذلك عمن شاهده وهم ليسوا بانبياء ولا معصومين عن
الخطا هذا الوجه ان هذه الكتب محفوظة عندهم وانى يعلم ذلك بل
فيها من الكذب والتغيير ما اقمنا برهانه فيما تقدم ولله الحمد وما
في القرآن من العلوم والمعارف سوى ما تقدم مما لم تعهده
العرب عامة ولا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاصة قبل نبوته

فشيء

فشيء هو مبلغ النهاية كما قال الله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء وقال عز من قائل ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال ولقد
ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قال شيخ الاسلام
ابن تيميه ومن تامل ما تكلم به الاولون والاخرون في اصول الدين
والعلوم الالهية وامور المعاد والنبوات والاخلاق والسياسات والعبادات
وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاحها وسعادتها ونجاتها لم يجد عن
الاولين والاخرين من اهل النبوات ومن اهل الرأي كالمتفلسفة وغيرهم
الا بعض ما جاء به القرآن وهذا لم تحتج الامة مع وسطها وكتابها
الى نبي اخر وكتاب اخر فضلا عن ان تحتاج الى المحدثين الملهمين او الى
ارباب النظر والقياس الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتاب منزل من
السماء وهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح انه كان في الامم
قبلكم محدثون فان يكن في امتي احد فعمر فعلق ذلك تعليقا في امته
مع جزمه به فيمن تقدم لان الامم قبلنا كانوا محتاجين الى المحدث كما
كانوا محتاجين الى نبي بعد نبي واما امة محمد صلى الله عليه وسلم فما
غناهم الله برسولهم وكتابهم عن كل ما سواه حتى ان الحديث منهم كمرا انما
يوخذ عنه ما وافق الكتاب والسنة واذا حدث شيء في قلبه لم
يكن له ان يقبله حتى يعرضه على الكتاب والسنة فلا يقبله الا اذا وا
فقهما وهذا باب واسع في فضائل القرآن الذي جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم على ما سواه هذا هو صلى الله عليه وسلم رجل في امتي لا يخط
كتابا ولا يقرؤه ولد في قوم اميين ونشا بين اظهرهم في بلد
ليس به عالم يعرف اخبار الماضين ولا خرج الى سفر ضاربا الى عالم
فيعكف عنده فجاءهم باخبار التوراة والانجيل وعلم الاولين و
الاخرين والسابقين واللاحقين وهذا ادل دليل على انه اوحاه
من عند الله وهذا احتج عليهم بذلك في قوله وما كنت تتلوا
من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون

لعله
امين

من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته وعجز
المفترين باعجاز بلاغته ومجده انتهى فعجز العرب عن معارضته حجة
قاطعة ومعجزة ساطعة ومحال ان يأتوا بثلثة اثلاثا وعشرين سنة على التكوت
عن معارضته اية منه فتستلزم تلك المعارضة نقض امره وتفريق
اتباعه وزوال شوكته وحيازة مرتبته مع قدرتهم عليها وطلبها منهم
وقتل اكابرهم وسبي ذراريهم وهو لا يزداد الا تقريعا لهم بعجزهم
عن المعارضته ويقولهم ان زعمتم اني افتريته لعلي باخبار الامم
فاتوا بعشر سور مثله فلم يروم ذلك خطيب ولا طمع فيها شاعر ولا كلمه
مصقع والا اظهر ووجد من يسجد له ويجاي عليه ويتم بمجرد
الدعوى انه عارض وناقض فلما لم يوجد ذلك مع ان كثيرا منهم
هجاه وعارض شعراء اصحابه وخطباء امته قطع بعجزهم وتحيزهم
وانقطاعهم قال ابو سليمان الخطابي وقد كان صلى الله عليه وسلم
اعقل خلق وقد قطع العقول بان ما اتى به من عند ربه وانهم
لا يأتون بمثله اقصر سورة منه فلولا انه على بينة واضحة من
ربه علام الغيوب وانه لا يقع فيما اخبر به خلف والا لم يأذن
له عقلا ان يقطع القول في شيء بانه لا يكون وهو يمكن ان يكون
انتهى قال بعض العلماء ان النبي اورده صلى الله عليه وسلم على
العرب من الكلام الذي اعجزهم عن الاتيان بمثله اعجب في الاية
واوضح في الدلالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه اتى
اهل البلاغة وارباب البيان والتقدم في اللسن بكلام هم المعنى عندهم
فكان عجزهم عنه اعجب من عجز شاهد المسيح عند احياء الموتى لانهم
لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الاكمه والابرص ولا يتعاطون
علمه وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة والخطابة فدل
ان العجز عنه انما كان ليكون علما على رسالته وصحة نبوته واعلم
ان جمهور العلماء واهل السنة على ان القران معجز بنائه لا يصح

وقال تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد
لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون وهذا من ابلغ الحجج اظهرها
اي هذا الكلام ليس من قبلي ولا من بعدي ولا اقدر ان افتريه على
الله ولو كان ذلك مقدورا لي لكان مقدورا لمن هو من اهل العلم
والكتابة ومخالطة العلماء والتعلم منهم ولكن الله تعالى بعثني به ولو شاء
سبحانه لم يأذن له علي ولم ييسره بلساني ولا لسان غيري ولكنه اوحاه
الي واذن لي في تلاوته عليكم وادراكم به بعد ان لم تكونوا تدارسين
به فلو كان كذبا وافتراء كما تقولون لامكن غيري ان يتلوه عليكم
وتدرون به من جهته لان الكذب لا يجزه عنه البشر وانتم لم
تدرسوا بهذا ولم تسمعوه الا مني ولم تسمعوه من بشر غيري ثم
اجاب عن سؤال مقدرا وهو انه تعلمه من غيره او افتراه من تلقاء
نفسه فقال فقد لبثت فيكم عمرا من قبله اي تعلمون حالي ولا تخفى
عليكم سيرتي ومدخلي ومخرجي وصدقي وامانتي وتعلمون اني
ما طالعت كتابا ولا تتلمذت لاستاذ ولا تعلمت من احد ثم من
بعد انقراض اربعين سنة من عمري جئتكم بهذا الكتاب العظيم المشتمل
على العلوم الكثيرة في الاصول والاحكام ولطائف علم الاخلاق
واسرار قصص الاولين وقد عجز عن معارضته الفصحاء والبلغاء
والعلماء فكل ذي عقل سليم يعرف ان هذا لا يحصل الا بالوحي
من الله تعالى ولما كان علم ذلك ضروريا وكان انكار المعلوم بالضرورة
يقدح في صحة العقل قال تعالى افلا تعقلون فتأمل
صحة هذا الدليل وحسن تاليفه وظهور دلالته قال القاضي
ابو الفضل كون القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم اتى به معلوم
ضرورة وكونه متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن
الاتيان بمثله معلوم ضرورة وكونه في فصاحته حاذقا للغاية
معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وقيل

ان يكون مقدورا للبشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقتدار
الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصى وتسبيح الحصا ومن قال انه مما يمكن
معارضته وانه لا يمتنع ان تاتي به القوة البشرية فهو يقول ان الله تعالى
صرف التمانع عن معارضته فالاعجاز في هذا ظاهر ايضا ان الله تعالى لما
دعى اهل الخطابة والفصاحة الذين يهيمون في كل واد من المعاني
بسلاطة لسانهم الى معارضة القرآن فجروا عن الاتيان بمثله لم يخف
على اولى الالباب انصاف العجماوات عجزهم عن ذلك وعلى الطرفين
فعجز العرب عنه ثابت فالاعجاز به حاصل ولكن الصحيح هو الاول
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا **فصل** ومن وجوه اعجازه
كونه اية باقية الدنيا محفوظا من التغيير والتبديل الواقعين في
الكتب كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وسائر معجزات
الانبياء انقضت بانقضاء اوقاتها ولم يبق الا خبرها والقرآن
العزيز الباهرة اياته الظاهرة معجزاته الذي هو اعظم من كل
معجزة وابهر من كل اية باق على ما كان عليه طري لم يتغير
منه شيء بل كانه منزل الآن وجميع وجوه اعجازه التي ذكرناها
وما اخبر به من الغيوب يقع كل وقت على الوجه الذي اخبر به
حتى كانه يشاهد عيانا فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس
الخبر كالعيان والنفس مشتاقة الى عين اليقين منها الى علم اليقين
وان كان كل عندها حقا والى هذا المعنى كما قال القاضي عياض
اشار النبي صلى الله عليه وسلم فيما ثبت عنه في الصحيحين من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما من الانبياء نبي الا قد اعطي من الايات ما امن على
مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو

ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة وهذا لفظ مسلم ومما يلحق بالاعجاز اخباره بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت لكم الدار
الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين
والاعجاز في هذا من وجهين من جهة اخباره بانه لا يكون
ابدا فلم يكن وهذا ادخل في باب الاخبار بالغيب ومن جهة
صرف دواعيهم وهذا من اعجب الخوارق انهم مع حرصهم على تكذيبه
لم تنبعث دواعيهم لاظهار تكذيبه بالتمني بل صرفهم الله عن
تمنيه ليظهر صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه قال ابو محمد الاصيلي
من اعجب امرهم انه لا توجد منهم جماعة ولا واحد من يوم
امر الله بذلك نبيه عليه السلام يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا
هذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة
التي نزلت في وفد قصد نجران حيث نكلوا عن المباهلة ورجعوا الى الصلح وبذلوا الجزية وكذلك قوله تعالى فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فانهم لا يفعلون ابدا ولا يتمنون ابدا واعلم ان
اية التمني على ما قرره الحافظ ابن كثير هي من باب المباهلة على
على معنى انها تضمنت الدعاء بالموت على اي الفريقين اكذب من
اليهود ومن المسلمين فقال قال ابن اسحق عن محمد ابن ابي محمد
عن عكرمة او سعيد ابن جبير عن ابن عباس يقول الله لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين اي ادعوا بالموت على اي الفريقين اكذب فابوا ذلك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين
اي لعلمهم بما عندهم من العلم بك والكفر بذلك ولو تمنوه

يوم القيمة قال لهم ذلك ما بقي على وجه الارض يهودي الا مات
قال ابن كثير وهذا في الاية هو المتعين وهو الدعاء على اي
الفريقين كذب ونقله ابن جرير عن قتادة وابي العالية والربيع
ابن انس رحمهم الله تعالى والمعنى ان كنتم تعتقدون انكم اولياء
الله واحباؤه من دون الناس وانكم اهل الجنة ومن عداكم من
اهل النار فباهلوا على ذلك وادعوا على الكاذبين منكم ومن غيركم
واعلموا ان المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة فلما يتقنوا ذلك وعرفوا
صدقه نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافترائهم وكتمانهم
الحق من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ونعته وهم يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم فعلم كل واحد باطلهم وخزيهم وضلالهم و
عنادهم عليهم لعائن الله التابعة الى يوم القيمة وسميت هذه
المباهلة تمنيا لان كل محق يتمنى لو اهلك الله المبطل المناظر له
ولا سيما اذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره انتهى
واعلم ان النصراني فيما تقدم من كلامه قسم بحزاتنا صلى الله
عليه وسلم الى ثلاثة اقسام قسم زعم انه مما امكن فعله بحيلة مما
تقوم به القوة البشرية وارادات القرآن من ذلك وقسم زعم انه
من المحال كانشقاق القمر وقسم زعم انه ليس عليه شهود وقد عرفت
بما قدمناه الجواب عن القسم الاول وان البراهين القويه
والادلة الصحيحة العقلية شاهدة ان القرآن غير مقدور للبشر
وانه مما لا يمكن الاتيان به الا بالوحي من الله عز وجل وعلى
التنزل الى انه مما يمكن البشر الاتيان فقد ثبت عجزهم عنه وظهر
انقطاعهم ويكون ذلك على هذا القول بصرف الله اياهم عن
معارضته كما صرف اليهود عن تمني الموت تصديقا لنبيه
صلى الله عليه وسلم في اخباره انهم لن يتمنوه ابدا وكما صرف
النصارى عن المباهلة فقامت الحجة وانقطعت المعذرة وجاء

الحق

الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فصل واما
معجزة انشقاق القمر في كما قال الخطابي اية عظيمة لا يكاد يعد
شيء من ايات الانبياء وذلك انه ظهر في ملكوت السموات خارجا
عن جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبايع فليس مما يطمع
في الوصول اليه بحيلة فالذلك صار البرهان به اظهر انتهى وهذه
المعجزة دل عليها القرآن قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر والمراد وقوع انشقاقه ويؤيده قوله تعالى بعد ذلك وا
ن يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فان ذلك ظاهر في ان
المراد بقوله انشق وقوع انشقاقه لان الكفار لا يقولون ذلك
يوم القيمة فدل على ان المراد بالاية وقوع انشقاقه في الدنيا
كما دل عليه صريح الاحاديث الاتية وقد اجمع المفسرون واهل السنة
على وقوعه لاجل نبينا صلى الله عليه وسلم فان كفار قريش لما كذبوه
ولم يصدقوه اعطاه الله تعالى هذه الاية العظيمة المتضمنة لثلاث
حكم الاولى دلالتها على وحدانية الله تعالى وانه المتفرد بالربوبية والالهية وان هذه الالهة التي يعبد ونها من دون الله
باطلة لا تنفع ولا تضر وان العبادة انما تكون لله وحده وهذا
على طريقة القرآن من الاستدلال بتفرده تعالى بالخلق والتدبير
على انه هو المعبود وحده الثانية دلالتها على نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وصحة رسالته حيث اراهم هذه الاية جوابا لاقترحهم
الثالث انها دلت على ما اخبرت به الانبياء من انشقاق السموات
يوم القيمة قال بعض الائمة وجعل الاية فيه دون الشمس والنجوم
لانه اقرب الى الارض وكان فيه دون اجزاء الفلك اذ هو الجسم المتشديد
الذي يظهر فيه الانشقاق فيقبل ذلك اولى وقد جاءت الاحاديث
بالانشقاق في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم
انس ابن مالك وعبد الله بن مسعود وعبد الله ابن عباس وعلي

بن ابي طالب وحذيفة ابن اليمان وجبير ابن مطعم وعبد الله
ابن عمر وغيرهم في الصحيحين من حديث انس ان اهل مكة سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر
شقتين واجرى بينهما وفي الصحيحين ايضا من حديث ابن مسعود
قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين
فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا وروى الامام احمد من حديث جبير ابن مطعم قال
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقة على هذا الجبل
وفرقة على هذا الجبل فقالوا اسحرنا محمد فقالوا ان سحرنا فانه لا يستطيع
ان يسحر الناس وعند ابي داود الطيالسي عن ابن مسعود في
حديثه قال فقالوا انظروا ما ياتيكم به السفار فان محمدا لا
يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فاخبروهم بذلك و
بالجملة فالروايات بهذه الواقعة متعددة وطرقها متعددة
وعلى وقوعها اجمع علماء الامة وحفاظها وتلقاه الخلف عن السلف
قال ابن عبد البر قد روى هذا الحديث يعني حديث الا
نشقاق وعن جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم امثالهم
من التابعين ثم قاله عنهم الجم الغفير الى ان انتهى الينا وتايد بالا
ية الكريمة وقال غيره ان لهذا الحديث طرقا شتى وروايات بحيث
لا يمترى في تواتره واما قول النصراني انه من المحال يستفضعه
العقل فجوابه ان العقل الصحيح المؤيد بنور الايمان بالله
ورسله وان الله على كل شيء قدير لا يحيل ذلك ولا يستبعده فان
الله تعالى هو الذي خلق القمر وجميع المخلوقات وهي في قبضته
وتحت تصرفه اوجدها من العدم وسيعيدها اليه فلا يستبعد
ان يخرق العادة فيها معجزة لرسوله ودلالة على صدقه كما
جعل العصا حية واخرج الناقة من صخرة واعلم ان شبهة

القائلين

القائلين باستحالة الانشقاق دعواهم ان الاجرام العلوية لا
يتهيأ فيها الالتئام والالتيام وكذا قالوه في انكارهم فتح ابواب
السماء لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وما ذكرناه من
عموم قدرة الله تعالى على جميع الممكنات دليل على عدم الاحالة
وبمثل هذا اجاب العلماء كقول ابي اسحق الزجاج وهو من
متقدمي العلماء انكر بعض المبتدعة الموافقين للمخالفين الملة
انشقاق القمر ولا انكار للعقل فيه لان القمر مخلوق لله يفعل
فيه ما يشاء كما يكون يوم القيمة ويفيه انتهى ويكفي في الحجة على
النصارى في ذلك رفع عيسى عليه السلام الى السماء فانهم يعترفون
انه رفع بجسمه فقد حصل برفعه الالتئام والالتيام الذي انكروه
فبطل قولهم في احالة الانشقاق وبقي ثبوته من جهة النقل وقد نا
انه بلغ التواتر الذي لا يشك فيه وان انكره اهل الكفر والعناد
واما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشتركت
اهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص بها اهل مكة لانه امر صدر
عن حس ومشاهدة فالناس فيه شركاء والدواعي متوفرة على
رواية كل غيب ونقل ما لم يعهد ولو كان لذلك اصل لخلد في
كتب السير والتنجيم اذ لا يجوز اطباقهم على تركه واغفاله مع جلالة
شانه ووضوح امره فاجاب عنه الخطابي وغيره بان هذه القصة
خرجت عن الامور التي ذكروها لانه شيء طلبه خاص من الناس
فوقع ليلا لان القمر لا سلطان له بالليل ومن شان الليل ان يكون
الناس نياما ومسكنين في الابنية والبارز منهم بالصحراء ان كان
يقضان يحتمل انه اتفق انه كان في ذلك الوقت مشغولا بما يلهيه
من سمر وغيره ومن المستبعد ان يقصد والى مركز القمر ناظرين
اليه لا يغفلون عنه فيجوز انه وقع ولم يشعر به اكثر الناس وانما
راه من تصدى لرؤيته من اتفق وقوعه ولعل ذلك انما كان

قدير صح

واعلم

في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر وقد يكون القمر حينئذ في
بعض المنازل التي تظهر لبعض الافاق دون بعض كما يكون ظاهر
القوم غائبا عن قوم كما يجد الكسوف اهل بلد دون اهل بلد اخرى
وكثيرا ما يحدث الثقاة بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع
عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء ولا علم عند احد منها فصل
واما ما عدى ما تقدم من معجزاته صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته
فكثير جدا وبسطها يحتمل مجلدات ولكنا نذكر من عيونها ومشهورها
ما هو اللائق بما قصدناه من الاختصار فمن ذلك ما اخبر به من الغيب
المستقبلة في القرن من ذلك شيء كثير كقوله الم غلبت الروم في
ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وقوله وعد الله
الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف
الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم امنا الاية وقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وقوله لئن اجتمعت الانس
والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله الاية وقال قاتلوهم
لم تقاتلوا ولن تفعلوا الاية وقال للمسيح وجاعل الذين اتبعوك
فوق الذين كفروا الى يوم القيمة وقال سيهزم الجمع ويولون
الدبر وقال ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار وقال ومن
قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم
العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها
الله الاية وقال لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم
لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل
من الناس الاية وقال قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة
من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه ابدا
الاية وتقدمت القصة وقال في الوليد ابن للغيرة ذريني ومن

قصر

خلقت

خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت
له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا عنيدا سارهقه صعودا
الى قوله ساصليه سقر وقال عن ابي لهب تبت يدا ابي لهب وتب ما
اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب فماتا كافرين وقال
تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وقال لتدخلن المسجد الحرام
ان شاء الله امنين وقال للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم
اولي باس شديد تقاتلونهم او يسلمون وهذا كله وقع حصلت الغنائم
الكثيرة ودخلوا المسجد امنين ودعيت الاعراب الى قتال الروم وفارس
وقال اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا وكان ذلك اخبارا من الله
لرسوله باقتراب اجله حينئذ وكذلك وقع فمات صلى الله عليه وسلم حتى
دخل الناس في دين الله افواجا ولم يبق في بلاد العرب موضع لم يدخله
الاسلام وقال عن المنافقين في امرهم مع اليهود فيما وعدوهم به من
انفسهم لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
الاية وكذلك كما وضرب الله لهم المثل بالشيطان اذ قال للانسان
اكفر فلما كفر قال اني بريء منك وقصتهم مشهورة في التفاسير والسير
وفي الاحاديث الصحيح مما اخبر بوقوعه فكان ما لا يحصى كثرة كما في
صحيح البخاري وغيره عن عدي ابن حاتم رضي الله عنه قال بينا انا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل فشكى اليه الفاقة ثم اتاه
اخر فشكى اليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رايت الحيرة قلت لم اراها
وقد انبئت عنها فقال ان طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل
من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف احدا الا الله قلت في نفسي
فاين دعار طي الذين سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز
كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترين الرجل
يخرج ملء كفه ذهبا او فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد احدا يقبله

منه قال عدي فرايت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالبيت
لا تخاف الا الله وكنت فيمن افتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت
بكم حياة لترون ما قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملأ
كفه ذهبا او فضة فلا يجد من يقبله منه وفي صحيح مسلم عن ابي
ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون
مصرا وهي ارض يسمى فيها القيراط فاستوصوا باهلها فان لهم ذمة
ورحما واحسب مسلم وابا داود والترمذي عن ثوبان رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله زوى لي الارض
فرايت مشارقها ومغاربها وان امتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها
واعطيت الكنزين الاحمر والابيض واني سألت ربي ان لا يهلك
امتي بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح
بيضتهم وان ربي قال يا محمد اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني
اعطيتك لامتك اني لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم
عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها
حتى يكون بعضهم يهلك بعضا وهذا اخبر به صلى الله عليه وسلم
في اول الامر واصحابه في غاية القلة قبل فتح مكة فكان كما اخبر
فان ملكهم انتشر في المشرق والمغرب ما بين ارض الهند الى اقصى المشرق
للبحر طنجة وفي المغرب حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة
من الامم ولم ينتشر في الجنوب والشمال كانتشاره في المشرق والمغرب
قال بعض العلماء فلما كانت امته اعدل الامم انتشرت دعوته
في الاقاليم التي هي وسط المعمور من الارض وفي حديث جابر
ابن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا هلك كسرى
فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي
بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله اخرجاه في الصحيحين
وملك كسرى وقيصر عز ملك في الارض فلم يبق للفرس

ملك وهلك قيصر الذي بالشام وغيرها فلم يبق من وقت الفتوح العمرية
من هو ملك على الشام ولا مصر ولا الجزيرة من النصارى وهو يبقى
قيصر وقال في قيصر ثبت الله ملكه فثبت ببلاد الروم وفي كسرى
مزق الله ملكه فلم يبق له ملك وهذا كله يصدق بعضه بعضا وفي
الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي على الحق ظاهرين
الحديث وهذا اخبر به حين كانت امته اقل الامم ثم انتشرت في
المشارق والمغارب وكان كما اخبر فانه ولله الحمد لم تزل فينا طائفة
ظاهرة بالعلم والدين والسيف فلم يصب هذه الامة ما اصاب من
قبلها من الامم بني اسرائيل وغيرهم حيث كانوا مقهورين مع الا
علة بل ان غلبت في قطر اخر طائفة ظاهرة لم يسلط
على مجموعها عدو من غيرهم ولكن وقع بينهم اختلاف وفتن
وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
تقوم الساعة حتى تخرج نار من ارض الحجاز تضيء لها اعناق الابل
ببصرى فظهرت نار عظيمة على نحو مرحلة من المدينة سنة اربع
وخمسين وستمائة ودامت نحو اربعة او اربعين يوما وكان يخرج من
الحجر ولا تنضب الا بعد ورؤيت منها اعناق الابل ببصرى وقد طال المؤرخون
في اخبارها بما لا يتسع له هذا الموضع وصح عنه صلى الله عليه وسلم
انه اخبر بموت النجاشي يوم موته بالحبشة وصلى الله عليه باصحابه
وانه ابا بكر وعمر وعثمان صعد احدا فرجف الجبل فضربه برجله
وقال له اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان فاستشهد
وانه قال لسراقة بن جعشم كيف بك اذا لبست سواري كسرى قال
لبسهما عمر له ما زال ملك كسرى في زمنه واخبر بان ابنته فاطمة رضي
الله عنها اول اهله لحوقا به فكان كذلك واخبر بان اشقى الاولين
عاقر الناقة والاخرين قاتل علي يضربه بيده على يافوخه فتبل
من دمها لحيته فضربه الشقي بن ملجم ضربه كذلك فمات منها وصلى

الله عنه وبان عثمان يقتل ظلما وبان المدينة ستغزى فكانت وقعة
الحرة المشهورة على اهل المدينة من جيش والله يزيد ابن معاوية واخبر
بوقعة الجمل وصفين وقتال عائشة والزبير لعلي رضي الله عنهم و
لذلك قال علي للزبير لما مر به يوم ذي قار انشدك الله هل سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك تقاتله وانت له ظالم فانصرف الزبير
وقال بلى ولكني نسيت وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في الحسن
رضي الله عنه ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين
عظيمتين من المسلمين وكان كذلك يوم التقى معاوية واخبر
بقتل الحسين رضي الله عنه واخبر ابن عمر سيعي الحارثي جبريل عند
في صورة رجل واخبر بالخوارج الذين خرجوا على علي وان فيهم
رجلا احدى ثدييه مثل ثدي المرأة فقاتلهم علي رضي الله عنه
واخرج ذلك الرجل من بين القتلى حتى رآه الناس بالوصف الذي
وصفه صلى الله عليه وسلم واخبر بالرافضة وبالقدرية وبان امته
ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وبانها كلها في النار الا فرقة وهي
وهم الذين على ما كان عليه هو واصحابه صلى الله عليه وسلم واخبر انه ستكون
لهم انماط ويغدو واحدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه
صحفة وترفع اخرى ويستون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال
اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وقال يكون في ثقيف كذاب
ومبير فرأوهما المختار بن ابي عبيد الذي ادعى انه يوحى اليه والحجاج
بن يوسف واندر بالردة التي وقعت بعده وبان الخلافة بعده
ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي
وقال ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون ملكا عضوضا ثم
يكون عتوا وجبرية وفسادا في الامة واخبر بشان
اويس القرني وانه ياتي في امداد اهل اليمن وان له اما وهو بار
بها واخبر عمر بصفته وقال له ان استطعت ان يستغفر لك فافعل

واخبر

واخبر بانه مجاب الدعوة واخبر بامراء يؤخرون الصلوة عن وقتها
وبانه ستكون في امته ثلاثون كذابا كلهم يدعون النبوة وعنه صلى الله عليه
لو كان الدين بالثريا لتناوله رجال من ابناء فارس وانه اخبر بالبوتان
الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكني البصرة و
ان امته يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وقال لسعد لعلك ان
تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويضر بك اخرون واخبر اباذر يبطريده
كما كان وبموته وحده وانه يشهد جنازته طائفة من المسلمين
وقال العرفي سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان
كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغه موت النبي صلى الله عليه وسلم
وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم واخبر صلى الله عليه وسلم
باشياء كثيرة وقعت في زمانه كقوله في الرجل الذي ابلى مع المسلمين في الجهاد
انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه
فاخبرت الملائكة تغسله فسئلوها فقالت انه خرج جنبا واجاب الحال عن الغسل
واخبر بالذي غل خرزا من خرز اليهود فوجبت في حله وبالذي غل
الشملة وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضيه عمير مع صفوان حين
ساوره وشارطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير الى النبي صلى
الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المراسلة
واخبر بالمال الذي حمله العباس عند قدوم الفضل بعد ان كتمه فقال ما
علمه غيري وغيها فاسلم واعلم بانه سيقتل ابي ابن خلف فقتله وفي
عتبة ابن ابي لهب انه يأكله كلب الله وعن مصارع اهل بدر فكان
كما قال واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبفتح مسيرة شهر واكثر
وقال لخالد لما وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر واخبر بكثير
من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى انه
كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لم يكن عنده من الخبر
لاخبرنه بحجارة البطحاء واعلم بصفة السحر الذي سحره لبيد بن الاعصم

وكونه في مشط ومشاطة في جف طلعة نخل ذكر والله الق في بئر ذروان رواه
فكان كما قال صلى الله عليه وسلم ووصف لكفار قريش بيت المقدس حين
كذبوه في جزء الاسراء ونعته لهم من عرفه واعلمهم بعيرهم التي مر عليها
في طريقه واخبرهم بوقت وصولها فكان كذلك كله كما قال واما ما اخبر به
صلى الله عليه وسلم مما لم يقع لي الان فكثير جدا وبحسب هذا النوع من
معجزاته صلى الله عليه وسلم ان يكون المروي فيه ديوانا مفردا يشتمل
على عدة اجزاء وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها
كفاية واكثرها في الصحيحين والسنن والمسانيد المشهورة **وقد**
روى البخاري ومسلم وابو داود عن حذيفة رضي الله عنه
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يقوم
من مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث حفظه من حفظه ونسيه
من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء قد نسيته
فاراه فاذكر كما يذكر الرجل وجه الرجل الاغاب عنه فاذا رآه
واخرج مسلم عن ابي زيد عمرو بن اخطب الانصاري
رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الفجر
وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر
فخطبنا حتى حضرت العصر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت
الشمس فاخبرنا بما هو كائن الى يوم القيمة فاعلمنا احفظنا **وعن ابي قتادة**
كلام الشجرة له وسلامها عليه وطواعيتها له وشهادتها له وشهادتها له بالرسالة
اخرج الزبير وابو نعيم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اوحى الله الي جعلت لا امر
بحجر ولا بشجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن علي رضي
الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة في جبالها او
نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك
يا رسول الله رواه الترمذي وقال حسن غريب واخرج

الحاكم في مستدركه باسناد جيد عن ابن عمر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في سفر فاقبل اعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
اين تريد قال الى اهلي قال هل لك خير قال وما هو قال تشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال هل من
شاهد على ما تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة فدعا
ها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على شاطئ الوادي فاقبلت تخد
الارض خدا فقامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت ثم رجعت
الى منبتها الحديث رواه الدارمي ايضا بنحوه وفي حديث جابر بن
عبد الله قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينا حتى نزل
بوادي افيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعه
باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيئا يستتر به
فاذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله
فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ثم فعل بالاخرى
كذلك حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا
الحديث رواه مسلم **وعن اياته** وعجائب معجزاته حنين الجذع شوقا
اليه صلى الله عليه وسلم وقد روى عن جماعة من الصحابة من طرق
كثيرة تفيد القطع بوقوعه فاخرج البخاري من طريق جابر رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم يوم الجمعة الى
شجرة او نخلة فقالت امراة من الانصار الا نجعل لك منبرا قال ان
شئتم فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع الى المنبر فصاحت النخلة
فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضمها اليه فجعلت تئن
الصبي الذي يسكن قال كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر
عندها قال القاضي حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر
به متواتر خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضع عشر منهم ابي

بن كعب وجابر ابن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبيد الله
بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة
والمطلب ابن ابي وداعة وقال البيهقي قصة حنين الجذع من الامور
الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف وقال الشافعي فيما نقله عنه
ابن ابي حاتم في مناقبه ما اعطى الله نبيا ما اعطى نبينا محمدا عليه
افضل الصلوة والسلام فقيل له اعطى عيسى احياء الموتى قال اعطى محمد حنين
الجذع حتى سمع صوته فهو من ذلك وصف اياته كلام الحيوانات وطاعتها له
صلى الله عليه وسلم فمن ذلك سجود الجمل وشكواه اليه اخرج الامام
احمد والنسائي عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال كانت اهل بيت من
الانصار لهم جمل يسنون عليه وانه استصعب عليهم ومنعهم ظهره وان الاضاء
جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل فسنى علينا وانه
استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية
فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يا رسول الله قد
صار مثل الكلب الكلب انا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليس علي منه باس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بناصيته فكان اذل ما كان قط حتى ادخله في العمل فقال له اصحابه
يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق
ان نسجد لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد
لبشر ولو صلح لبشر ان يسجد لبشر لامرت المراة ان تسجد لزوجها من
عظم حقه عليها وقد ورد في هذا المعنى عدة احاديث من
طرق تدل على تعدد القصة ومن ذلك قصة الذئب اخرج الامام
احمد بسند جيد عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال عدى
الذئب على شاة فاخذها فطلبه الراعي فاخذها منه فاقعى الذئب

على ذنبه وقال الا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله الي فقال يا
العجب ذئب مقع على ذنبه يكلمني بكلام الانس فقال الذئب
لا اخبرك بالعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس باشياء ما قد سبق
قال فاقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فرواها الى زواياها ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الحديث واعلم
ان قصة كلام الذئب جاءت من عدة طرق ايضا من حديث ابي
هريرة وانس وابن عمر وجاءت احاديث ايضا في كلام الحمار وكلام
الضب وكلام الغزالة ولكن لا تخلوا اسانيدها عن مقال ومن
اياته نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم قال القرطبي قصة
نبع الماء من بين اصابعه تكررت في عدة مواطن في مشاهد عظيمة
وورد من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي للمستفاد من التواتر
المعنوي ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا صلى الله عليه وسلم
وقد نقل ابن عبد البر عن المزني انه قال نبع الماء من بين اصابع
صلى الله عليه وسلم ابلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجرين ضربه موسى
بالعصا فتفجرت منه المياه لان خروج الماء من الحجارة معهود بخلاف
خروجه من بين اللحم والدم انتهى وقد روي حديث نبع الماء
عن جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود في الصحيحين عن
انس قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر
والتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فامر الناس ان يتوضوا منه
فرايت الماء نبع من بين اصابعه فتوضا الناس حتى توضوا من
عند اخرهم وفي البخاري اقلهم كانوا ثمانين رجلا وفي لفظ فجعل
الماء ينبع من بين اصابعه واطراف اصابعه حتى توضا القوم قال فقلت
لانس كم كنتم قال ثلاثمائة وفي الصحيحين ايضا عن جابر رضي
الله عنه قال عطش الناس يوم الحديبية فاتوا رسول الله صلى الله

وبين يديه ركوة فقالوا ليس عندنا ما نتوضأ به ولا نشرب الا ما في
ركوتك فوضع صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من
بين اصابعه كامثال العيون فتوضأنا وشربنا قيل لجابر كم كنتم يومئذ
قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وفي صحيح مسلم
عن جابر قصة نبع الماء في غزوة بواط ايضا وفيه قال فرايت الماء
يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلات
وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا والحديث في الصحيحين
عن ابن مسعود قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في
في سفر وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا
من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل
الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع
تسبيح الطعام وهو يؤكل اخرجه البخاري والنسائي ومما شبه ذلك
تفجير الماء بركته واتباعه يمسه ودعوته وروى مسلم في
صحيحه عن معاذ رضي الله عنه قصة عين تبوك انهم جاؤها و
هي تبض بشيء من ماء الشراك قال ثم غرفوا من العين قليلا قليلا
حتى اجتمع في شيء ثم غسل وجهه ويده ثم اعاده فيها فجرت
العين بماء كثير واستقى الناس وعند ابن اسحاق فانخرق من
الماء ما لا حس له كحس الصواعق وفي صحيح البخاري في غزوة الحديبية
من حديث المسور بن مخرمة ومروان انهم نزلوا باقصى الحديبية
على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبثه الناس حتى
نزحوه وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع
سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم
بالري حتى صدروا عنه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم توضأ
ومج في البئر الحديبية من فيه فجاشت بالماء كذلك وفي بعض
الطرق عند غير البخاري انه توضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج

فيه

فيه وامر ان يصب في البير ونزح منها من كانت فالقاه في البير و
دعى الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بايديهم منها وهم جلوس
على شفيرها فجمع بين الامرين وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع ما
رواه البخاري في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا
تروى خمسين شاة فنزعنا ها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء او في بدلو منها فبصق
ودعا وقال سلمة فامّا دعا وامّا بصق فيها فجاشت فارو وانفسح
وركابهم وفي الصحيحين عن عمران بن حصين قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
في سفر فاشتكى اليه الناس من العطش فنزل فدعا في الانا ودعا
عليا وقال اذهبا فاستقيا الماء فانطلقا فتلقيا امراة بين مزادتين
او بسطحتين من ماء فجاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فامر بنزولها
عن بعيرها ودعى النبي صلى الله عليه وسلم باناء ففرغ فيه من افواه
المزادتين او السطحتين واوكى افواههما واطلق العزالي ونودي في
الناس اسقوا واستقوا فسقى من سقى واستقى من شاء وهي قائمة وانه
تنظر ما يفعل بها وايم الله لقد اقلع عنها وانه ليخيل الينا انها اشد ملاءة
منها حين ابتداء فيها الحديث انها ما انت لما قوبها قالت والله انه لاحبر
الناس كلهم وانه رسول الله وقالت فهل لكم في الاسلام الحديث وعن
انس قال اصاب الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما
النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة قام اعرابي فقال يا رسول
الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه ومازى في
السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب امثال الجبال
ثم لم ينزل من منبره حتى رايت المطر يتحادر على لحيته فمطرنا يومنا
ذلك ومن الغد وبعد الغد حتى الجمعة الاخرى وقام ذلك الاعرابي
او غيره فقال يا رسول الله تهدم البنا وغرق المال فادع الله لنا فرفع
يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب

الا انفرجت وصارت المدينة في مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهر
اولم يجئ احد من ناحية الا حدث بالجود رواه البخاري ومسلم **ومن ايات**
صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام القليل ببركته ودعائه في الصحيحين
عن جابر في حديثه في غزوة الخندق قال فانكفأت الى امراتي فقلت
هل عندك شيء فاني رايت النبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا
فاخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة داجن فذبحتها و
طحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم
فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير
فتعال انت ونفر معك فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق
ان جابرا صنع سورا فحي هلا بكم وقال صلى الله عليه وسلم لا تنزلن
برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى اتي فاخرجت له عجينا فبصق فيه
وبارك ثم عمد لابرمتنا فبصق وبارك ثم قال ادع خابزة فلتخبز
معك واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها وهم الف فاقسم بالله لاكلوا
حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو
وفي الصحيحين ايضا قصة اطعام النبي صلى الله عليه وسلم القوم الذين كانوا سبعين او ثمانين رجلا من اقراص شعير ارسلت تحت يد انس
واتهم اكلوا حتى شبعوا وجاءت رواية عدة عن انس في هذا
المعنى تدل على تعداد القصة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال لما
كان غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة فقال عمر يا رسول الله ادع بفضل
ازوادهم ثم ادع الله لهم عليها بالبركة فقال نعم فدعا بنطع فبسط
ثم دعا بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجئ بكف ذرة ويجئ الاخر
بكسرة حتى اجتمع من ذلك شيء يسير فدعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالبركة ثم قال اخذوا في اوعيتكم فاخذوا في اوعيتهم
حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملئوه قال فاكلوا حتى
شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا

ان

ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب
عن الجنة وفي الصحيحين عن انس قصة اطعام النبي صلى الله عليه وسلم
اصحابه وكانوا زهاء ثلاثمائة رجل من جيش وسلك براحلته سليم
مع انس واتهم اكلوا عشرة عشرة حتى شبعوا قال انس فما ادري حين
وضعت كالكراع حين رفعت وعن سمرة بن جندب قال كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة من غدوة حتى الليل يقوم
عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد قال من اي شيء تعجب ما كانت
تمد الا من ها هنا واشار بيده الى السماء رواه الترمذي والدارمي
وعنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها ثريد فتعاقبوها من
غدوة حتى يقوم قوم ويقعد اخرون فقال رجل لسمرة هل كانت
تمد قال ما كانت الا من ها هنا واشار الى السماء رواه الدارمي وابن
ابي شيبة والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوا وابو نعيم وفي حديث
عبد الرحمن ابن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين مائة
ومائة وذكر الحديث وانه عجن صاع وضعت شاة فشوي سواد
بطنها قال فاكل الثلاثين ومائة الا وقد جز له من سواد بطنها ثم
جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته على البعير
رواه البخاري والاحاديث في مثل هذا كثيرة **ومن اياته** اجابة دعائه
صلى الله عليه وسلم وهذا باب واسع جدا واجابة دعوة النبي صلى الله
عليه وسلم لجماعة عباد عالم متواتره على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء
في حديث حنيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل
ادركت الدعوة ولده وولد ولده واخرج البخاري عن انس
قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع الله له قال اللهم اكثر
ماله وولده وبارك له فيما اتيته وفي رواية قال انس فوالله
ان مالي لكثير وان ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو
المائة وفي رواية وما اعلم احدا اصاب من رخاء العيش ما اصبت

٢. بما اخرجه مسلم

ولقد دفنت بيدي هاتين مايه من ولدي لا اقول سقط ولا ولد
ولد قال القاضي ابو الفضل ومن هذا دعاؤه لمعاويه بالتمكين
في البلاد فنال الخلافة ولسعد ابن ابي وقاص ان يجيب الله دعوته
فما دعا على احد الا استجيب له ودعا بغز الاسلام بعمر او بابي جهل فاستجيب
له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس
في بعض مغازيه عطش فسئله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه ضرر المطر فدعا
فصحوا وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية
فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له من نبت له اخرى و
عاش عشرين ومايه وقيل اكثر من هذا ودعا لابن عباس اللهم
فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي حبر الامة وترجمان القرآن
ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئا
الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكان عنده غرائر من المال
ودعا بمثله لعروة ابن ابي الجعد فقال لقد كنت اقوم بالكناسة
فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه
فكان لو اشترى التراب ربح فيه ودعا لام ابي هريرة فاسلمت
ودعا لعلي رضي الله عنه ان يكفي الحر والقر فكان يلبس في الشتاء
ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد
وسئله الطفيل بن عمرو اية لقومه لما ذهب اليهم يدعوهم الى الاسلام فقال اللهم نوره له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب
اخاف ان يقولوا مثله فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في
الليل المظلم فسمي ذو النور ودعا على مضر فاصابتهم سنة حطمتهم
قريش فدعاهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه ان يمزق
الله ملكه فلم تقم له باقية قال القاضي ولم يبق لفارس
رياسة في اقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلوة ان

ان يقعد الله اثره فاقعد وقال لعتبة ابن ابي لهب اللهم سلط عليه
كلبا من كلابك فاكله الاسد وحديثه مشهور في الصحيحين
من رواية ابن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلى
على رقبته وهو ساجد وسماهم قال فوالذي بعثه بالحق
لقد رايت الذين سمى صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب
بدر وفيها ابراء ذوي العاهات خرج الامام عثمان بن
سعيد الدارمي عن ابن عباس رضي الله عنه ان امراة جاءت
بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله
ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح
رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره فتعتعه وخرج من
جوفه مثل الجرو الاسود يسعى وفي حديث ابي سعيد في
غزوة خيبر انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن علي ابن
ابي طالب فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يشتكي
عينيه قال فارسل اليه فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه ودعا له فبرئ حتى كان لم يكن به وجع اخرجه
البخاري وفي رواية مسلم من طريق اياس بن سلمة عن
ابيه قال فاوسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي
فجئت به اقوده ارمد فبصق في عينيه فبرئ واصيب يوم
احد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على وجنته
فاتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ان لي امراة احبها واخشى ان رانني تقذرني فاخذها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ورده الى موضعها و
قال اللهم اكسه جمالا فكانت احسن عينيه واحدها نظرا
وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وقد وفد على
عمر بن عبد العزيز رجل من ذويه فسئله عمر من انت فقال

ابونا الذي سالت على الخد عينه ○ فردت بكف المصطفى ايما رد ×
فعادت كما كانت لاول امرها ○ فياحسن ماعين وياحسن ماجد ×

فصل عمرو احسن جائزة قال السهيلي وفي رواية اصيبت عيناي يوم احد فسقطتا على وجنتي فاتيت بهما النبي صلى الله عليه وسلم فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرق قال الدارقطني هذا حديث تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة ويجمع بين الروايتين بان احد الرواة ظن ان الساقطة واحدة وبعضهم ان صحت الرواية عنه علم انها تنشقت ومن قواعدهم ان زيادة الثقة مقبولة واصيب يوم خيبر يضربة في ساقه فنفث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نفثات فما اشتكاها قط رواه البخاري والاخبار في هذا المعنى اكثر مما ذكرناه **ومن اياته** صلى الله عليه وسلم عصمته من الناس وكفايته اذاهم على شدة العداوة ومع وحدته وقلة عضده وناصره وكان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى الايمان بالله وحده وينادي عليهم في اندیتهم بتسفيه احلامهم وسب الهتهم وعيبها بكل عيب وسوء فينابذون حتى اقرب اقاربه كعمه ابي لهب في ايذائه والتجري عليه لكثرتهم وواحدته صلى الله عليه وسلم وهو مع ذلك محروس بحراسة الله تعالى مكلوء بكلاءته محفوظ بحفظه متماد على ماهو عليه غير ملتفت الى اذاهم الى ان مكنه الله من نواصي اعدائه فاذاق من بقي منهم على كفره الهوان وردي مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال ابوجهل هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال واللات والعزى لئن رايته يفعل ذلك لاطان على رقبته اولاعفرن وجهه في التراب ثم انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجاهم منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه

فقيل له

فقيل له مالك قال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنى مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وعن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس بالوادي يستظلون بالشجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاني وانا نائم فاخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على راسي والسيف في يده صلتا فقال من يمنعك مني قلت الله فشام السيف وها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه فاضرب حين عفى عنه وقال والله لاكون في قوم هم خير لك اخرجه البخاري ومسلم ومن هذا الباب العبرة المشهورة والكفاية التامة عند اجمعت قريش على قتاله وبيتوا ما اراد الخروج خرج عليهم من بينهم فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على ابصارهم وذرى التراب على رؤسهم وخلص منهم ثم حمايته اذ هو وابو بكر في الغار وقد وقف الكفار على بابه بها الله من الايات ومن العنكبوت التي نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا له ادخل الغار ما اويكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما اوى انه قبل يولد محمد ووقعت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد ما كانت هناك الحمام ثم قصة سراقة بن مالك بن جعشم حين ابتعد على فرسه ليامره لقريش حيث جعلوا عليه الجعائل فلما قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه ثم دعاه وابا بكر بالامان وقال ما ابيت الامن جهتكم ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم فطلب منه ان يكتب له اماناً فامر ابا بكر فكتب له فانصرف وقال

للناس كفيتم ماهنا ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل
وارب بن قيس حين وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر
قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل
شيئا فلما كلمه في ذلك قال والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك
بيني وبينه افاضربك وعن فضالة بن عمر وقال اردت قتل النبي
صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت
منه قال فضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت
لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن
قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه
وله احاديث والاخبار في معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة
جدا قد افردت بالمصنفات الكبار عند المتقدمين والمتاخرين
واغا ذكرنا من صحيحها ومشهورها ما هو كالانموذج الدال
على ما وراءه وبالله التوفيق **فصل** في بيان ان هذه الاخبا
تفيد العلم ليعرف بطلان قول النصراني ان هذه المعجزات
مما لم يكن عليه شهود فنقول هذه المعجزات منها ما هو في القرآن
وقد علم بالضرورة عند الموافق والمخالف اتيانه من قبل محمد
صلى الله عليه وسلم كما قدمنا الاشارة الى ذلك **ومنها** ما هو
متواتر كنبع الماء من بين اصابعه وحنين الجذع وتكثير الطعام
فما من طبقة من طبقات الامة الا وهذه المعجزات منقولة عندها
وتواترها اعظم من تواتر كثير من الاحكام فهو اعظم
من تواتر سجود السهو فان سجود السهو متواتر مقطوع
به مع انه كما اعلمك مرات قليلة ولا يحضره الا المصلون
خلفه لتلك الصلوة وكذلك قضاؤه حكمه صلى الله عليه وسلم
بالشفعة فيما لم يقسم وكذلك تعليمهم لنصب الزكوة فانه
مع كونه متواتر مقطوعا به فلم يسمعه منه الا طائفة

قليلة

قليلة ومثال ذلك كثيرا تما سمعها طائفة من الامة هم اقل بكثير من شاهد
ايات قال بعض الائمة ومن المعلوم بالضرورة انه قد جرى على يديه
عليه الصلوة والسلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد
منها حينا القطع فبلغها جميعها قلا مرية في جريان معانيها على يديه
ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب واتما خلاف
المعاند في كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدق عبدي
فاطيعوه فهذا احد الوجوه في اثبات هذه المعجزات وهو التواتر العام
الوجه الثاني التواتر الخاص وذلك في كثير من افراد هذه
المعجزات فان الاخبار قد تستفيض وتتواتر عند قوم دون قوم
بحسب طلبهم لها وعلمهم عن اخبرها وما دل من الدلائل على صدقهم
واهل العلم بحديث النبي صلى الله عليه وسلم لهم من العلم بهذا ما ليس
عند غيرهم كما ان اصحاب مالك والشافعي وغيرهما عند كل طائفة
من اقوال متبوعهم واخبارها ما يقطعون به وان كان غيرهم لا يعرفه
والاطباء عندهم من كلام بقراط وامثاله كذلك واهل العلم بايام
الاسلام يعلمون من سيرة الخلفاء ومغازيهم ما يقطعون به وان
كان غيرهم لا يعرفه بل اهل العلم بالرجال يعلمون من حال احاد
الصحابة والتابعين ومن بعدهم ما لا يعلمه غيرهم والنحاة يعلمون
من حال سيبويه وامثاله ما لا يعلمه غيرهم فكيف بمن هو عند
اتباعه اعلا قدرا من كل عالم ارفع منزلة من كل ملك وهم
ارغب الخلق في معرفة احواله واحظ الناس تحريا للصدق
فيها ولهذا الكذب منها حتى صنفوا الكتب الكثيرة في اخبار
جميع من روى شيئا من اخباره وذكروا من الجرح والتعديل
ووقعوا في ذلك وبالغوا مبالغة لا يوجد مثلها لاحد من
الامم ولا لاحد من هذه الامة الا لاهل الحديث وميزوا
في المنقولات بين الصدق والكذب فيردون الكذب وان

كان فيه من فضائل نبيهم واعلام نبوته ماهو اعظم مما يقبلون
ويقبلون الصدق وان كان فيه شبهة يحتج بها المنازع
قال عبد الرحمن بن مهدي اهل العلم يثبتون مالهم وعليهم
واهل البدع لا يثبتون الا مالهم فاذا كان اولئك فيما ينقلونه
عن متبوعهم جازمين به لا يكون الا صدقا فهؤلاء مع جزمهم
بالصدق واتفاقهم على التصديق اولى قال شيخ الاسلام
ابو العباس وعامة اخبار الصحيحين مما اتفقوا اهل الحديث
على التصديق بها وجزموا بذلك الوجه الثالث في تصحيح
هذه المعجزات التواتر المعنوي وهذا مما اتفق عليه عامة ذوي
الطوائف فان الناس يسمعون اخبارا متفرقة تتضمن شجاعة علي وكرمه
مثالها وسخاء حاتم ومعن وامثالهما وحلم الاحنف ومعاوية
وامثالهما فيحصل علم ضروري بان الشخص موصوف بهذا وان بعض
كان كل خبر لو تجرد لم يفد العلم فهذه الاحاديث واضعاف اضعافها
هي اضعاف ما نقل عن الواحد من هؤلاء ونقلتها اجل واكثر
وعلم المسلمين بها اعظم من علم اهل الكتاب بايات موسى و
عيسى فانهم يذكرون من حجج في صحة نقلها الا وجه المسلمين
فيما ينقلونه عن نبيهم واصحابه اظهر واقوى الوجه الرابع
انها تكون بمحضر من الخلق الكثير كتكثير الطعام يوم الخندق
ونبع الماء من بين اصابعه يوم الحديبية وفيضان البئر بها
وكلهم صالحون لا يعرف فيهم من تعمد كذبة واحدة وكان
بعضهم ينقلها قدام اخرين ممن حضرها فينذهب اولئك
فيخبرون بها اولئك فيصدق بعضهم بعضا ويحكي هذا
من غير تواطي وادنى احواله ان يقره ولا ينكره ويعلم
بموجب العادة الفطرية وبما كان عليه السلف من تحري
الصدق وشدة توقيهم الكذب على نبيهم صلى الله عليه وسلم

ورعايتهم

ورعايتهم عنه التحذير من الكذب عليه وتعظيم الوعيد على ذلك كما في
الحديث المتواتر عنه من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار انهم
لم يكونوا يقرون من يعلمون انه يكذب عليه بل نعلم انه لو كان ما سمعوه منكرا
عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها
في السنن والسير وغير ذلك وخطأ بعضهم بعضا ووهمه في ذلك في قضايا
معلومة ومن تعقل ما ذكرناه علم قطعا انهم متفقون على نقل تلك المعجزات
كما اتفقوا على نقل القرآن ومما يبين ذلك انما انكره بعضهم على الاخر وان كان متأخرا عن الصحابة او جب التنازع في حكم ذلك كتنازعهم هل كان
يجهر بالبسملة في الصلاة الجهرية او يداوم على القنوت في الفجر وهو من
هون الامور اذ كلهم متفقون على صحة صلوة من فعل او ترك ولكن
لما تنازعوا في فعله تنازعوا في الحكم فعلم انما كان مشهورا في الامة عن
النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره احد من العلماء عليها كانت الامة
متفقة على نقله وكذلك معجزة فانهم متفقون على ما تواتر عنه من انه لم
يحج بعد الهجرة الا حجة واحدة وانه عاش بعدها نحو من ثلاثة اشهر قال ابو
العباس واتفقوا على انه لما حج امر اصحابه من ساق الهدي اذا طاف
وسعى ان يحل وانه لم يحج بيته هو واصحابه الذين حجوا معه بعد الحج الا عايشة
وانه لم يحل وله من ساق الهدي معه وانما اشتبه على بعضهم بعض الفاظه او بعض
الامور التي تخفى على كثير من الناس وكان الصحابة ينقلون تمتعه ومرادهم
انه قرن بين العمرة والحج وبعضهم قال افرد الحج فظن بعض الناس انه اعتمر
بعد الحج وقال بعضهم قرن فظن بعض الناس انه طاف طوافين وسعى
سعيين ومن اسباب الغلط ان الصحابة يسمعون تلك الالفاظ في غير
المعاني التي استعملها من بعدهم قال ومن تدبر هذا افاده علما يقينيا بصحة
هذه المعجزات عنه الوجه الخامس ان كل طائفة من العلماء ممن صنف في
علوم الشرع قد تواتر عندهم من بعدهم الايات ما فيه كفاية فكتب
التفسير متواتر فيها وكذلك كتب الحديث وكذلك كتب التفسير

وان لم يكن هذا مقصودا منها وانما المقصود ما اصوله تلك الكتب من
اله احكام وغيرها فنقل كل طائفة يفيد العلم اليقيني فكيف ينقل الكلام
وهذه الاوجه التي ذكرناها يستدل بها تارة على تواتر الجنس العام وهذا
اقل ما يكون وعلى تواتر جنس منها لكثير الطعام والظهور وعلى نوع
نوع كنبع الماء من بين اصابعه وعلى تواتر شخص شخص كحنين الجذع
وكلام المعن اي فسان في ذلك النظر واعتبره بامثاله واعطاه حقه
من النظر واله سبحانه لا اله الا هو اسئله ان يزيدنا به علما ويقينا وتبيينا له ان العلم
بذلك اظهر من جميع ما يطلبه باله خبار المتواتر فليس في الدنيا علم مطلوب
باله خبار المتواترة الا ويعلم بايات الرسول وشرائع دينه اظهر من ذلك وما
من حال احد من اله نبياء والملوك والعلماء واقواله وافعاله وسيرته الا ويعلم
باحوال محمد صلى الله عليه وسلم اظهر وما من علم بالتواتر مما هو موجود اله ن كالعلم
باليلة والبعيدة اله ولعلم بحال المسلمين في مشارق اله رض ومغاربها وما هم
عليه من الدين وما ينقلونه عن نبيهم من ايات وشرائع دينه اظهر تحقيقا لقوله تعالى
هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله
شهيدا وظهوره على الدين كله بالعلم والحجة والبيان انما هو بما يظهره من اياته
وذلك انما يتم بما ينقل عن محمد صلى الله عليه وسلم من اياته التي هي اله دلة وشرائعه
التي هي المدلول المقصود باله دلة فهنا قد اظهره الله علما وحجة وبيانا على كل
دين كما اظهره قوة ونصرا وتاييدا على كل دين والحمد لله رب العالمين وكل واحد
من هذه الاوجه الخمسة التي ذكرناها يفيد العلم بصحة هذه المعجزات فكيف
وهي كلها متظاهرة وهذه غير البراهين المستفادة من القرآن فان تلك
قد تجرد لها طوائف ذكروا من انواعها وصفاتها كثيرا حتى بينوا ان
ما في القرآن من الايات تزيد على عشرات اله لوف وقد اشرنا فيما
تقدم الى مجامع ذلك واصوله التي يرجع اليها وهذان غير ما في كتب

اهل

اهل الكتاب من الاخبار به تحاقد منا وبعضه وهذه الثلاثة غير ما في
شريعته وغير صفات امته وغير ما يدل على نبوته من المعرفة بسيرته واخلاقه
وهذا كله غير نصر الله له واكرامه لمن امن به وعقوبته لمن كذبه فان تعداد
اعيان دلائل النبوة لا يمكن بشر الاحاطة به وذلك انه لما كان الايمان به
واجبا على كل احد بين الله لكل قوم بل لكل شخص ما يبين له خبرين
كان دلائل النبوة اعظم واكبر من كل مدلول ولكل قوم بل لكل انسان
من الدلائل التي يريه الله اياها في نفسه وفي اله فاق ما لا يعرف اعيانها
قوم اخرون قال الله تعالى سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين
لهم انه الحق والضمير عائد على القرآن عند المفسرين كما دل عليه قوله تعالى
قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل ممن هو في شقاق
بعيد ثم قال سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق
اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد فاخبر تعالى انه سيري الناس
في انفسهم وفي اله فاق من الايات العيانية ما يبين لهم ان الايات المسموعة
حق فيطابق العقل والسمع ويتفق العيان والقرآن ويصدق المعاينة
الخبر قاله الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام ابو العباس واذا عرف ما قررناه تبين بطلان قول
وانقطعت المعذرة وعلم انه لم يبق للمخالف ما يتعلل به سوى العناد المحض والكفر
الصراح وما احسن ما قال اله مام ابو عبد الله بن القيم انه لا يمكن البتة
ان يؤمن يهودي بنبوة موسى ان لم يؤمن بنبوة محمد عليهما
الصلوة والسلام وله يمكن نصرانيا ان يقر بنبوة المسيح اله بعد اقراره
بنبوة محمد عليهما الصلوة والسلام وبيان ذلك ان يقال لطائفتين
انتم لم تشاهدوا هذين الرسولين ولا شاهدتم اياتهما وبراهين
نبوتهما فكيف يسع عاقلا ان يكذب بنبي ادعوة بشائعة وكلمات
باهرة ويصدق من ليس مثله وله قريبا منه في ذلك انه لم
يجحد النبيين وله شاهد محقا انه فاذا كذب بنبوته احدهما
لزمه التكذيب بنبوتهما وان صدق احدهما لزمه التصديق بنبوتهما

فمن كفر بنبي واحد فقد كفر بالانبياء كلهم ولم ينفعه ايمانه قال الله تعالى
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا
اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا
بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم
وكان الله غفورا رحيما وقال تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فنقول للمعترض
عليه هل رأيت موسى وعاينت معجزاته فبالضرورة يقول لا فنقول له
باي شيء عرفت نبوته وصدقه فله جوابان احدهما ان يقول ابي
عرفني ذلك واخبرني به الثاني ان يقول التواتر وشهادات الامم
حققوا حقق ذلك عندي كما اخبرهم وشهادتهم وجود البلاد الشائعة
والمحار والامم الغفيرة وان لم اشاهدها فان اختار الجواب الاول
وقال ان شهادة ابي واخباره اياي بنبوة موسى كان سبب
تصديقي بنبوته فيقال له فلو كان ابوك عندك صادقا وكلامه معصوما
عن الكذب وانت ترى الكفار يعلمون اباؤهم ماهو كفر عندك فاذا كنت
تراه دين الباطل والمذاهب الفاسدة قد اخذها اربابها عن اباءهم
كاخذ مذهبك عن ابيك وانت تعلم ان الذي هو عليه ضلال فلزمك ان
تبحث عما اخذته عن ابيك خوف ان تكون هذه حالة فان قال الذي
اخذته عن ابي اصح من الذي اخذه الناس عن اباءهم كفاه معارضة غيره
له بمثل قوله فان قال ابي اصدق من اباءهم واعرف وافضل عارضه سائر
الناس في اباءهم بنظير ذلك فان قال انا اعرف حال ابي وله اعرفها غيره
قيل له فابى منك ان يكون غير ابيك اصدق من ابيك وافضل واعرف
وبكل حال فان كان تقليدك لابيه حجة صحيحة كان تقليد غيره له بيه كذلك
وان كان ذلك باطلا كان تقليده له بيه باطلا فان رجع عن هذا الجواب
واختار الجواب الثاني وقال انما علمت نبوة موسى بالتواتر قرنا بعد قرن

فانهم

فانهم اخبروا بظهوره ومعجزاته وآياته وبراهين نبوته التي تضطر الى تصديقه
فيقال له لا ينفعك هذا الجواب لانك قد ابطلت ما شهد به التواتر من
نبوة المسيح ومحمد عليهما الصلوة والسلام فان قال تواتر ظهور موسى
ومعجزاته وآياته ولم يتواتر ذلك في المسيح ومحمد قيل هذا هو الالق
ببهت الامة الغضبية فان الامم جميعهم قد عرفوا انهم قوم بهت والا فمن
المعلوم ان النقلين لمعجزات المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم اضعاف اضعاف نقلكم
بكثير والمعجزات التي شاهدها او سمعها لا تنقص عن المعجزات التي اوتي
بها موسى عليه السلام وقد نظمها عنهم اهل التواتر جيلا بعد جيل
وقرن بعد قرن وانت لا تقبل خبر التواتر في ذلك وترده فيلزمك
ان لا تقبل في امر موسى ومن المعلوم بالضرورة ان من اثبت شيئا و
نفى نظيره فقد تناقض واذا اشتهر النبي في عصره وصحت نبوته في نفس
العصر بالايات التي ظهرت معه لاهل عصره ووصل خبره الى اهل عصر
اخر وجب عليهم التصديق به وبما جاء به وموسى والمسيح ومحمد في
هذا سواء ولعل تواتر الشهادات بنبوة موسى اضعف ممن تواتر
الشهادة بنبوة عيسى لان الامة الغضبية قد مزقها الله كل ممزق
وقطعها في الارض وسلبها ملكها وعزها فلا عيش لها الا تحت
قهر سواها من الامم لها بخلاف امة عيسى عليه السلام فانها
قد انتشرت في اكثر ارض وفيهم الملوك ولهم الممالك واما الحنفاء
فهم كلهم قد طبقت مشارق الارض ومغاربها وملؤوا الدنيا
سهلا وجبلا فكيف يكون نقلهم لما تلقوه كذبا ونقل الامة الغضبية
الجاهلة القليلة الذليلة الطريدة كما نشاهد انه لا يمكن يهوديا على
وجه الارض يصدق بنبوة موسى الا بتصديقه واقراره بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم ولا يمكن نصرانيا البتة الايمان بالمسيح الا بعد
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا ينفع هاتين الامتين شهادة
المسلمين بنبوة موسى والمسيح لانهم انما امنوا بهما على يد محمد

صلى الله عليه وسلم فكان ايمانهم بها من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وما
جاء به فلولاه ما عرفنا نبوتها ولا امنا بها ولا سيما فان امة الغضب والضلال
ليس بايديهم عن انبيائهم ما يوجب الايمان بهم فلولا القرآن ومحمد صلى الله
الله عليه وسلم ما عرفنا شيئا من اباطيل المتقدمين فمحمد صلى الله عليه
وكتابه هو الذي قرر نبوة موسى ونبوة المسيح لا اليهود والنصارى
بل كان نفس ظهوره ومجيئه تصديقا لنبوتهما فانهما اخبرا به وبشرا
بظهوره فلما بعث كان بعثه تصديقا لهما وهذا احد المعنيين في قوله
تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين اي مجيئه تصديقا لهم من
جهتين اخبارهم بمجيئه ومبعثه ومن جهة اخباره بمثل ما اخبروا به
ومطابقة ما جاء به لما جاوا به فان الرسول اذا قال اذا ت بامر
لا يعلم الا بالوحي ثم جاء نبي اخر لم يقارنه في الزمان ولا في المكان
ولا تلقى عنه بمثل ما جاء به سواء دل ذلك على صدق الرسولين
الاول والاخر وكان ذلك بمنزلة رجلين اخبر احدهما بخبر عن غيب
ثم جاء اخر من غير بلده وناحيته بحيث يعلم انه لم يجتمع به ولا تلقى
عنه ولا عن من تلقى فاخبر بمثل ما اخبر به الاول سواء فانه
يضطر السامع الى تصديق الاول والثاني فالمعنى انه لم يات كذبا
لمن قبله من الانبياء مزريا عليهم كما يفعل الملوك المتغلبة على الناس
بمن تقدمهم من الملوك بل جاء مصدقا لهم شاهدا بنبوتهم ولو كان
كاذبا منقولا منتحلا من عنده شيئا مما جاء به لم يصدق من قبله
بل كان يزري بهم ويطعن عليهم كما يفعل اعداء الانبياء انتهى فصل
واعلم ان ايات النبوة ومعجزاتها لم تختص بحال التحدي او حال
دعوى النبوة كما ظنه بعض اهل الكلام بل تكون في حياة الرسول
وقبل مولده وبعد وفاته لكن لابد من ايات في حياته تقوم
بها الحجة كما قال صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء نبي الا اعطي
من الايات ما امن على مثله البشر وكما قال تعالى لما يا تكم بينة الذين

فصل

من

من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم
رسلهم بالبينات الايات وقال تعالى وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا
تتبيرا فاخبر سبحانه انه ضرب الامثال لجميعهم واهلكهم بعد اقامة الحجة عليهم
والايات في هذا كثيرة وكانت ايات نبينا صلى الله عليه غير مختصة بما بعد
البعثة بل ظهرت اياته قبل مولده وعند مولده وحال نشاته ثم ظهرت
الايات الكبار بعد بعثته منها ما وقع مقارنا التحدي ومنها غير ذلك
ثم استمرت اياته وحجراته بعد وفاته وعلى ممر السنين وتعاقب الدهور
من وقوع ما اخبر به من الغيوب ومن ظهور دينه على الدين كله وما
قارنه العز والظهور بطاعته واتباع شريعته والذل والصغار لمخالفي
امره ومخالفته مما يبين ذلك للمتوسمين في عموم الناس وفي خاصة
انفسهم والكبر ذلك واعظمه معجزة القرآن المستمرة على ممر السنين
وبقاؤه محفوظ كما انزل غضا طريا الى ان يرث الله الارض ومن
عليها وهو خير الوارثين قال بعض ائمتنا ومما ينبغي ان يعلم ان
الله اذا ارسل نبيا واتى باية دالة على صدقه قامت بها الحجة و
ظهرت بها المحجة فمن طالب باية ثانية لم تجب اجابته بل وقد لا ينبغي
لانه اذا اجاب ثانية طولب بثالثة فاذا جاء بها طولب برابعة
وطلب المتعنتين لا حد له ومعلوم ان من قامت عليه الحجة في مسئلة او
في حق من حقوق العباد التي يتخاصمون فيها لو قال انا لا اقبل حتى تقوم على
حجة ثانية وثالثة كان ظالما لو لم تجب اجابته ولا يمكن الحكام الخصوم
من ذلك فحق الله الذي اوجب على عباده من توحيده والايمان به
وبرسله اولى بهم قد يكون في تتابع الايات حكمة فتتابع كايات نبينا
صلى الله عليه وسلم لعموم دعوته فان الادلة كلما كثرت كان اظهر فقد يعرف
دلالة احد الادلة من لا يعرف دلالة اخرى وقد يبلغ هذا ما لا يبلغ هذا
وقد يرسل الله بنبيا باية بعد اية متتابعة ويقسي قلوب الكفار عن الايمان

ان ينتشر ذلك ويظهر ويبلغ ذلك قوما آخرين فيصير سببا لايمانهم كما
في التوراة انه يقسي قلب فرعون ليظهر عجائبه واياته وكما صد
الملك بين محمد صلى الله عليه وسلم حتى يسعوا في معارضة والقدح في
اياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من اياته بخلاف
ما لو اتبع ابتداء بدون ذلك فانه قد يكون كان يظن انهم قادرون
على معارضته وكذلك ايضا يكون في ذلك من صبره وجهاده ويقينه
وصبر اصحابه واتباعه وجهادهم ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا
والاخرة وقد تقضي الحكمة ان لا يرسل بالايات التي توجب عذاب
الاستيصال كما ذكره في كتابه العزيز وكان الكفار يقترحون فتارة
يجيبهم لما فيه من الحكمة وتارة لا يجيبهم لما فيه من المضرة وربما طلب
الرسول تلك الايات رغبة في ايمانهم فيجاب بانها لا تستلزم الهدى
بل تستلزم اقامة الحجة وتوجب عذاب الاستيصال لمن كذب بها
وقد بين الله تعالى انه لا يظهرها لانتفاء المصلحة او لوجود المفسدة
قال تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية ليؤمنن
بها قل انما الايات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون
ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في
طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى و
حشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن
اكثرهم يجهلون وقال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا
ان كذب بها الاولون واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل
بالايات الا تخويفا وهذا المعنى مذكور في عامة كتب التفسير
والحديث وغيرها كما ذكروا عن ابن عباس قال سئله اهل مكة
ان يحول لهم الصفا ذهبا وان ينحي عنهم الجبال حتى يزرعوا فقيل

ان شئت

ان شئت تستانى بهم وان شئت ان نوتيهم الذى سئلوا فان كفروا
اهلكوا كما اهلك من قبلهم قال بل استانى بهم فانزل الله هذه الاية وما
منعنا ان نرسل بالايات الا الاية وروى بن ابى حاتم عن الحسن في الاية
قال رحمه لكم ايتها الامة انا لو ارسلنا الايات فكذبتم بها اصابكم ما اصاب
من قبلكم وقد كانت الايات تاتيه صلى الله عليه وسلم اية بعد اية
فلا يزيدهم الا كفرا وقال تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا
عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا
به يستهزءون الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض
ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجري
من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا اخرين ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا
سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر
ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون
ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا
به يستهزءون قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان
عاقبة المكذبين اخبر سبحانه ان الايات تاتيهم فكذبون
بالحق وانهم سوف يرون صدق ما جاء به الرسول كما اهلك من
كان قبلهم بذنوبهم التي هي تكذيب الرسول فان الله تعالى يقول
وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلوا
عليهم اياتنا وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون
واخبر بشدة كفرهم بانه لو انزل عليهم كتابا في قرطاس
فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
وبين سبحانه انه لو جعل الرسول ملكا لجعله على صورة الرجل
اذ كانوا لا يطيقون ان يروا الملائكة في صورهم وحينئذ فكان
الملبس يقع لظنهم انه بشر لا ملك وقال تعالى وقالوا لن نؤمن

لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل و
عنب فتفجر الانهار تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتي
بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقى
في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان
في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وهذه الايات التي اقترحوا لو اجيبوا بها ثم لم يؤ
منوا بها عذاب الاستيصال وايضا هي مما لا يصلح فان تفجير ينبوع
بمكة يصيرها واديا ذا زرع والله تعالى من حكمته جعل بيته بذلك
الوادي غفلا لا يكون عنده ما ترغب النفوس فيه من الدنيا
فيكون حجة للدنيا لا لله واذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم جنة
كانت لاك كان فيه من التوسع في الدنيا ما ينقص درجته ولكنه لاك
اذا كان له بيت من زخرف وهو الذهب واسقاط السماء لا
يكون الا يوم القيمة وهو لم يخبرهم انه لا يكون الا يوم القيمة فقولهم
كما زعمت كذب منهم الا ان يريد والتمثيل فيكون القياس
فاسدا واما الايتان بالله والملائكة قبيلا فلما سئل قوم
موسى ما هو دون اخذتهم الصاعقة واما انزال الكتاب
قبيلا فقد قال تعالى يسئلك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من
السماء فقد سالوا موسى اكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة
فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم
البينات فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا
فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم
لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم
ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا

غلف

غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا وبكفرهم وقولهم على
مريم بهتانا عظيما الايات بين سبحانه ان للمشركين مسالوه انزال الكتاب
وان اهل الكتاب مسالوه ذلك وبين ان الطائفتين لم يؤمنوا
اذ جاءهم ذلك وانما سالوه تعنتا فقال عن المشركين ولو نزلنا
عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان
هذا الا سحر مبين وذكر عن اهل الكتاب انهم سالوا موسى
اكبر من ذلك وانهم مع ذلك نقضوا الميثاق وكفروا بايات الله و
قتلوا النبيين الى امثال ذلك وانه بسبب ظلمهم وصدهم عن سبيل الله
حرم عليهم طيبات ففيه من الاعتبار لهذه الامة ان الا
مة الملكذبة اذ جاءتهم الايات المقترحة لم يكن فيها منفعة لهم بل
توجب عقوبة الاستيصال فكان ان لا تنزل اعظم رحمة وحكمة
وقد عرض الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان يهلك قومه لما
كذبوه فقال بل استاني لعل الله ان يخرج من اصلابهم من يعبد
الله لا يشرك به شيئا كما في حديث عائشة رضي الله عنها
قالت قلت يا رسول الله هل اتى عليك يوم كان اشد من يوم
احد قال لقد لقيت من قومك وكان اشد ما لقيت منهم يوم
العقبة اذ عرضت نفسي على عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني
الى ما اردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم استفق الا وانا
بقرن الثعالب فرفعت راسي فاذا انا بسحابة قد اظلتني فاذا
فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال ان الله قد سمع قول
قومك لك وما ردوه عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتامره
بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال وسلم علي وقال يا محمد
ان الله قد سمع قول قومك وانا ملك الجبال قد بعثني اليك
لتامرني بامرك فما شئت ان شئت اطبقت عليهم الاخشبين
فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من

يعبد الله ولا يشرك به شيئا اخرجه البخاري ومسلم والاخبار
جبلا مكة الحيطان بها ولما طلبت من المسيح المائدة كانت
من الآيات الموجبة لمن كفر بها عذابا لم يعذب به احد فكان
قبل نزول الموجب التوراة يهلك الله المكذبين بين الرسل بعذاب
الاستيصال واظهر تعالى آيات كثيرة لما ارسل موسى ليقيم ذكرها
في الارض اذ كان بعد نزول التوراة لم يعذب احد بعذاب
الاستيصال بل قال تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى فكان بنو اسرائيل لما كانوا يفعلون ما يفعلون
من الكفر والمعاصي يعذب بعضهم ويبقى بعضهم اذ كانوا لم
يتفقوا على الكفر ولهذا لم يزل في الارض امة من بني
اسرائيل باقية على الحق قال تعالى وقطعناهم في الارض امما منهم
الصالحون ومنهم دون ذلك وقال تعالى ومن اهل الكتاب امة قائمة
يتلون آيات الله الآيتين وكان من حكمته ورحمته سبحانه وتعالى لما ارسل
محمدا صلى الله عليه وسلم ان لا يهلك قومه بعذاب الاستيصال بل عذب
بعضهم بانواع العذاب كالذين قال فيهم انا كفيناك المستهزئين والذين
دعا عليهم ان يسلط عليهم كلبا وامثال ذلك قال تعالى قل هل
تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب
من عنده او بايدينا فاخبر انه معذبهم تارة بايدي المؤمنين وتارة
بعذاب غير ذلك فكان ذلك مما يوجب ايمان اكثرهم كجرش لقريش
وغيرهم فانه لو اهلكهم كالذين قبلهم لبادوا وانقطعت المنفعة عنهم ولم
يبق لهم ذرية توع من بخلاف الاول فان فيه من اذلالهم وقهرهم ما يوجب
عجزهم والنفوس اذا قدرت له تكاد تنصرف عن مرادها بخلاف ما اذا عجزت
عن كمال اغراضها فانه يدعوها الى التوبة كما قيل من العصمة ان لا تقدر
ولهذا امن عامتهم ولم يقتل منهم الا قليل وهم صناديد الكفر الذين
كان احدهم في هذه الامة كفرعون في تلك الامة متكاروي

عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عن ابي جهل هذا فرعون هذه الامة وفي
التوراة اني اقسي قلب فرعون لتظهر آياتي وعجائبي بين ان فيه من
الحكمة اختشارية الدالة على صدق انبيائه في الارض اذ كان موسى
قد اخبر بتكليم الله له وبكتابه التوراة له فاظهر الله له من الآيات ما يبقى
ذكرها في الارض وكان في ضمن ذلك من تقسية قلب فرعون
ما اوجب ان اهلكه وقومه اجمعين وفرعون كان منكرا لربوبيته
لا يقر به فكان اكثر اوقاته من الآيات ما يناسب حاله واما بنو اسرائيل
مع المسيح فهم مقرون بالكتاب الاول فلم يحتاجوا الى مثل ما احتاج اليه
موسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن محتاجا الى تقرير
جنس النبوة اذ كانت الرسل قبله جاءت بما يثبت ذلك وقومه كانوا
مقرين بالله وانما الحاجة الى تثبيت نبوته ومع هذا فاظهر الله على يديه
من الآيات مثل آيات من قبله واعظم ومع هذا فلم يات بآيات الا
استيصال التي يستحق مكذبها العذاب العام العاجل فلهذا بين الله انها
اذا جاءت لا تنفعهم اذ كانوا لا يؤمنون بها ولكن تضرهم ومع وجود
المانع وعدم المقتضي لا يصلح الفعل قال تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات
الا ان كذب بها الاولون الآية فهو يعلم ان قلوب هؤلاء كقلوب اولئك
قال تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
اتواصوا به بل هم قوم طاغون وقال الكفار كم خيرا من اولئكم ذكر في الصورة
التي ذكر فيها افتقاق القرآن واعراضهم عن الآيات وقولهم سحر مستمر
واتباعهم اهواءهم وفيها ولقد جاءهم من الانباء بنبأ ما فيه مزدجر
من انباء الغيب ما يزجر عن الكفر اذ كان في تلك الآيات بيان صدق
الرسول والانذار لمن كذب به بالعذاب كما عذب المتقدمون ولهذا
يقول عقب القصة فكيف كان عذابي ونذر اي كيف كان عذابي لمن
كذب رسلي وكيف كان انذاري بذلك قبل مجيئه وفيها كذبوا بآياتنا
كلها في قصة آل فرعون له فهم كذبوا بجميع آيات موسى وجميع آيات الانبياء
قبله وكذبوا بجميع الآيات الدالة على وجود الرب تعالى وقدرته

هذا

ومشيئته ثم قال اكفاركم ايتها الامة خير من اولئكم الذين كذبوا نوحا و
من بعده ام لكم براءة في الزبر وذلك ان كونكم لا تكذبون مثلهم اما
لكونكم خيرا منهم لا تستحقون ما استحقوه او يكون الله اخبرانه لن يعذبكم
فان ما يفعله الله تارة يعلم بخبره وتارة يعلم بمشيئته وحكمته وعدله
فاما ان تكونوا علمتم هذا من هذا الوجه او من هذا الوجه هذا ان نظر الى
فعل الله اي لا طاقة للبشر به وان نظر الى قوة الرسول فيقولون
نحن جميع منتصر فانهم اكثره واقوى فقال تعالى سيهزم الجمع ويولون
الدبر وهذا اخبر به وهو بمكة في قلة اتباع ولم يظن احد بالعادة
المعروفة ان امره يعلو قبل ان يهاجر ويقاتل فكان كما اخبر فانهم
يوم بدر وغيرها هزموا وتلك سنة الله في المؤمنين والكافرين
وحيث ظهر الكفار فلذنوب المسلمين التي نقضت ايمانهم ثم
اذا تابوا بتكميل ايمانهم نصرهم الله كما قال تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا
وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال ولما اصابتكم مصيبة قد
اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على
كل شيء قدير فاذا كان من تمام الحكمة والرحمة ان لا يهلكهم هلاكا
الا ستيصال كالذين قبلهم كان ان لا ياتي بموجب ذلك مع اتيانه بحجج
بما يقيم الحجة ويوضح المحجة اكمل في الحكمة والرحمة اذ كان ما اتى به من
الايات حصل به كمال الخير والمصلحة والهدى والبيان والحجة على من كفر
وما امتنع منه دفع به من العذاب ما اوجب بقاء جمهور الامة حتى
يهتدوا وكان في ارسال محمد صلى الله عليه وسلم لما كان خاتم
المرسل من الامم السابقة ملك يكن في رسالته رسول غيره
صلوة وسلامة عليهم اجمعين فصل قال شيخ الاسلام
ابو العباس الكلام في النبوة من جنس الكلام في الخبر فقول
القائل اني رسول الله اليكم خبر من الاخبار والخبر تارة يكون
مطابقا لمخبره كالصادق المعلوم انه صادق وتارة لا يكون كالكاذب
المعلوم انه كاذب فان لم يقم دليل صدقه لا وكذبه بقي مما لا تصدقه

فصل

ولا تكذبه وهذا قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فامر بذلك
لانه قد يصدق بحق فدل على انه لا يجوز تصديقه بمجرد اخباره ولا
يجوز ايضا تكذيبه قبل ان يعرف انه كذب وفي صحيح البخاري عن
النبي صلى الله عليه وسلم اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا
تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد
ونحن له مسلمون وهذا ماثور عن غيره من الانبياء كما جاء
عن المسيح عليه السلام انه قال الامور ثلاثة امر تبين رشده فاتبعوه
وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اشتبه عليكم فكلوه الى عالمه وعامة عقلاء
بني آدم على هذا وهو مما يجب معرفته فان كثيرا من الناس لا يميز بين ما ينفيه
لقيام الدليل على نفيه وبين ما لم يثبته لعدم دليل اثباته فينفي ما ليس له به علم
ويقولون بافواههم ما ليس لهم به علم وكثير من الناس يعلم بالاستدلال والنظر
صدق شخص حين كما ان كثيرا منهم يعلم بالاخبار والنقل والاستدلال بذلك
امورا كثيرة ومن لم يشاركهم فيما سمعوه وفيما عرفوه من احوال المخبرين واحوال
المخبر به لا يعلم ما علموه فلهذا كان له اهل النظر العقلي طرق لا يعرفها اهل الاخبار
واهل الاخبار السمعية طرق لا تعرف بمجرد العقول ولهذا كان طوائف
من الطرق الدالة على صدق الرسول ونبوته والاستدلال على ذلك امور
كثيرة لا يعرفها اهل الاخبار وعند اهل الاخبار من الاحاديث المتواترة
عندهم والايات البينة ما يعرفون به صدق الرسول وان كان اولئك
لا يعرفونها والناس قد يعلمون ان الخبر الواحد قد يقوم الدليل على كذب به
فيعلم انه كذب وان اخبر به الوف اذا كان خبرهم عن علم او عن تواطئ
مثل اخبار اهل الاهواء عن اعتقاداتهم الباطلة بها واما اذا اخبروا عن علم منهم
فهم صادقون في نفس الامر ويعلم صدقهم تارة بتواتر اخبارهم من
غير مواطاة ولو كانوا اثنين فان الاثنين اذا اخبر الخبر طويل اسنده
الى علم وقد علم انهما لم يتواطيا عليه ولا هو مما يتفق في العادة تمالؤهما
فيه في الكذب والغلط علم انه صدق وقد يعلم صدق الخبر الواحد

بانواع من الدلائل وبقرائن تقترن به تكون صفات في المخبر من علمه
ودينه وتحرية الصدق او تكون صفات في المخبر من علمه ودينه وتحرية
الصدق او تكون صفات في المخبر مختصة بذلك الخبر ونوعه كما جاء
ان اميرا ذكر بحضرته لعسكره ان الامير قد اذن لكم في الانصراف وامركم
تركبوا عنه وامر عليكم فلانا ونحو ذلك فان العادة كما قد تمنع التواطي
على الكذب فانها قد تمنع التواطي على الكتمان واقرار الكذب فاذا توفرت
الهمم والدواعي على ذكره يمتنع ان يتواطي اهل المكان على كتمانه كما يمتنع
في العادة بحدث حادثة عظيمة تتوافر الهمم والدواعي على
نقلها في الجامع او الجامع او العسكر واذا امتنع السكوت عن اظهارها فالسكوت
عن تكذيب الكاذب فيما اشتد امتناعا وقد تكون الدلائل صفات في
المخبر المخبر تقترن بخبره فان الانسان قد نرى حمرة وجهه فنميز بين حمرته
من الخجل والحياء وبين حمرته من الحمى وزيادة الدم وبين حمرته من الحمام
وبين حمرته من الغضب وكذلك يميز بين صفرته من الفزع وصفرته
من الحزن وصفرته من المرض حتى ان الاطباء الحذاق يعلمون حال
المريض بمجرد رؤيته لا يحتاجون مع ذلك الى نبض وقارورة وكذلك
تعرف احوال النفسانية هل هو فرح او محزون وهل هو محب
مريد للخير او مبغض مريد للشر كما قيل وكما قيل

لحد ثني العينان ما القلب كاتم ... من الغدر والبغضاء بالنظر الشزر

والعين تنظر من عيني محدثها ... هل كان من حزبها او من اعاديها

ثم اذا تكلم مع ذلك دل كلامه على ابلغ مما تدل عليه سيما وجهه وقد
عثمان رضي الله عنه انه قال ما اسر احد سريرة الا ابداها الله على صفحات
وجهه وفلتات لسانه وقال عمر بن الخطاب للعابث في صلاته لو
خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والرجل الصادق البر يظهر على
وجهه من نور صدقه وبهجة وجهه سيما يعرف بها وكذلك الكاذب
الفاجر وكلما طال عمر الانسان ظهر هذا فيه حتى ان الرجل في صغره
يكون جميل الوجه فيظهر في اخر عمره من قبح وجهه ما اثره باطنه و
بالعكس وروي عن ابن عباس انه قال للحسنة نورا في القلب

وضياء

وضياء في الوجه وقوة في البدن وسعة في الرزق ومحبة في قلوب
الخلق وان للسيئة ظلمة في القلب وسوادا في الوجه ووهنا في البدن
وبغضة في قلوب الخلق وقد يكون الرجل ممن لا يتعمد الكذب لكن
يتعمد اعتقادات باطلة في الله وفي رسله ودينه وعبادة الصالحين
ويكون له زهادة وعبادة واجتهاد مع ذلك فينوء ثر ذلك الكذب الذي
ظنه صدقا وتوابعه في باطنه ويظهر ذلك على وجهه فيعلوه من
القترة والسواد ما يناسب حاله لهما قال بعض السلف لولا دهن
صاحب البدعة كل يوم بدهانها سواد البدعة لفي وجهه وهنا تظهر
يوم القيمة ظهورا تاما قال تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا
على الله وجوههم مسودة الا يتين و قال تعالى يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه الا يتين والمقصود ان ما في القلوب من قصد
الصدق والبر ونحو ذلك قد يظهر على الوجه حتى يعلم
ذلك علما ضروريا من ابلغ العلوم الضرورية وكذلك العكس
واذا كان كذلك فمن نباه الله واصطفاه لرسالته كان قلبه من افضل
القلوب صدقا وبرا ومن افترى على الله الكذب كان قلبه من اشر
القلوب كذبا وفجورا كما قال ابن مسعود ان الله نظر في قلوب العباد
فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لرسالته ثم نظر في
قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب اصحابه خير قلوب العباد
فاتخذهم الله لصحبة نبيه فما راه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن
وما راه المؤمنون سيئا فهو عند الله سيئ واذا كان من اعظم
اهل زمانه صدقا وبرا فلا بد ان يظهر على لسانه وعلى صفحات
وجهه ما يناسب ذلك كما ان الكاذب الكافر لا بد ان يظهر عليه
ما يناسبه وهذا يكون تارة حين اخباره وتارة في غير تلك
الحال فان الرجل اذا جاء وقال ان الامير ارسلني اليكم بكذا

فقد يقترن باخباره من كيفيته وحاله ما يعلم انه صادق او كاذب وان كان
معروفا قبل ذلك بالصدق او الكذب كان ذلك دلالة اخرى وقد
يكون ممن يكذب ولكن يعرف انه صادق في ذلك الخبر دع من يستمر
على عادة واحدة بضعا وعشرين سنة مع اصناف التاجر واختلاف
احوالهم و المقصود ان العلم بصدق الصادق وكذب الكاذب
كغيرهما من المعلومات قد يكون ضروريا وقد نظريا وهو ليس من الضروريات
الكلية كالعلم بان الواحد نصف الاثنين بل من العلم بالامور العينية
كالعلم بجرأة البخيل وصفرة الوجل وعدل العادل وظلم الظالم بمعرفة
الخبير به علما ضروريا وان كان استدلاليا واذا كان القائل
اني رسول الله اما ان يكون من خيار الناس واصدقهم وابرهم وافضلهم
واما يكون من شر الناس واكذبهم وافجرهم فالفرق بين هذين يكون
من وجوه كثيرة له تكاد تنضبط وتحاط فما تحصل للعرفة عند سماع
خبره هذا ورؤية وجهه وسماع كلامه وما يلزم ذلك ويقترن به
من بهجة الصدق ونوره ومن ظلمة الكذب وسواده وقبحه فتبين
بذلك ان كثيرا من الناس اذا رأوا الكاذب وسمعوا كلامه تبين
لهم كذبه ثارة بعلم ضروري وثارة باستدلال وثارة
بظن قوي وكذلك النبي الصادق اذا رأوه وسمعوا كلامه تبين
لهم صدقه بعلم ضروري ونظري قبل ان يروا خارقا وقد يكون
او لا بظن قوي ثم يقوى حتى يصير يقينا كما في المعلوم بالاخبار المتواترة
والتجارب قال ابو العباس وهذه الطريقة سلكها طوائف
منهم القاضي عياض فقال اذا تامل المنصف احوال نبينا صلى
الله عليه وسلم من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة
عقله وحلمه وكماله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يعترض في صحة
نبوته وصدق دعوته قال وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه
واله يمان به قلت وروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما
باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة جئت لانظر اليه فلما استبنت

وجهه

وجهه عرفت انه ليس وجه كذاب رواه غير واحد عن عوف الاعرابي عن
زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام وعن ابي رمثة قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فارسيه قلت هذا نبي الله وفي صحيح
مسلم بن ضماد لما قدم مكة وكان يرقي من هذه الريح ولا الله فسمع ان محمدا
مجنون قال فاتيته فقلت اني ارقي من هذه الريح وان الله شفي على يدي
من شاء فهل لك فقال ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل
له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد
ان محمدا عبده ورسوله اما بعد فقال اعد علي كلماتك هؤلاء فاعادهن
ثلاث مرات فقال لقد سمعت بقول الكهنة والسحرة والشعراء فما سمعت مثل
كلماتك هؤلاء ولقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك على الاسلام
فبايعه فقال وعلى قومك قال وعلى قومي وعن جابر بن شداد قال
كان رجل منا اخبرانه راى النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينه فقال
هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من
تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينه فقلنا بعنا من رجل لا ندري
من هو ومعنا ضعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير رايت وجه رجل
مثل القمر ليلة البدر له يخيس بكم فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا
رسول الله اليكم يا مركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا
ففعلنا و في خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندي والله لقد دلني على
هذا النبي الامي انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شر
الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر وينجز الموعود
واشهد انه نبي وقال نقطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء
ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يصل يتل قرانا كما قال
ابن رواحة انتهى

ولو لم تكن فيه ايات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر

وقد كان ايمان خديجة وابي بكر وغيرهما من السابقين الى و تبين

قبل ان اشتقاق القرآن واخباره بالغيوب وتحديه بالقرآن لكن كان بعد
سماعهم القرآن الذي هو نفسه اية ونفس اخباره اني رسول الله
لما يعرف من احواله المستلزمة لصدقه الى غير ذلك من ايات الصدق
كما قالت خديجة رضي الله عنها لما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد خشيت على نفسي وذلك اول ما جاءه للملك ابشر فوالله لا
يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فاسندت بلفيه
من الاخلاق والصفات الفاضلة والشيم الكريمة على ان سجاياك
كذلك لا يخزى ابدا فعلمت بكمال عقلها وفطرتها ان الله عامل الصالحة
والاخلاق الفاضلة والشيم الشريفة تناسب اشكالها من كرامة
الله وثاءه واحسانه لا تناسب الخزي والخذلان وانما تناسبه
اضدادها فلذلك بادرت الى الايمان والتصديق وابو بكر كان
من اعقل الناس واخبرهم فلما تبين حاله علم علما ضروريا انه
نبي صادق وكان اتم اهل الارض يقينا علما وحالا وكذلك
هرقل لما سأل ابا سفيان عن تلك المسائل في امر النبي صلى الله
عليه وسلم فاجابه ابو سفيان استدل بذلك على نبوته وحديث
في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثني ابو
سفيان بن حرب قال انطلقت في المدة التي كانت بيني
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الشام فبينا انا بها اذ جيء
بكتاب من النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل جاء به دحية الكلبي
فدفعه الى عظيم بصرى فدفعه الى عظيم الروم هرقل فقال
فقال هرقل هل هنا احد من قوم هذا الرجل الذي يزعم
انه نبي فقالوا نعم فدعيت في نفر من قريش فدخلنا
عليه فاجلسنا بين يديه فقال ايكم اقرب نسبا من هذا
انا فاجلسني بين يديه واصحابي خلفي ثم دعا ترجمانه فقال قل
لهؤلاء اني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم انه نبي فان
كذب فكذبوه قال ابو سفيان وايم الله لولا ان يؤثروا علي الكذب

لكذبته ثم قال لترجمانه سله كيف حسبه فيكم قلت هو فينا ذو حسب
فقال فهل كان في ابائه ملك قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب
قبل ان يقول ما قال قلت لا قال فهل يتبعه اشراف الناس ام ضعفاؤهم
قلت بل ضعفاؤهم قال يزيدون ام ينقصون قلت بل يزيدون
قال هل يرتد احد منهم عن دينه بعد ان يدخل فيه قلت لا قال فهل
قاتلتموه قلت نعم قال كيف كان قتالكم اياه قلت الحرب بيننا وبينه
سجال يصيب منا ونصيب منه قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه في
مدة لا ندري ما هو صانع فيها قال ابو سفيان فوالله ما امكنني
من كلمة ادخل فيها غير هذه قال فهل قال هذا القول احد قبله
قلت لا فقال لترجمانه قل له اني سألتك عن حسبه فيكم فزعمت
انه فيكم ذو حسب وكذلك الرسل تبعث في حسب قومها وسألتك
هل كان في ابائه ملك فزعمت ان لا فقلت لو كان في ابائه
ملك قلت رجل يطلب ملك ابيه وسألتك عن اتباعه اضعفاؤهم
ام اشرافهم فقلت بل ضعفاؤهم وهم اتباع الرسل وسألتك هل كنتم
تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فزعمت ان لا فعرفت انه
لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك هل
يرتد احد منهم عن دينه بعد ان يدخل فيه سخطة له فزعمت
ان لا فكذلك الايمان اذا خالط بشاشته القلوب وسألتك
هل يزيدون ام ينقصون فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان
حتى يتم وسألتك هل قاتلتموه فزعمت انكم قاتلتموه فتكون
الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه وكذلك الرسل
تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك هل يغدر فزعمت انه لا يغدر
وكذلك الرسل لا تغدر وسألتك هل قال هذا القول احد
قبله فزعمت ان لا فقلت لو قال هذا القول احد قبله قلت
رجل ائتم بقول قيل قبله ثم قال بم يأمركم قلنا بالصلوة والزكوة
والصلة والعفاف فقال ان يك ما تقول حقا فانه نبي وقد

كنت اعلم انه خارج ولم اكن اظنه منكم ولو علم اني اخلص اليه
له حبيت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه
ما تحت قدمي ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقراه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على
من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام
اسلم تسلم اسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان
عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ
بعضنا بعضا ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الاصوات
عنده وكثرة اللغط فامرنا فاخرجنا فقلت لاصحابي لقد
امر امر ابن ابي كبشة انه يخافه ملك بني الاصفر فازلت
موقنا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيظهر حتى
ادخل الله علي الاسلام

المقام الرابع

قال النصراني
فصل في تمييز الاسباب التي بوساطتها انتشرت كلتا
الشريعتين قد قلنا في فتان الشريعة المسيحية انها
انتشرت بوساطة الآيات والمعجزات التي صدرت له عن
المسيح وحده بل وعن تلاميذه وبوساطة الصبر على
الشدائد وانواع العذاب في طاعة الله اما الذين نشروا
دين محمد فانهم لم يظهروا شيئا من المعجزات ولم يقاسوا شيئا من
البلايا الشديدة ولا من انواع القتل الشنيع من اجل عقائدهم
بل تبعت الشريعة حيث سهل السيف طريقها قد امها
فانها متعلقة بالكلية بالسيف والقتال

الجواب

والله
الموفق هذا كلامهم بيان اما على الجهل المفرط واما على العناد
والمكابرة في انكار ما استفاضت به الاخبار وتضمنته كتب

السير

السير وتلقاه الخلف عن السلف من شدة ما عاناه المؤمنون من اذى المشركين
اذ كانوا بمكة مع النبي صلى الله عليه وسلم وما قاسوه من الضيق والبلاء تارة
بالضرب الشديد وتارة بالقتل الشنيع وتارة بالحصار وقطع الميرة
عنهم وعدم اتصال احد بنافعة اليهم الى غير ذلك من اخراجهم من ديارهم
وازعاجهم من اوطانهم وهم في كل ذلك صابرون على دينهم متابعون نبيهم
صلى الله عليه وسلم لا يبالون بما اصابهم في ذات الله

قال الامام

محمد بن اسحق في السيرة انهم يعني المشركين عدوا على من اسلم وبايع واتبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه فوثب كل قبيلة على من فيها من
المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء
مكة اذا اشتد الحر فمن اصحاب مستضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتن
من شدة البلاء الذي يصيبه ومنهم من يصبر ويعصمه الله منهم فكان بلال مولى
ابي بكر لبعض بني جمح مولدا من مولديهم وكان صادق الاسلام طاهر القلب
فكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة
ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا والله لا تزال
هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك
البلاء احد احد حتى مر به ابو بكر الصديق يوما وهم يصنعون به ذلك
فاشتراه فاعتقه قال ابن اسحق ثم اعتق بعد على اثر اسلام قبل ان يهاجر الى
المدينة ستة رقاب منهم زنيرة فاصيب بصرها حين اعتقها فقالت
قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى فقيل وهو في
كذبوا ما تضر اللات والعزى وما يتفعان فرد الله اليها بصرها ومر بجارية لبني
عدي وكان عمر بن الخطاب يعذبها لتترك الاسلام وهو يومئذ مشرك
وهو يضربها حتى اذا مل قال اني اعتذر اليك اني لم اتركك الا ملالة
فابتاعها ابو بكر فاعتقها

وكان

بنو المؤمل يخرجون
بعار بن ياسر وبابيه وامه وكانوا بيت اسلام اذا حميت الظهيرة
يعذبونهم برمضاء مكة

قال

ابن اسحق فيمر بهم رسول الله
فيقول فيما بلغني صبرا آل ياسر موعدكم الجنة فاما امه فقتلوها تابي

الاسلام وكان ابو جهل الذي يزري بهم في رجال من قريش اذا سمع بالرجل
قد اسلم له شرف ومنعه اتبعه وخزاه فقال تركت دين ابيك وهو خير
منك لنسفهن حلمك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال والله لنكسدن
تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا ضربه واغرى به قال
وحدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس
اكان المشركون يبلغون من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب
ما يعذرون به في ترك دينهم قال نعم والله ان كانوا ليضربون احدهم
ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على ان يستوي جالسا من شدة
الضر الذي كان به حتى يعطيهم ما سالوه من الفتنة فلما رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يصيب اصحابه من البلاء وانه لا يقدر ان يمنعهم
مما هم فيه من ذلك قال لهم لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم
عنده احد حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما انتم فيه فخرج اليها كثير
منهم لم يطق المقام بمكة وصبروا على البلاء ومفارقة الاوطان والعشائر
والاقامة في دار البغضاء البعداء حتى اخرجهم الله لهم ما وعدهم ثم حضرت
قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين في شعب
ابي طالب ومنهم ابو طالب ومن تابعه على النصرة من مشركي بني هاشم
وبني المطلب وتعاقدت قريش على ان لا يجالسوهم ولا يبايعوهم
ولا يتركوا احدا يصل اليهم بنافعة حتى يسلموا اليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاشتد الامر عليهم ودام ذلك ثلاث سنين حتى نقض
الله ما عقدوه واعز رسوله وحزبه فهذا بعض حال المهاجرين من
اهل مكة **واما الانصار** فان الذي دعاهم الى الدخول في الاسلام
واتباع محمد صلى الله عليه وسلم بعد عناية الله بهم وسابقة الحسنى
ان اليهود كانوا جيرانهم بالمدينة وكانت تقع بينهم الحروب في
الجاهلية فكانت اليهود تستفتح عليهم وتقول هذا زمان نبي يبعث
فنتبعه فنقتلكم معه قتل عاد فقدم طائفة منهم مكة في بعض المواسم
وسمعوا ما يدعو اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محاسن الشريعة

وما

وما يتلوه من القرآن الذي دلتهم عقولهم انه ليس من قول البشر وعلموا ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الذي كانت توعدهم به اليهود فامنوا
به وصدقوه وبايعوه على الايمان والنصرة ولما اراد وبيعة ليلة
العقبة وكانوا سبعين رجلا قال لهم اسعد بن زرارة وهو احد
سادا تهم وقد اخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم رويدا يا اهل يثرب
انا لم نضرب اليه اكباد الابل الا ونحن نعلم انه رسول الله وان
اخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وان تعضكم السيوف
فاما انتم تصبرون على ذلك فخذوه وجزاؤكم على الله واما انتم
تخافون من انفسكم خيفة فذروه فهو اعذر لكم عند الله فقالوا ايا سعد
انقل عنا يدك فوالله لا ندع هذه البيعة ولا نستقيلها فبايعوه
واعطاهم بذلك الجنة **ومن العلوم** ان ما تحملوه من ذلك
هو اعظم ما يشق على النفوس فامن نابذ والعرب قاطبة بل
الخلق كلهم وقاطعوا من لم يدخل معهم في ذلك من اهليهم وعشائرهم
وقطعوا الحبال بينهم وبين الناس وهكذا المهاجرون من غير اهل
مكة قد اسلم منهم كثير وهجروا اوطانهم وعشائرهم وهاجروا اليه في
المدينة وصبروا على ما كابدوه من الجوع والعرى والشدة
ومفارقة المالوفات قبل ان يقوم الجهاد وانما دخلوا بالدعوة
والقرآن والله لم يكن له صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال
فيطمع فيه ولا قوة يقهر بها الرجال ولا اعوان على الامر الذي اظهره
والدين الذي دعا اليه وكانوا حين دعاهم مجتمعين على عبادة الاصنام
وتعظيم الازلام مقيمين على ما هم عليه من عبية الجاهلية في العصبية و
التعادي والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات الى تحجم الفة دين
لم يمنعهم عن سوء افعالهم تظري عاقبة ولا خوف عقوبة ولا لائمة
فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الاراء
وتناصرت القلوب وتراءفت له بنو النضير فصاروا اليدا واحدة
في نصرته وعنقا واحدا الى طاعته وهجروا اوطانهم وبلادهم
وجفوا قومهم وعشائرهم في محبته وبذلوا مهجهم وارواحهم في نصرته

ونصبوا وجوههم لوقع السيوف في اعزاز كلمته بل دنيا بسطها عليهم ولا
اموال افاضها اليهم ولا عوض في العاجل اطمعهم في نيله بحو ونه
اوملك او شرف في الدنيا يحوزونه بل كان من شانه صلى الله عليه
اذ يجعل الغني فقيرا والشريف اسوة الوضيع فهل تلتئم مثل هذه
الامور او يتفق مجموعها لاحد وهذا سبيله من قبيل الاختيار العقلي
والتدبير الفكري لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الامور لا يرتاب
عاقل في شيء من ذلك وانما هو امر الهي وشيء غالب سماوي ناقض
للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين وبهذا يتبين ان قيام دينه صلى
الله عليه وسلم انما كان بالحجة ولكنه شرع الجهاد لتبليغ الادلة وايصال
الحجة وانقياد البيان الى المخاطبين ومن اجل ذلك كان اكثر الداخلين
بالسيف لما سمعوا القران وعرفوا الاسلام انفتحت بصائرهم وصلحت
عقائدهم واستبصروا فيما كانوا عنه من قبل ذلك عمين

وهذا المعنى لما وقعت الهدنة التي عقدها النبي صلى الله عليه وسلم بينه
وبين المشركين يوم الحديبية وامن الناس بعضهم بعضا واختلط المسلمون
بالكفار وبادوهم بالدعوة واسمعوهم القران وخلى كل باهله واصدقائه
واخبروهم باحوال النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته واعلام نبوته و
حسن سيرته وجميل طريقته وعاينوا بانفسهم كثيرا من ذلك ودخل
في الاسلام في مدة هذه الهدنة كثير من الناس ولهذا سماه
الله فتحا مبينا والمقصود التنبيه على ما نال المؤمنين من الشدائد وما كانوا
عليه من الصبر في طاعة الله ورسوله ونصرة دينه وان ذلك انما كان
باليقين النبي اقتضاه ما شاهدوه من ايات النبوة واعلام الرسالة
وان دين الاسلام انتشر وانتشر في القبائل بالدعوة والبيان
قبل ان يفرض الجهاد وسياتي تتمة لهذا المعنى ان شاء الله تعالى

فصل واما قول النصراني انه فيما لم يظهر واشيئا من المعجزات
فجوابه ان في معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم غنية عن غيرها فانه
قد حصل بها قيام الحجة والدلالة على انه رسول الله فلا حاجة بعد
ذلك الى ظهور الخوارق على يد اصحابه واتباعه ومع ذلك فقد ظهر على

ايديهم

ايديهم من الخوارق والايات الدالة على ان متبوعهم رسول ما لا يحصى واعلم
ان كثيرا من اهل الكلام لا يسمي معجزا الا ما كان للانبياء فقط واما ما يجري على
يد الولي فيسمونه كرامة وينقل عن السلف انهم كانوا يسمون هذا معجزا وذكر
ذلك عن الامام احمد ثم ما يجري على يد غير النبي من الخوارق وان
ظهر على يد صالح متبع للسنة قائم على قدم العبودية المرضية فهو المسمى
كرامة وان كانت حال من ظهرت له الخوارق بضد ذلك فهو استدراج و
خيال شيطاني ليس من حال اولياء الله وكراماتهم **قال** بعض الائمة
اتفق اولياء الله على ان الرجل لو طار في الهوى ومشى على الماء لم
يضربه حتى تنظر متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته فقد نه عن
ونهيه فاولياء الله المتقون هم المهتدون المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم فيفعلون
ما امر وينتهون عما زجر ويقتدون به فيما بينهم ان يتبعوه فيه فيؤيدهم الله تعالى
بحاله تكثر وروح منه ويقذف في قلوبهم من انواره وهم الكرامات التي
يكرم الله بها اولياءه المتقين وخياره اولياء الله تكون كراماتهم لحجر في
الدين او لحاجة بالمسلمين مثل ما كانت معجزات نبيهم كذلك فكرامات اولياء الله
انما حصلت ببركة اتباعهم رسوله فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول
صلى الله عليه وسلم اذا عرفت هذا فاعلم ان الكرامات والخوارق و
المعجزات المنقولة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من صلحاء الامة
على انها كثيرة جدا مثل ما كان لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين انكسرت سفينة في البحر هو فيها فركب لوحا منها فطرحه في الساحل
بارض فيها اسد قال فخرج الي الاسد يريدني فقلت يا ابا الحارث
انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم ودلني على الطريق ثم همهم فظننت
انه ودعني ورجع وكان اسيد بن حضير وعباد بن بشر تحدثا عند النبي
صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب بعض الليل ثم خرجا من
عنده وكانت ليلة شديدة الظلمة وفي يد كل واحد منهما عصاه فاضاءت
عصى احدهما لهما حتى مشيا في ضوءها فلما افترق بينهما الطريق اضاءت
للاخر عصاه حتى بلغ منزله والقصة في الصحيح للبخاري وغيره ومن
ذلك قصة ابي بكر الصديق وهي في الصحيحين كما ذهب بثلاثة اضياف
معه الى بيته وجعل لا يأكل لقمة الا ربا اسفلها اكثر منها فشبعوا وصارت

اكثر مما كانت قبل ذلك فنظر اليها الكثر بوبكر وامراته فاذا هي اكثر مما
كانت فرفعها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء اليه اقوام كثيرون
فاكلوا منها وكان حبيب بن عدي اسيرا عند المشركين بمكة
فكانوا يرون عنده العنب وما على وجه الارض يومئذ عنب وعامر
بن فهيرة من شهداء بئر معونة التمسوا جسده فلم يقدروا عليه
وكان لما قتل رفع فراه عامر بن الطفيل وقد رفع قال عروة
فيرون ان الملائكة رفعته وخرجت ام ايمن مهاجرة وليس معها
زاد ولا ماء فكادت تموت من العطش فلما كان وقت الفطر وكانت
صائمة سمعت حسا على راسها فرفعت فاذا دلو برشاء ابيض معلق
فشربت منه حتى رويت فما عطشت بقية عمرها والبراء بن مالك كان
اذا اقسم على الله ابر قسمه فكانت الحرب اذا اشتدت على المسلمين
في الجهاد يقولون يا براء اقسم على ربك فيقول يا رب اقسمت عليك
لما منحتنا اكتافهم وجعلتني اول شهيد فمنحوا اكتافهم وقتل البرا
شهيدا وخالد بن الوليد حاضر حصنا فقالوا له نسلم حتى تشرب
السم فشربه فلم يضره وسعيد بن ابي وقاص كان مستجاب الدعوة
ما دعى قط الا استجيب له وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق
وعمر بن الخطاب ظهرت له الكرامات الكثيرة منها انه ارسل جيشا وامر
عليهم رجلا يدعى ساريه فبينما عمر يخطب اذ جعل يصيح وهو على
المنبر يا ساريه الجبل يا ساريه الجبل فقدم رسول ذلك الجيش فسئل
فاسند ناظهورنا لقينا عدونا فهزمونا فاذا بصائح يا ساريه
الجبل يا ساريه الجبل فاسندنا ظهورنا بالجبل فهزمهم الله ودعا
سعيد بن زيد على اروى حين كذبت عليه فقال اللهم ان كانت
كاذبة فاعم بصرها واقتلها في ارضها فعميت ووقعت في حفرة
من ارضها فماتت والعلاء بن الحضرمي كان عامل النبي صلى الله عليه وسلم
على البحرين وكان يقول في دعائه يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم

فيستجاب له

فيستجاب له ودعا الله بان يسقوا فيتوضؤا الماء عدا الماء ولا يبقى لما بعدهم
فاجيب ودعا الله لما اعترضهم البحر ولم يقدروا على المرور فمروا كلهم هو
والعسكر بخيولهم على الماء ولم يبتل سروج خيولهم ودعا الله ان لا يرواه
اذا مات فلم يوجد جسده في اللحد وجرى مثل ذلك لابي مسلم
الخولاني الذي القي في النار فانه مشى هو ومن معه من العسكر على رجله
وهي في قوة مدها ثم التفت الى اصحابه فقال هل تفقدون من متاعكم
شيئا حتى ادعو الله فيه فقال بعضهم فقدت مخلاة فقال اتبعني فاتبعته
فوجدها قد تعلقت بشيء فاخذها وطلبه الاسود العنسي لما ادعى النبوة
فقال له اتشهد اني رسول الله فقال ما اسمع قال اتشهد ان محمدا رسول
الله قال نعم فامر بنار فالقي فيها فوجدوه قائما يصلي فيها وقد صارت
عليه بردا وسلاما وقدم المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم
فاجلسه عمر بينه وبين ابي بكر وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى اراني
من امة محمد من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله ووضعت له جارية
السم في طعامه فاكله فلم يضره وخبث عليه امراة زوجته فدعا عليها
فعميت فجاءت اليه وتابت فدعا الله فرد عليها بصرها وكان عامر بن
عبد قيس ياخذ عطاءه في كفه التي درهم وما يلقاه سائل الا اعطاه
بغير عدد ثم يجيء الى بيته فلا يتخير عددها ولا وزنها ومر بقافلة
وقد حبسهم الاسد فجاء حتى مس بثيابه فم الاسد ووضع رجله على
عنقه وقال انما انت كلب من كلاب الرحمن وان استحي من الله
ان اخاف شيئا غيره ومرة القافلة ودعا الله ان يهون عليه الطهور
في الشتا فكان يوتى بالماء له بخار ودعا ربه ان يمنع قلبه من الشيطان
فلم يقدر عليه وتغيب الحسن البصري عن الحجاج فدخلوا عليه ست
مرات فدعا الله ان لا يروه فلم يروه ودعا على بعض الخوارج
وكان يؤذيهم فخر ميتا وصلت بره اشيم مات فرسه وهو في الغزو فقال
اللهم لا تجعل لمخلوق علي منة ودعا الله فاحياه له فلما وصل الى بيته قال

لابنه يا بني خذ سرج الفرس فانه عارية فاخذ سرجه فمات وجاع مرة
بلا هوازن فحمد الله واستطعمه فوقعت خلفه دوحلة رطب في ثوب حرير فاكل
وبقي الثوب عند زوجته زمانا وجاءه الاسد وهو يصلي في غيظة بالليل
فلما سلم قال له اطلب الرزق من غير هذا الموضع فولى الاسد وله زئير
ورجل من النخع كان له حمار فمات في الطريق فقال اصحابه هلم نتوزع
متاعك فقال امهلوا هنيئة ثم توضاء فاحسن الوضوء وصلى ركعتين ودعا الله
له فاحيا له حماره فحمل عليه متاعه ولما مات اويس القرني وجد وافي
ثيابه اكفانا لم تكن معه قبل ووجد له قبر محفور فيه لحد من صخرة فدفنوه
فيه وكفنوه في تلك الاثواب وكان عمر وبن عتبة بن مرثد يصلي يوما في
شدة الحر فاظلته غمامة وكان السبع يحميه وهو يرعى ركاب اصحابه لانه كان
يشترط على اصحابه في الغزوات يخدمهم وكان طرف بن عبد الله بن الشخير اذا
دخل بيته سبحت معه انيته وكان هو واصحاب له يسيرات بالليل فاضاء لهما
طرف السوط ولما مات الاحنف بن قيس وقعت قلنسوة رجل في قبره
فاهوى ليأخذها فوجد القبر قد فسح له مد البصر وكان ابراهيم التيمي يقيم
الشهر والشهرين لا ياكل شيئا وخرج يمتار لاهله طعاما فلم يقدر عليه فمر
بسهلة حمرا فاخذ منها ثم رجع الى اهله ففتحوها فاذا هي حنطة حمرا فكان اذا زرع
منها تخرج السنبلة من اصلها الى فرعها حبا متراكبا وكان عتبة الغلام سال ربه
ثلاث خصال صوتا حسنا ودمعا غزيرا وطعاما من غير تكلف فكان اذا قرا
بكى وابكى ودموعه جارية دهره وكان ياوي الى منزله فبصيت فيه قوته ولا يدري
من اين يا تيه وكان عبد الواحد بن زيد اصابه الفالج فسال ربه ان
يطلق له اعضاءه وقت الوضوء فكانت وقت الوضوء تطلق له اعضاؤه
ثم تعود بعده وهذا باب واسع جدا لا يمكن ان يوفى منه في هذا الموضع
باكثر مما ذكرناه وكلها قضايا عامتها مشهورة في كتب الحديث والله اعلم
وقد سقناها كما ساقها شيخ الاسلام ابو العباس ثم قال ومما ينبغي ان
يعرف ان الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل اذا احتاج اليها
الضعيف الايمان والمحتاج اتاه منها ما يقوي ايمانه ويسد حاجته و
يكون من هو اكمل ولاية لله منه مستغنيا عن ذلك فلا يا تيه مثل ذلك

لعلو

لعلو درجته وغفاه عنها لا لنقص ولا بنه وهذا كانت هذه الامور في
التابعين اكثر منها في الصحابة بخلاف من تجري على يديه الخوارق
او لحاجتهم فهؤلاء اعظم درجة وهذا بخلاف الاحوال الشيطانية
كاحوال الكهان الذين يكون لاحدهم القرين من الشياطين يخبره
بكثير من الغيبات مما يسترقه من السمع وكانوا يخلطون الصدق
بالكذب كما دل على ذلك الحديث الصحيح الذي رواه البخاري
وغيره وكان للاسود العنسي الذي ادعى النبوة من الشياطين
من يخبره ببعض الامور الغائبة فلما قاتله المسلمون كانوا يخافون
ان تخبره الشياطين بما يقولون فيه حتى اعانتهم عليه امراته لما بينت
لها كفره فقتلوه وكذلك مسيلمة الكذاب كان معه من الشياطين
من يخبره بالمغيبات ويعينه على بعض الامور وامثال هؤلاء كثيرة
مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك ابن
مروان وادعى النبوة وكانت الشياطين تخرج رجله من القيد
وتمنع السلاح ان ينفذ فيه وكان يرى الناس بجبل قاسيون رجالا
وركبانا على خيل في الهوى ويقول هي الملائكة وانما كانوا جنا
ولما امسكه المستاك ليقتلوه طعنه الطاعن بالرمح فلم ينفذ فيه
فقال له عبد الملك انك لم تسم الله فسمى الله وطعنه فقتله و
هكذا اهل الاحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم اذا ذكر
عندهم ما يطردها مثل اية الكرسي والفصل عند ذكر هذه
الخوارق التنبيه على الفرق بين كرامات الاولياء وبين ما
يشبهها من الاحوال الشيطانية فان بينهما فروقا متعددة
منها ان كرامات اولياء الله سببها الايمان والتقوى والا
حوال الشيطانية يكون سببها ما نهى الله ورسوله ويستعان بها على ما
نهى الله عنه ورسوله وتجد كثيرا ممن ضعفت بصيرته وقل
علمه بالكتاب والسنة واحوال السلف الصالح يكون عمدته في

منها

اعتقاده في شخص كونه وليا لله انه قد صدر عنه مكاشفة في بعض
الامور او بعض الخوارق للعادة قبل ان يشير الى شخص فيموت
او يطير في الهوى الى مكة او غيرها وان يمشي على الماء احيانا
او علا ابرتقا من الهوى ويتفق بعض ذلك وقات من الغيب
او ان احدا استغاث به وهو غائب او ميت فراه قد جاء قضى
حاجته او يخبر الناس بما يسرق لهم او بحال غائب لهم او مريض
او نحو ذلك من الامور وليس في شيء من هذه الامور ما يدل
على ان صاحبها ولي لله بل قد اتفق اولياء الله على ان الرجل
لو طار في الهوى ومشى على الماء لم يغتر به حتى تنظر متابعته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وموافقته لامره ونهيه
واولياء الله اعظم من هذه الامور وهذه الامور وان كان
قد يكون صاحبها وليا لله فقد يكون عدوا لله فان هذه الخوارق
تكون لكثير من الكفار والمشركين واهل الكتاب والمنافقين وتكون
له هل البدع فتكون من الشياطين فلا يجوز ان يظن ان كل من
كان فيه شيء من هذه الامور يكون وليا لله بل يعتبر اولياء
الله بصفاتهم وافعالهم واحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون
بنور الايمان والقرآن بحقائق الايمان الباطنة وشرائع الاسلام
الظاهرة **ومثال** ذلك ان هذه الامور المذكورة وامثالها
قد توجد في اشخاص ويكون احدهم لا يتوضى ولا يصلي الصلوات
المكتوبة - بل يكون ملابسا للنجاسات معاشرا للكلاب ياوي
الى الحمامات والمزابل التي هي ماوى الشياطين ولا يتطهر الطهارة
الشرعية ولا يتنظف وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تدخل
الملائكة بيتا فيه كلب ولا جنب وقال عن الاخليه انها هذه
الحشوش محتضرة اي يحضرها الشياطين ولا يتطهر الطاهرة
من هاتين النجاستين فلا يقرب مسجدنا فان الملائكة تاذى

مما يتاذى منه بنو ادم وقال ان الله طيب لا يقبل الا طيبا و
قال ان الله نظيف يحب النظافة وقال الله تعالى ورحمتي وسعت
كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة الى قوله
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث الاية فاذا كان الشخص
مباشرا للنجاسات والخبائث التي تحبها الشياطين او ياكل الحيات
والعقارب والزنابير واذانب الكلاب التي هي خبائث وفواسق
او يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشياطين او
يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه اليها او يسجد
الى ناحية قبر الشيخ وله يخلص الدين والمواضع لرب العالمين
او يله بس الكلاب او ياوي الى المزابل والمواضع النجسة او يمشي
الى مقابر الكفار من اليهود والنصارى والمشركين او يكره
سماع الهدى والغناء والاشعار فهذه علامات اولياء الشياطين لا
علامات اولياء الرحمن قال ابن مسعود لا يسئل احد عن
نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله وان كان
يبغض القرآن فهو يبغض الله وقال عثمان بن عفان لو طهرت
قلوبنا لما شبعت من كلام الله فاذا كان الرجل خبيرا بحقائق
الايمان الباطنة فارقا بين الاحوال الشيطانية والاحوال
الرحمانية قذف الله في قلبه نورا كما قال تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل
لكم نورا تمشون به فرق بين حال اولياء الرحمن وحال اولياء
الشيطان كما يفرق الصيرفي بين الدراهم الجيد والدراهم الزائف
وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الردي
وكما انه يجب الفرق بين الصادق والمتنبي الكذاب ففرق
بين محمد الصادق رسول رب العالمين وموسى والمسيح
وغيرهم وبين مسيلمة الكذاب والاسود العنسي وطليحة

قتل نصر اتباعه واهلاك اعدائه واعلاء ذكره ونشر لسان الصدق
له واظهار دينه على كل دين باليد واللسان والدليل والبرهان وهذا
مما يطول وصف تفصيله وهكذا ايات غيره من الانبياء
متنوعة قبل المبعث وحين المبعث وبعد موقع لكن ايات نبينا
صلى الله عليه وسلم اكثر وبراهين نبوته اظهر ثم اوعز غير الفتوحات
من اياته ابلغ في الدلالة وابهر في المعجزة واكثر في البرهان
من التمكين في الارض وورثتها من ايدي الامم الذين عصوه
وخالفوا امره مع ان هذا ايضا دليل ظاهر وبرهان قاطع ولله
استدلال به طرق الطريق الاول ما تقدمت الاشارة اليه من
اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك ثم وقوعه على وفق ما اخبر
قال الله تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله وكفى بالله شهيدا وقال تعالى وعد الله الذين امنوا
منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم
امنا الآية وورد الاحاديث بهذا الوعد كما قد منا ذكر بعضها
وقد وقع ذلك كله كما اخبر فان الله تعالى اظهر دينه على سائر
الاديان بحيث انه لم يبق اهل دين يخالف دين الاسلام
الا وقد قهرهم المسلمون وظهر واعليهم وان لم يكن ذلك في كل
الموضع وفي جميع الازمان فقد قهروا عليهم اليهود واخرجوهم
من بلاد العرب وغلبوا النصارى على بلاد مصر والشام وما
والاها الى ناحية الروم الى ما وراها وغلبوا اهل المغرب
وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا كثيرا من عباد الاصنام على
عامة كثير من بلادهم مما يلي الترك والهند وذلك سائر الاديان
فثبت ان النبي اخبر الله به في قوله تعالى ليظهره على الدين كله
قد وقع وقيل في معنى الظهور المذكور في الآية انه الظهور

فصل

ان سدي والحارث الدمشقي ونحوهم من الكذابين فلذلك يجب الفرق
بين اولياء الله المتقين واولياء الشيطان الضالين وبسط ذلك لا
يتسع له هذا الموضع ولشيخ الاسلام ابي العباس ابن تيميه في ذلك
مصنف سماه الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان بالعجب
العجاب فجزاه الله خير الجزاء واثابه خير الثواب فصل قال
النصراني وانما تستدل علماؤهم على صحتها يعني الشريعة بكثرة الغلبات
والفتوحات وعظم الملك وهذا مما ليس بشيء اقل يقينا منه فان
مع عبادات الوثنيين في غاية الشناعة ترى كم من البلاد فتحت على
ايدي الفرس واليونانيين والروم حتى اتسعت مما لكهم في الارض
ومن الله التائيد ان استدلالنا على صحة الشريعة ليس محصورا
في هذا الدليل كما اقتضاه كلامه فان طرق الادلة على صحتها لا تنحصر قال
الله تعالى جعل لهم صلى الله عليه وسلم الآيات البينات قبل مبعثه
وفي حياته وموته الى هذه الساعة والى قيام الساعة فان ذكره وذكر
البشارة به موجود في الكتب المتقدمة كما قدمنا بعض ذلك ولما
ولد افترى بموته من الايات ما هو معروف في كتب الاخبار والسير
كارتجاس ايوان كسرى وسقوط شرافات منه وانصداعه وما افترن
به من رؤيا الموبذان التي اولها سطيح الكاهن وخمود نار فارس التي
يعبدونها ولم تخمد قبل ذلك بالف سنة وغيض بحيرة ساوه
وحفظ السماء بالشهب رجوما للشياطين المسترقة للسمع وجرى
ذلك العام قصة اصحاب الفيل وكل ذلك ارهاص بين يدي
مبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى ما كان يحصل في مدة نشأته
من الآيات والدلائل مثل ما حصل لمرضعته لما كان عندها ومثل
ما شوهد منه في صغره من شق صدره وتضليل الغمامة له
ومعرفة جماعة له بعلامات كما في قصة بحيرا الراهب واما
في ايام نبوته فظاهر كما تقدم ذكر بعضه واما بعد موته

قتل

بالحجة والكل حق فان اظهر دين الاسلام بالاعتبارين على كل
الوجوه فجعل لاهله الظهور بالحجة والبيان والسيف والسنان
وقد وقع ما وعدهم من الاستخلاف في الارض وتمكين
الدين وتبديل الخوف بالامن وبلوغ ملك هذه الامة
مشارق الارض ومغاربها وقد اخبر بذلك وهو خبر عن الغيب
واصحابه في غاية القلة فوقع كما اخبر فكان معجزا
الثاني ان الفتوحات الاسلامية وقعت خارقة للعادة
بحيث لم يقع قبلها ولا بعدها نظيرها وهذا يدل على عناية
الرب تعالى بذلك وعلى تاييده لمن جاء بهذه الشريعة بامر
سماوي لا من قبيل قوة البشر وتغلبات الملوك وذلك
يعرف بوجوه منها قلة من قام به في اول الامر وضعفهم وقوة
عدوهم وكونهم في غاية الكثرة ونهاية الخوف عليهم والبغض لهم
والجد في عداوتهم بكل ممكن فايدهم الله عليهم واظهرهم فدل على
ان هذا النصر من السماء ومنها ان اعداءه مع كون حالهم ما وصفناه كانوا
على اديان وجدوا عليها اباءهم ونشؤا عليها والفتها طباعهم وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى تركها والى يتبعوا ما جاء به من الشريعة
والمنهاج وكما اقول من دعي الى ذلك العرب الذين هم اقوى الناس نفوسا واشدها
قلوبا واشدهم توحشا وامنعهم جنابا اوجبهم لان يغلبوا او لا يغلبوا
واعلمهم انقياد الملوك واجفاهم اخلاقا واقلهم احتمالا للضيم وفي
الذلة فكانوا ليجيبوا الى ما طلبه منهم الا لما راوه من الايات والشاهد
من المعجزات الدالة على انه رسول الله او بامر خارق للعادة ليس من
صنع البشر فكان معجزا فدل على انه من عند الله ومنها ان تلك الفتوحات
وقعت في مدة قريبة ففتحت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
جزيرة العرب كلها الى ما يليها من ارض الشام في مدة عشر سنين
فدخلوا في طاعته والتزموا دينه وتركوا اديانهم سوى من

قبل

قبل منه الجزية والصغار وهذا مالم يعهد له نظيره وكذلك الفتوحات
الواقعة في ايام خلفاءه الراشدين في المشارق والمغارب كان
ذلك في اقرب مدة وكانت اعداؤهم في غاية الكثرة والشجاعة
والقوة والعدة ولم يكن للمسلمين اذ ذاك من العدد والعدة والقوة
ما يكون له نسبة يجنب ما عند اعدائهم من ذلك فكيف بما فاقهم فاذا تبين
عاقل ان ما اعطوه من الظهور والغلبة ليس الا بالنصر الالهي
والتاييد السماوي الخارق للعوائد الدال على صدق ما جاء بهذه الشريعة
وانها مرضية لله

الطريق الثالث ما اشرنا اليه فيما تقدم وهو ما حاصله
ان محمدا صلى الله عليه وسلم قام بهذه الشريعة ناسخا لشرائع الانبياء قبله
مستحلا دماء من خالفه من اهل الكتاب وغيرهم واموالهم ونسائهم قائلا
ان الله امرني بذلك ومع ذلك ايده الله تعالى بانواع التاييد وصدقه
بكل التصديق ومكنه في الارض واظهر دينه على كل الاديان وجعل
لامته من التمكن في الارض ما لم يكن لغيرهم فدل ذلك على انه رسول
الله وانه انما فعل ذلك عن امر الله له بذلك ولا كان ذلك طوعا
في الرب تعالى حيث زعم اعداؤه انه سلط جبارا كاذبا عليه على
اوليائه واتباع رسله ويمكن له غاية التمكين ويؤيده اعظم التاييد
من امر من بربوبيته الله لهذا الخلق وبما ذكرناه مرتب في
صدق محمد صلى الله عليه وسلم وانه رسول الله وانما اعطاه
من النصر والتاييد من ايات نبوته كما كان من ايات الانبياء
اهلاك الله ملكهم ونصرة المؤمنين بهم كاغراق قوم نوح
وعاد وثمود وغيرهم وقد ذكر الله قصصهم في القرآن
في غير موضع وبين انها من ايات الانبياء كما في سورة
الشعراء يختم كل قصة من تلك القصص بقوله ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مؤمنين ومن ذلك ما جعله في

يظهر به الفرق ويبين ان ظهور محمد صلى الله عليه وسلم واقعة على اهل الكتاب من جنس
ظهورهم على عبدة الاوثان فانه من اهل الكتاب من يقول سلطتم علينا بذنوبنا
مع صحة ديننا كبخت نصر وهذا قياس فاسد فانه ذلك من جنس خرق العادات
المقترن بدعوى النبوة وهذا من جنس خرق العادات التي لم تقترن بدعوى
النبوة ومالم يقترن بدعوى النبوة لايكون دليلا عليها وقد يخرق
في البحار امم كثيرة فلا يدل على نبوة بني بخلاف غرق فرعون وقومه
وهذا موافق لما اخبر به موسى عليه السلام ان الكذاب لا يتم امره وذلك
ان الله حكيم لا يليق به تاييد الكاذب على كذبه من غير ان يبين كذبه
ولهذا ان اعظم الفتن الدجال لما اقترن بدعواه خوارق كان
معها ما يدل على كذبه كدعوى الالهية وهو اعور مكتوب بين عينيه
كافر يقرأه كل مؤمن والله لا يراه احد حتى يموت وقد ذكر النبي
صلى الله عليه وسلم هذه العلامات الثلاث في الاحاديث الصحيحة فاما
تاييد الكاذب دائما فهذا لم يقع قط فمن يستدل على ما يفعله الرب
تعالى بالعادة والسنة فهذا هو الواقع ومن يستدل بالحكمة فحكمته تناقض
ان يفعل ذلك **فصل** قال النصراني ثم انه لم يكن للمسلمين النصر
والغلبة دائما فانه من المشهور انهم انهزموا عدة مرات في البر والبحر وانهم
طردوا عن جميع بلاد الاندلس وغيرها من بلاد ولا يمكن الامر الذي هو كثير الا
نقلوه من حال الى حال والذي يشترك فيه اهل الصلاح والطلاح انه يكون
دليلا على صحة الدين **الجواب** والله الهادي الى سواء السبيل انهزام
المسلمين في بعض المواطن غير قادح في صحة الدليل لوجوه الاول ان ذلك
لم يمنع حصول الظهور على الاعداء وتمام الوعد الذي وعد به النبي صلى
الله وسلم بل مع وقوع ذلك في بعض المواطن كان الظهور للمسلمين على جميع
اهل الملل وهكذا كان الامر كذلك بطل الاعتراض **الوجه الثاني**
ان سنة الله تعالى في رسله واتباعهم انه يدال لهم مرة ويدال عليهم اخرى
ثم تكون العاقبة لهم وبهذا اجاب هرقل ابا سفيان في حديثه الذي قدناه

الثامنة لكذبهم كما قال في قصة نوح وتركنا عليه في الاخرين سلام على
نوح في العالمين وكذلك في قصة ابراهيم اي تركنا هذا القول بقوله
المتاخرون وكذلك في قصة موسى وهرون والياس وقال
في قصة فرعون وقومه واتبعوا في هذه لعنة وقال في عاد وا
اتبعناهم في هذه الدنيا لعنة وهذا قال لقد كان في قصصهم عبرة
لاولي الالباب وقال فاعتبروا يا اولي الابصار للمتقين وكل واحد
من هذه الطرق التي ذكرناها كاف في الدلالة على صحة الشريعة
وصدق من جاء بها فكيف وهي كلها متفقة متظاهرة على ذلك مضافة
الى ما لا يحصى من الادلة والبراهين التي هي اظهر من شمس الظهيرة
لاولي الالباب والبصيرة **واما** اعتراض النصراني بتمكين
من مكن في بعض البلاد من الوثنيين ونحوهم من ملوك الكفار
فهو اعتراض فاسد فان اولئك لا يشبهون المسلمين فيما ذكرناه
من قوة التمكين في مثل هذه المدة اليسيرة ولم يحصل لهم ما حصل
لهم ولا ما قاربه ولم يدع احد منهم ان ذلك عن امر الله له بذلك
ولم يشرع شريعة يحمل الناس عليها مدعيا انها من عند الله فان منافق
الله في المتنبين الكذابين على الله ان يهتك استارهم ويظهر فضائح
عارهم ويهزم انصارهم ويدمر ديارهم كما جرى لمسيلمة
والاسود وطليحة واضرابهم من الكذابين فان الله اظهر خلقه من الدلالة على صدق
رسوله بما جرى لهم وما عرف من احوالهم وسيرهم الباطلة وتدمير الله اياهم ما هو
من المحكم الباهر والبرهان القاطع العظيم فان الضد يظهر حسنه الضد وكذلك من
سير احوال الكفار راى العبرة في هذا الباب فانتصروا على اتباع الرسل
احيانا فان اولئك لا يقول مطاعهم انه نبي ولا يقاتلون اتباعه بناء على دين
ولا يطلبون منهم ان يتبعوه على دينهم بل يصرحون انما نصرناكم عليه بذنوبكم ولكم
لو اتبعتم دينكم لم ننصر عليكم وايضا فان عاقبتهم بل الله يهلك الظالم ثم يهلك
الظالمين جميعا وليس قتيلهم يطلب بقتله سعادة بعد الموت فهذا وامثاله مما

يظهر به

حيث قال له هرقل كيف الحرب بينكم وبينه قال سجالا يدال علينا المرة وندال عليه
اخرى فقال هرقل كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة فصار هذا من اعلام
الرسل فهو دليل لنا لا علينا ولله الحمد والمنة فان قيل ففي الانبياء من قتل
كما اخبر الله انه بني اسرائيل يقتلون النبيين بغير حق وفي اهل الغور من
يوتى سلطانا ويسلط على قوم متى شاء فكيف يضرا حبيب بان من قتل من الانبياء
فهو كمن يقتل من المؤمنين في الجهاد كما قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه
ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله
يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا
وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الاخرة والله يحب المحسنين وقوله ويعلم ان حال هؤلاء اكمل من حال من يموت
من المؤمنين حتف انفه كما قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون الاية ثم الدين الذي قاتل معه عليه الشهيد
يتصرف ويظهر فيكون لطائفته السعادة في الدنيا والاخرة ومن قتل منهم
كان شهيدا وهذا غاية ما يكون من النصر اذ كان الموت له بد منه بخلاف
من يهلك هو وطائفته فلا يفوز له هو ولا هم بمطلوبهم له في الدنيا وله في
الاخرة والشهداء قاتلوا باختيارهم وفعلوا له سبب التي بها قتلوا فهم اختاروا
الموت اما انهم قصدوه واما قصدوا ما به يصيرون شهداء على ملة
لهم السعادة في الاخرة وفي الدنيا بالانتصار لطائفتهم وبقاء لسان الصدق
لهم ثناء ودعاء بخلاف غيرهم فانهم هلكوا بغير اختيارهم هلاك
لا يرجون معه سعادة الاخرة ولم يحصل لهم ولا لطائفتهم شيء من
سعادة الدنيا بل اتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من
المقبوحين وقد اخبر الله تعالى ان كثيرا من الانبياء قتل معه ربيون
كثير الوف كثيرة كما هو احد له قال في الاية وما ضعفوا وما استكانوا الما
اصابهم بل استغفروا من ذنوبهم التي كانت سبب ظهور العدو وقالوا
ربنا اتنا في الدنيا وحسن ثواب الاخرة فاذا كان هذا قول المؤمنين
فالظفر بقتل الانبياء وفيهم وبمن تباعهم من سعادة الدنيا والاخرة

ما هو

ما هو من اعظم الفلاح الوجه الثالث ان في وقوع الهزيمة والكسر على
المسلمين في بعض المواطن مصالح عظيمة وحكما باهرة كثيرة فمع عناية الله
بهم وارادته ظهورهم وكرامتهم ابتلاهم بذلك في بعض الاوقات لتتم
المصلحة وتنفذ الحكمة فيعود المكروه محبوبا وقد اشار سبحانه في سورة آل
عمران في سياق قصة احد الى اصول المصالح والحكم في ذلك منها تمييز
المؤمن الصادق من المنافق الكاذب فانهم لو انتصروا دائما دخل معهم
المرتابون وغيرهم ولم يتميز الصادق من الكاذب فاقتضت حكمة الرب
تعالى ان يبتليهم بذلك ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق الذي جاء به ممن
لا يتبعهم الا على الظهور والغلبة خاصة ولم يجعل الغلبة على المؤمنين
دائما لان ذلك يمنع حصول مقصود البعثة فاقتضت حكمته تعالى ان
يجمع لهم بين الامرين لتتم المصلحة ثم يجعل العاقبة لهم ومنها تعريفهم
سوء عاقبة المعصية فانه تعالى اخبر انما اصابهم فهو بسبب ذنوبهم فيكون
ذلك تنبيها على شوم عاقبة الذنب ليحترزوا منه ومنها انه
لو نصرهم دائما وظفرهم بعدوهم في كل موطن وجعل لهم التمكين والقهر
لعدوهم ابدا لطغت نفوسهم وشمخت انوفهم كما يكون
لو بسط لهم الرزق فلا يصلح عباده الا السراء والضراء والشدة والرخاء
والقبض والبسط فهو المدبر لعباده كما يليق بحكمته انه بهم خبير
بصير ومنها انه سبحانه هيأ لعباده منازل في دار كرامته لم يبلغها
اعمالهم ولم يكونوا بالغيها الا بالبلاء والمحنة فقيض لهم الاسباب التي
توصلهم اليها من ابتلائه وامتحانه ومنها ان الشهادة عند الله
من اعلاء المراتب والشهداء هم خواصه المقربون من عباده ولا سبيل
الى نيل هذه الدرجة الا بتسليط العدو الى غير ذلك من الحكم والمصالح
التي تفوت الوصف فاذا كان في ادالة العدو على المؤمنين في بعض
المراتب ما فيه من المصالح والغايات المحمودة كان الى الدلالة على صحة الشريعة
اقرب منه الى العكس ولم يكن ناقضا له ولا دالا على ان هذا يكون لامر

عارض و معقض طارئ تكون العاقبة والنصر على المؤمنين بل قد منا
ان مثل هذه الادلة من اعلام الرسل و ما يزيد ذلك بيانا
ما اشرنا اليه من ان ظهور الكفار على المؤمنين احيانا هو بسبب ذنوب
المسلمين كيوم احد فاذا تابوا انتصروا كما قد جرى للمسلمين في عامة ايام
حمام مع الكفار فهذا من ايات النبوة فان النبي اذا قام بوصاياه نصروا
واذا ضيعوها ظهر ولكن عليهم فمدار النصر والظهور مع متابعة النبي
وجودا وعدما من غير سبب يزاحم ذلك ودوران الحكم مع الوصف وجودا
وعدما من غير مزاحمة وصف اخر يوجب العلم بان المدار عليه ومن
المعلوم بالاستقراء والتتبع ان نصر الله سبحانه بسبب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
فهو يدل على ان الله سبحانه يريد اعلاء كلمته ونصره ونصر اتباعه فهذا
يوجب العلم بنبوته ومن هذا ظهور بخت نصر انما كان لما غيرت بنو
اسرائيل عهود موسى عليه السلام فاذا اتبعوها كانوا منصورين كما كان في
زمن داود وسليمان وغيرهما قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل
في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا
جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا
خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان
اسأتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد
كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان
عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا فكان ظهور بني اسرائيل تارة
وظهور عدوهم تارة من دلائل نبوة موسى صلى الله عليه وسلم وقد
قال تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون
وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة
الله تبديلا فاخبر سبحانه ان سنته التي لا تبديل لها نصر المؤمنين على
الكافرين والايمان المستلزم لذلك يتضمن طاعة الله ورسوله فاذا
نقص بالمعاصي كان الامر بحسبه كيوم احد فهذه عادته المعلومة

والكاذب

والكاذب الفاجر وان اعطي دولة فلا بد من زوالها ولا بد من بقاء
لسان السوء في العالم وهو وان ظهر سريعا فانه يزول سريعا واما
الانبياء فانهم يبتلون كثيرا ليحصوا بالبلاء فان الله تعالى انما يمكن
العبد اذا ابتلاه ويظهر امرهم شيئا كالزرع قال الله تعالى محمد
رسول الله والذين معه الى قوله كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ
فاستوى على سوقه الاية ولهذا كانوا اقل من يتبعهم ضعفاء الناس
اشار اليه بعض الائمة فاعتبار هذه الامور وسنة الله في
اوليائه واعدائه مما يوجب الفرق بين النوعين وبين دلائل
هذا ودلائل هذا واما قول النصارى انهم يعني المسلمين
طردوا عن بلاد كثيرة كالاندلس وغيرها من البلاد فهذا من قبيل ما تقدم
مما يبتلي الله تعالى به عباده وهو مما حذرت به الانبياء عن النبي صلى
الله عليه وسلم فانه اخبر بادالة العدو على المسلمين حتى ياخذوا
بعض ما في ايديهم اذا اضاعوا امر الله وفرطوا فيما اوجبه عليهم من
طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم فهو من ادلة الرسالة من وجهين من جهة اخباره
بما كان فوقع كما اخبر ومن جهة الاعتبار في ترتب ذلك على معصية الرسول
صلى الله عليه وسلم ثم انه وان اخذ بعض ايدي المسلمين بعض البلاد التي
كانت في ايديهم فقد غلبوا على بلاد كثيرة بعد غلبهم على ما غلبوا عليه
فانه قد حصل للمسلمين الغلبة في بلاد الروم وما والاها بما خرج الى
اندلس عن ايديهم بما هو اكبر بكثير مما غلبوا عليه ولا تزال طائفة من
هذه الامة المحمدية على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم
حتى تقوم الساعة فظهر بما قررناه الفرق بين الفتوحات الاسلامية
وصحة الاستدلال بها على صحة الشريعة وبين محاربات الملوك للملوك
وتبين ان الاشتراك الصوري بين اهل الصلاح والطلاح من بعض
الوجوه مع ظهور الفروق الصورية والمعنوية من وجوه اخرى
غير قادح في صحة الدليل كما ان دخول كثير من الناس في الاديان الباطلة

بمجرد الدعوة اليها والقاء الشبهات غير مقتض صحة ذلك الباطل والا
قادح في صحة حجج الانبياء واتباعهم حيث استجاب لهم كثير من الناس بمجرد
الدعوة فهذا اشتراك في صورة الاستجابة بالدعوى والمالم يكن هذا
لاشتراك الصوري بين اهل الصلاح والفلاح قادحا في صحة دين الحق
والاضعفاء حجة اهله فكذلك ما نحن فيه **فصل** قال النصراني لا سيما فصل
حيث انه اكثر حروب الملوك بغير عدل اذ يقاتلون ائمة من غير الظالمين
لهم وليس لهم ما يقاتلون به على محاربتهم سوى الاختلاف في الدين وهذا
ما هو الا غاية عدم الدين اذ لا تكون عبادة الله الا ما يصدر عن ارادة النفس
واما الارادة فهي تنقاد بالتعليم والاقناع لا بالتهديد والقهر ومن
اضطر لتصديق الدعوى من غير ارادة منه فهو لا يصدق قابل يظهر
فقط انه يصدقها هربا من الشدائد ومن يلزم غيره بالتسليم له بو
ساطة التعذيب له فهو يفعله هذا يدل على عدم ما يستدل به
على صحة دعواه **الجواب** وبالله التوفيق اما حروب
ملوك المسلمين بعضهم لبعض في طلب الملك فليس مما نحن فيه
اذ هو من قتال الفتنة الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم وحذر
منه وهو قتال على الدنيا **واما** القتال الشرعي فهو القتال
في سبيل الله لاعلاء كلمة الله وعز دينه ولا ريب عند الموافق
والمخالف ان محمدا صلى الله عليه وسلم جاء بفرع الجهاد وتضمن
الامر به القرآن الذي انزل عليه وانما شرع في المدينة بعد الهجرة
الى المدينة حين اجتمع بها المهاجرون والانصار وعند ذلك علم
اعداؤه من العرب واليهود انها كانت لهم دار منعة فخافوا انهم ان كانوا
يحذرون فرموهم عن قوس واحد وشمروا لهم عن ساق العداوة
والمحاربة وصاحوا بهم من كل جانب وكان الله يامرهم بالصبر
والعفو والصفح ثم انه تعالى بحكمته اذن لهم في القتال ولم يفرضه
عليهم وقال تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على

نصرهم

نصرهم لقدير الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا
الله ثم فرض عليهم القتال لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال تعالى
وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ثم فرض عليهم قتال المشركين
كافة فقال تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا
ان الله مع المتقين فكان محرما عليهم ما حرم ما ذونا فيه ثم ما مورين به لمن
بدا هم بالقتال ثم ما مورا به بجميع المشركين واذا كان القتال عن امر الله
وشرعه كان القيام به من اكبر الفضائل واعظم الوسائل لما فيه من
بذل النفوس والاموال في مرضات الله ومكافحة امر الله
فهو على وفق الحكمة والعدل لانه صدر عن امر الحكيم الخبير
وقد قامت البراهين واتضحت الدلائل وظهرت المعجزات على ان محمدا
رسول الله فبطل ان يكون قتال المسلمين لمن خالف الله ورسوله
بغير عدل وقد ذكرنا فيما تقدم اشارة الى بعض ما في شرع الجهاد
من الحكم والغايات المحمودة **واما قتال المسلمين** بعضهم
لهم وانه السبب انما هو الاختلاف في الدين فهذا واضح حجة على انه
على مقتضى العدل لانهم انما يقاتلون المشركين بالله الكافرين
به وبرسله كما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية قال
اغزوا باسم الله قاتلوا من كفر بالله فاعظم الظلم واكبر الذنوب
الشرك بالله والكفر به فشرع الله الجهاد ليكون الدين كله لله كما قال
تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا
عدوان الا على الظالمين واذا كان قتالك من ظلمك واعتدى عليك
حتى يكف عن ظلمه واعتدائه لم يكن ظلما ولا قبيحا فكيف يكون
قتال الكافر بالله المكذب لرسوله وكتابه الآتي باعظم الظلم
واكبر الذنب يقال فيه انه بغير عدل ما هذا الا جهل عظيم
كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون **وقوله** اذ لا
تكون عبادة الله الا ما يصدر عن ارادة النفس الى قوله فهو لا يصح

بل يظهر فقط انه يصدقها هر بامن الشدائد **جواب** ان هذا وان وجد
في احاد من الناس فليس على العموم فلا تنقض به الحكم في مشروعية
الجهاد فانه قد دخل في الاسلام قبل من الناس بالقتال و افتحت
ديارهم بالسيف قد دخلوا وكره كثير منهم كارهون فلما خالطوا
المسلمين وسمعوا القرآن و بلغتهم معجزات النبوة وايات الرسالة صحت
عقائدهم و انفتحت بصائرهم وعلموا انه الحق و دانوا به باطنا وظاهرا
وعلموا ابناؤهم ونساءهم وبذلوا فيه انفسهم نفوسهم و اموالهم
هذا ما لا يرتاب فيه ذو عقل صحيح و هل يسجز من له ادنى مسكة
من عقل ان يقول ان من دخل في الاسلام بعد قيام الجهاد من
العرب وغيرهم من اصناف الامم انهم انما صدقوا بالاسلام ظاهرا
فقط هذا مما يعلم فساده ببديهة العقل فان الله تعالى خص هذه الامة
فضله بما وهبها من الايمان بالله ورسوله وتمام الانقياد لما جاء
به الرسول منشرحة بذلك صدورهم مصدقة به قلوبهم مالم يعط
غيرهم من الامم وذلك لما ايد به نبيهم صلى الله عليه وسلم من المعجزات
وانواع الادلة والايات ولهذا كان اكثر الانبياء تابعا يوم القيمة
وكما امته خير الامم واكثر اهل الجنة واول الناس سبقا الى الجنة كما قال
صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون السابقون يوم القيمة ولا ينقض ما
ذكرناه بالمنافقين والزنادقة مقهورون مخذولون في الموطنين
بل في وجودهم بين الموطنين مع كونهم اعداءهم في صورة اولياء
واجتهادهم في الاضرار بدينهم ودنياهم وسعيهم في ذلك بكل
ما امكنهم ثم لم يظفروا بمطلوبهم ولم يحصلوا على مرادهم دليل
على صحة الشريعة وانها من عند الله عز وجل **والمقصود** ان
الله تعالى نصب الادلة والبراهين على صدق رسوله وحجة
ما جاء به من النبوة والكتاب وشرع الجهاد وسيلة الى البلاغ
الحجة وايصال الدليل الى المكلفين فكان من كان على دين وجد

عليه

عليه اباءه واسلافه واشربه قلبه والفته نفسه لم يختر دينا غيره
ولا يلتفت الى سواه فلا يصغي الى حجج الحق وبراهينه فكان من رحمة
الله بعباده ان امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد لتبليغ الرسالة
ليبلغها فينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين **واما قولهم**
النصراني ومن يلتزم غيره بالتسليم له بوساطة التعذيب له او التخو
الى اخره فهو كلام ساقط فان الانبياء عليهم السلام جاؤا بالرسالة
الى الامم مقرونة بالتخويف بالعذاب للمكذبين والانذار للمخالفين
كما جاءت بالبشارة للمؤمنين والرجاء للمصدقين ومنهم من جاء بحر
بالقتال وبنو اسرائيل لما امتنعوا من التزام احكام التورية لثقلها
عليهم رفع الله جبلا فوق رؤسهم وقيل لهم التزموا والا وقع عليكم
الجبل كما قال تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع
بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وقال تعالى
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وايضا فالشرائع جاءت بالحدود
وايقاع العقوبة بالعصاة ليرتدع عن المعاصي والمخالفات
وكل هذا التزام بالاحكام بوساطة التعذيب او التخويف فكان
ذلك دليلا على عدم البرهان فيما دعا اليه الانبياء عليهم السلام
واذا لم يكن كذلك بطل التمويه **فصل** قال النصراني
ثم ان ما يحملونه عليه للقتال من الاختلاف في الدين فينقضه
نعلم حيث يتركون من يخضع لهم بتدين باي دين اراد وقولهم
ايضا ان النصارى في شريعتهم ما يكفي لهم خلاصا **الجواب**
وبالله التوفيق مراده بتركهم من يخضع لهم اقرار اهل الكتاب
ونحوهم بالجزية وهذا ليس على العموم في اهل كل دين فانا
طالبناه بباطل فانها لما نزلت اية الجزية وهي قول الله تعالى
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما
حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب

حتى يعطو الجزية عن يدٍ وهم صاغرون اخذ ها النبي صلى الله عليه
وسلم من ثلاث طوائف اليهود و النصارى و المجوس ولم ياخذها
من عباد الاصنام فاختلف العلماء ههنا فقيل لا يجوز اخذ ها من
كافر غير هولاء ومن دانه بدينهم اقتداء باخذه وتركه وقيل بل تؤخذ
ايضاً من عبدة الاصنام من العجم دون العرب والاول قول الشافعي واحمد
في رواية عنه والثاني قول ابي حنيفة واحمد في روايته الاخرى
قي على القول الاول فانما اخذ ها النبي صلى الله عليه وسلم من المجوس
لان لهم شبهة كتاب لما ورد في بعض الاحاديث انه كان لهم كتاب ثم رفع
وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في المجوس سنوا بهم سنة اهل
الكتاب وليس المراد بسطه هذه المسئلة وانما المقصود ان اخذ الجزية
ممن بذ لها للمسلمين ليس على العموم في حق كل كافر واذا عرف هذا فليس في
اقرار من يقر بالجزية من الكفار ما يكون قد حاكى في حكمة الشريعة وكمالها
فان احكام الشريعة جاءت في كل باب على وفق الحكمة والمصلحة والذي
شرعها هو الرب سبحانه وتعالى وهو احكم الحاكمين وقد قامت الادلة
القاطعة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان القران كلام الله تعالى ورسالته
الى خلقه وشرعه هو ما تضمنه كتابه وحكمة رسوله والحكم الغايات
في احكامه لا يحيط بها الا هو فما علمناه منها قلنا به وما جهلناه و
كلناه الى عالمه وقد ذكر العلماء من الحكمة في اقرارهم بالجزية
وجوهاً فمنها انهم اقروا بذلك ولم يعاملوا معاملة غيرهم من الكفار
لحرمة الكتاب الذي ينتسبون الى اتباعه والنبي الذي ينتمون
اليه ومنها ان ذلك لحرمة اباءهم الذين انقرضوا على الحق
من شريعة التوراة والانجيل ومنها ان اقرارهم بذلك لتقوم
اهل الكتاب وبايديهم التوراة والانجيل وفيها صفة
محمد صلى الله عليه وسلم فربما يتفكرون ويعلمون صدق محمد صلى
الله عليه وسلم فيتبعون الحق فاهملوا هذا المعنى ومنها ان

ابقاؤهم

ابقاؤهم كذلك من الشواهد والدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
لان في الكتب التي باديهم ما يدل على انهم بدلوا وفيها
ما يدل على ان شريعتهم ستنسخ بغيرها كما قدمنا الاشارة الى بعض
ذلك وفيها من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ودلالة نبوته
ما قد منا بعضه وفيها من التناقض والاختلاف ما بين ايضاً
وقوع التبديل قال شيخ الاسلام ابو العباس وعند
اهل الكتاب ما يدل على هذه المطالب وقد ناظرنا غير واحد
منهم وبينا لهم ذلك واسلم من علمائهم وخيارهم طوائف وصاروا
يناظرون اهل دينهم و يبينون ما عندهم من الشواهد و
الادلة على نبوته وعندهم من الشواهد على ما اخبر به من
الايمان بالله واليوم الاخر ما يبين ان محمداً صلى الله عليه وسلم
جاء بالدين الذي بعث الله به الرسل قبله واخبر من توحيد
الله ومن صفاته بمثل ما اخبرت به الانبياء قبله قال الله تعالى
ارايتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني
اسرائيل على مثله فامن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وقال قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
واما قول النصارى وقولهم يعني المسلمين ان للنصارى
في شريعتهم ما يكفي خلاصاً فهو كلام باطل وكذب صريح فان
المسلمين متفقون على مقالة واحدة لا اختلاف بينهم ان من
بلغته رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فلا خلاص له ولا نجاة
الا باتباعه والايمان به سواء في ذلك اليهود والنصارى وعباد
الاصنام وغيرهم من طوائف بني آدم وقد علم من دينه بالضرورة
انه دعى الناس كافة الى اتباعه وانه جاهد اهل الكتاب كما جاهد
المشركين فجرى له مع اليهود المدينة وغيرهم ما هو معلوم وغزى
النصارى عام تبوك بنفسه وسراياه وضرب الجزية على نصارى

بخران وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده جاهدوا اهل الكتاب
يهودهم ونصارهم وقاتلوهم من قاتلهم وضربوا الجزية على من
اعطاهم منهم عن يد وهم صاغرون وهذا الكتاب الذي يعرف
كل احد انه الكتاب الذي جاء به مملوء من دعوة اهل الكتا
الى اتباعه ويكفر من لم يتبعه منهم ويذمه ويلعنه وقال
الله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا و
قال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال تعالى
قل للذين اوتوا الكتاب والاميين ءاسلمتم فان اسلموا فقد
اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد
وقال تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون
للعالمين نذيرا وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لا يسمع بي
احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ومات ولم
يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اهل النار وقال
صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود وقال وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الى قومه وبعثت الى الناس
عامة الى غير ذلك من الايات والاحاديث الدالة على هذا
الاصل الذي لا يرتاب فيه المقام الخامس قال النصراني
في الترجيح بين الشريعتين من جهة الوصايا ونقول قبل
ايراد كلامه في هذا الفصل انا قد بينا فيما تقدم ان النظر في
الترجيح بين الشريعتين ساقط بعد ثبوت نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم وعموم رسالته وانه لا ينجي لطالب النجاة والسعادة
الا الايمان به واتباعه مع الايمان بجميع انبياء الله ورسله وان
لا نفرق بين احد منهم ثم اذا نظرنا الى كمال الشرائع وحكمتها
وعظمة وصاياها وجدنا شريعة محمد صلى الله عليه وسلم

خير

خير الشرائع وافضلها من كل طريق من طرق التفضيل كما ان الذي جاء بها
افضل المرسلين وسيدهم في الدنيا والاخرة وكما ان ما جاء به من الموجبات
اعظم مما جاء به موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام فالذي
جاء به من الدين والشريعة كذلك فما جاء به من النوعين اعظم مما جاء
به موسى وغيره عيسى وقد جمع الله محاسن ما في التوراة والانجيل
ولهذا يقال ان موسى عليه السلام بعث بشريعة الجلال والمسيح
عليه السلام بعث بشريعة الجمال ومحمد صلى الله عليه وسلم بعث بشريعة
الكمال الجامعة بين الشريعتين والآخذة بمجامع الملتين وذلك
ان شريعة موسى عليه السلام كما قال الامام ابن القيم قد كانت شريعة
جلال وقهر وبقتل نفوسهم وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر
وغيرها من الطيبات وحرمت عليهم الغنائم وعجل عليهم من العقوبات
ما عجل وحلوا من الاصار والاغلال ما لم يحمله غيرهم وكان موسى عليه
السلام من اعظم خلق الله هيبة ووقارا واشدهم باسا وغضبا و
بطشا باعداء الله فكان لا يستطاع النظر اليه وعيسى عليه السلام
كان في مظهر الجمال وكانت شريعته شريعة فضل واحسان وكان
لا يقاتل ولا يحارب وليس في شريعته قتال البتة والنصارى
يحرم عليهم في دينهم القتال وهو به عصاة فانه امرني اكف بخيل ان
من لطمك على خدك الايمن فادره خدك الايسر ومن
نازعك ثوبك فاعطه رداءك ونحو هذا وليس في شريعتهم
مشقة ولا اصار ولا اغلال وانما ابتدع النصارى تلك الرهبانية
من قبل انفسهم ولم تكتب عليهم واما نبينا صلى الله عليه و
فكان في مظهر الكمال الجامع بين القوة والعدل والشدة في
الله وبين اللين والرافة والرحمة فشريعته اكمل الشرائع وامته
اكمل الامم واحوالهم ومقاماتهم اكمل الاحوال والمقامات و
لذلك يأتي شريعته بالعدل ايجابا له وفرضا وبالفضل ندبا اليه
واستحبابا وبالشدة في موضع الشدة وباللين في موضع اللين

ووضع السيف موضعه ووضع الندا موضعه فيذكر الظلم فيحرمه والعدل
فيامر به والفضل فيندب اليه في بعض اياته كقوله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها فهذا عدل فمن عفى واصلح فاجره على الله فهذا فضل انه
لايحب الظالمين فهنا تحريم الظلم وقوله وان عاقبتم فعاقبوا
بمثل ماعوقبتم به فهذا الايجاب للعدل وتحريم الظلم ولئن صبرتم
لهو خير للصابرين فهذا ندب الى الفضل ولذلك حرم ماحرم على هذه
الامم كان صيانة وحميه لهم حرم عليهم كل خبيث وضار اباح لهم كل طيب ونافع
فتحريمه عليهم رحمة وعلى غيرهم لم يحل منه عقوبة وهذا لما ضلت عنه
الامم قبلهم كيوم الجمعة ووهب لهم من علمه وحلمه وجعلهم خير امة اخرجت
للناس وكمل لهم من الحاسن ما فرقه في الامم كمل لنبيهم من المحاسن ما فرقه
في الانبياء قبله وكمل في كتابه من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله
وكذلك في شريعته فهذه الامة هم المجتبون كما قال الله تعالى هو
اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعلهم شهداء على الناس
قال تعالى ليكون الرسول عليكم شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على
الناس فاقامهم في ذلك مقام الرسل الشاهدين على اممهم انتهى وكما
ان جنس اهل الكتاب اكمل في العلوم النافعة والاعمال الصالحة ممن
لاكتاب لهم وان هذه الامة اكمل منهم من اهل الكتابين واعدل فليس عند
اهل الكتاب فضيلة عليه الا وامة محمد صلى الله عليه وسلم اكمل منهم فيها كما
قال شيخ الاسلام ابو العباس من نظر بعقله حتى في هذا الوقت الى
ماعند المسلمين من العلم النافع والعمل الصالح وماعند اليهود والنصارى
علم ان بينهما من الفرق اعظم مما بين القديم والغرق فان الذي عند
المسلمين من توحيد الله ومعرفة اسمائه وصفاته وملائكته وانبيائه
ورسله ومعرفة اليوم الآخر وصفة الجنة والنار والثواب والعقاب
والوعد والوعيد اعظم واجل مما عند اليهود والنصارى وما عند المسلمين
من العبادات الظاهرة والباطنة مثل الصلوات الخمس وغيرها من الصلوة
والاذكار والدعوات اعظم واجل مما عند اهل الكتاب وما عندهم من

الشريعة

الشريعة في المعاملات والمناكحات والحدود والعقوبات اعظم واجل مما
عند اهل الكتاب فالمسلمون فوقهم في كل علم نافع وعمل صالح وهذا
يظهر لكل احد بادنى نظر لا يحتاج الى كثير سعي والمسلمون متفقون
على ان كل هدى وخير حصل لبنيهم صلى الله عليه وسلم انتهى واما
العلوم بالمسلمين اصدق من جميع الامم فيها حتى العلوم التي ليست
من بيئته كعلم الحساب والطب ونحو ذلك هم فيها اصدق وصنفاتهم
فيها اكمل واحسن علما وبيانا لها من الاولين الذين كانت هي غاية
علمهم وقد يكون للحاذق فيها من هو عند المسلمين مرمي بالحذق ولكن
قد يكون له عندهم لكن حصل له بما تعلمه من المسلمين من العقل والبيان
ما اعانه على الحذق في تلك العلوم فصار حذاقه المسلمين
احسن معرفة وبيانا لها واما العلوم الالهية فكل من نظر في
كلام المسلمين واهل الكتاب وجد كلام المسلمين فيها اكمل واتم
ومعلوم ان اهل الكتاب فيها اتم من غيرهم واما العبادات
فالناس مختلفون في صفاتها فمن يظن ان الاشق
هو الافضل وهذا مذهب كثير من مشركي الهند وغيرهم
وكثير من مبتدعة المسلمين ومنهم من يقول ان فضل ما كان
ادعى الى تحصيل الواجبات العقلية ومنهم من يقول ان الافضل
لا علة له بل يرجع الى محض المشيئة والرابع هو الصواب
ان افضلها ما كان لله اطوع وللعبد انفع وعلى كل قول فعبادات
المسلمين اكمل اما الاول وكون فيها لهم الجهاد اعظم مشقة من
الجوع والسهر وغير ذلك واما على القول
الثاني فلا ريب ان عبادات المسلمين ادعى الى العمل
الذي هو جماع الواجبات العقلية من عبادات غيرهم فانها
تتضمن للظلم المنافي للعدل واما على قول الشفاق
فمن تكون عبادته تابعة لامر الله تعالى خير ممن عبادته قد

ابتدعها اكابرهم **واما** على القول الرابع فما علم ان الله امر به يتضمن طاعته
دون ما ابتدع **واما** انتفاع العباد بها فهذا يعرف بثمراتها ومن ذلك
اثارها في صلاح القلوب فليتدبر العاقل عقول المسلمين واخلاقهم
وعلمهم يظهر له الفرق فالصلوة فيها من الكمال والاعتدال كالطهارة و
الاصطفاف والركوع والسجود واستقبال بيت ابراهيم والامساك عن
الكلام وما فيها من الخشوع وتلاوة القرآن واستماعه الذي يظهر الفرق بينه
وبين غيره لكل متدبر منصف الى امثال ذلك مما يظهر به فضل عبادات
المسلمين **واما** حكمهم في الحدود والحقوق فلا تخفى على عاقل حتى ان
النصارى في طائفة من بلادهم ينصبونه من يقضي بينهم بشرع المسلمين
وهذه جمل يطول تفصيلها وبما ذكرناه يعلم الجواب عن كلام النصراني
في هذا الفصل على وجه الاجمال وتبين به فضيلة شريعة محمد صلى
الله عليه وسلم على غيره من شرائع الانبياء عليهم السلام كما انه خيرهم
ونبيهم في الدنيا والآخرة **فصل** واما شريعة الضلال التي يدل
عليها النصارى دين المسيح عليه السلام فتلك ضلالة استخفتهم
الشيطان فاطاعوه ودعاهم اليها فاجابوه وتلاعب بهم فيها كل
التلاعب حتى خرجوا عن مقتضى المعقول والشرائع في اصول
دينهم وفروعه كما اشرنا الى بعض ذلك فيما سبق فتلاعب بهم التلاعب
في شان الملك المعبود سبحانه وتعالى وتلاعب بهم في امر المسيح
وتلاعب بهم في شان الصليب وعبادته وتلاعب بهم في تصوير
الصور في الكنائس فلا تجد كنيسة من كنائسهم تخلو من صورة
مريم والمسيح وجرجيس وبطرس وغيرهم من القديسين والشهداء
واكثرهم يسجد للصور ويدعونها من دون الله حتى لقد كتب
بطريق الاسكندرية الى ملك الروم كتابا يحتج فيه السجود
للصور بان الله امر موسى ان يصور صورة الستار ونبي وبابه
سليمان بن داود لما عمل الهيكل على صورة الستار ونبي ومن ذهب

ونصبها داخل الهيكل قال في كتابه وانما مثال هذا مثال الملك يكتب له
بعض عماله كتابا فياخذه العامل ويقبله ويضعه بين عينيه ويقوم
له تعظيما للقرطاس والمداد بل تعظيما للملك كذلك السجود للصور تعظيما
لاسم ذلك المصور له الا صباغ واله لون **قال** ابن القيم وبهذا
المثال بعينه عبدت الاصنام وماذكره هذا لمشرك عن موسى
وسليمان لو صح لم يكن فيه دليل على السجود للصور وغايته ان
يكون بمثابة ما يذكر عن داود انه نقش خطيئته في كفه لئلا
ينساها فاين هذا مما يفعله هؤلاء المشركون من التذلل والخضوع
والسجود بين تلك الصور وانما المثال المطابق لما يفعله هؤلاء المشركون
مثال خادم من خدام الملك دخل على رجل فوثب من مجلسه و
سجد له وعبده وفضل به مالا يصلح الا يفعل الا مع الملك فكل
عاقل يستجهله ويستحمقه في فعله اذ قد فعل مع عبد الملك مما
ينبغي ان يختص به الملك دون عبيده من الاكرام والخضوع والتذلل
ومعلوم ان هذا الى مقت الملك وسقوطه من عينه اقرب منه
الى اكرامه له ورفع منزلته كذلك حال من يسجد لمخلوق او لصورة
مخلوق لانه عمد الى السجود الذي هو غاية ما يتوسل به العبد الى
رضى ربه وله يصلح الا له ففعله لصورة عبد من عبيده وسوى
بين الله وبين عبيده في ذلك وليس وراء هذا في القبح والظلم
شيء ولهذا قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقد فطر الله عباده
على استقباح معاملة عبيد الملك وخدمه بالتعظيم والاجلال
والخضوع والتذلل الذي يعامل به الملك فكيف بحال من فعل
ذلك باعداء الملك فان الشيطان عدو الله والمشرك انما يشرك به
لا يوالي الله ورسوله بل الله ورسوله واولياؤه يريدون ان
اشركهم بهم يعادوهم وهم اشد الناس مقتا لهم في نفس الامر انما
اشركوا باعداء الله وسووا بينهم وبين الله في العبادة والتعظيم

والتجود والذل ولهذا كان بطلان الشرك وقبحه معلوما في الفطرة السليمة
والعقل الصحيح والعلم بقبحه اظهر من العلم بسائر القبائح والمقصود
ذكر تلاعب الشيطان بالامة الضالة في اصول دينهم وفروعه وانهم
ليسوا على شيء من دين المسيح البتة فمن ذلك تلاعبهم في صلاتهم وذلك
من وجوه احدها ان طوائف منهم كثيرين يصلون بالنجاسة والجنابة
ويقوم احدهم فيتغوط ويقوم بأثر البول والغائط الى صلاته بتلك الرائحة
ويحدث من يليه بانواع الحديث لذلك باكاك او فجور او غيبة او سب او شتم او
يخبره بسعر الخمر ولحم الخنزير وما شاكل ذلك وله يضر ذلك الصلوة ولا يبطلها واذا
دعته الحاجة الى البول في الصلوة بال وهو يصلي وله يضر ذلك صلوته والمسيح
عليه السلام بريء من هذه الصلوة وسبحان الله اذ يقرب اليه بمثل هذه
الصلوة فقدره اعلا واثناؤه اجل من ذلك ومنها صلوتهم الى مشرق الشمس وهم
يعلمون ان المسيح لم يصل الى المشرق اصلا بل قد نقل مؤرخوهم ان ذلك حدث بعد
المسيح بثلاثمائة سنة والا فالمسيح انما كان يصلي الى قبلة بيت المقدس وهي
قبلة الانبياء قبله واليها كان يصلي نبينا صلى الله عليه وسلم مدة مقامه بمكة وبعد
هجرته ثمانية عشر شهرا ثم نقله الله الى قبلة ابيه ابراهيم عليه السلام ومنها تصليبهم على
وجوههم عند الدخول في الصلوة والمسيح بريء من ذلك فصلاة مفتاحها
النجاسة وتحريمها التصليب على الوجه وقبلتها الشرق وشعارها الشرك كيف
يخفى على العاقل انتحاله تلك الشرائع المبتدعة من الشرائع المبتدعة ولما علمت
الرهبان والمطارنة والاساقفة ان مثل هذا الدين تنفر عنه العقول
اعظم نفرة زينوه بالحيل والصور في الحيطان بالذهب واللازورد
والزنجفر وبالاعياد المحدثة ونحو ذلك مما يروج على السفهاء و
ضعفاء العقول والبصائر ومن ذلك تلاعبهم في صيامهم فانه
اكثر صومهم لا اصل له في شرع المسيح بل هو مختلف مبتدع فمن
ذلك انهم زادوا جمعة في بدء صومهم يصومونها هرقل ملك بيت
المقدس وذلك ان الفرس لما ملكوا بيت المقدس وقتلوا النصارى

وهدموا الكنائس اعانهم اليهود على ذلك وكانوا اكثر قتلا وفتكا في
النصارى من الفرس فلما سار هرقل اليها استقبله اليهود بالهدايا وسالوه ان
يكتب لهم عهدا ففعل فلما دخل بيت المقدس شكى اليه ما فعل فيها من النصارى
ملكاه اليهود صنعوه بهم فقال لهم هرقل وما تريدون مني قالوا نقتلهم قال
كيف وقد كتبت لهم عهدا بالامان وانتم تعلمون ما يجب على ناقض
العهد فقالوا انك حين اعطيتهم الامان لم تدر ما فعلوا من قتل
النصارى وهدم الكنائس ونحن نحتمل عنك الذنب ونكفره ونسئل
المسيح ان لا يواخذك به ونجعل لك جمعة كاملة في بدء الصوم
نصومها لك ونترك فيها اكل اللحم ما دامت النصرانية وتكتب بذلك
الى جميع الافاق غفرانا لما سئلناك فاجابهم وقتل اليهود ما لا
يحصى كثرة فصاروا اول جمعة من الصوم الذي نتركه فيه الملكية
اكل اللحم يصلون منها هرقل الملك غفرانا لنقضه العهد وقتل اليهود
وكتب بذلك الى الافاق وكذلك لما اراد ان ينقل ذلك الصوم الى
فصل الربيع المعتدل وتغيير شريعة المسيح زاد وافية عشرة ايام
عوضا وكفارة لنقلهم له ومن ذلك ما احدثوه من اعياد الباطلة
الخارجة عما اتت اعيادهم كلها مختلقة محدثة بآرائهم واستحسانهم فمن
ذلك عيد ميكائيل وسببه ان كان بالاسكندرية صنم وكان جميع
من بمصر والاسكندرية يعبدونه له عيدا عظيما وينحرون له الذبائح
فوالى بترك الاسكندرية واحدثهم فامر ان يكسر ويبطل الذبائح
فامتنعوا عليه فاحتال عليهم فقال ان هذا الصنم لا ينفع ولا يضر
فلو جعلتم هذا العيد الميكائيل ملك الله وجعلتم هذه الذبائح له
كان يشفع لكم عند الله وكان خيرا لكم من هذا الصنم فاجابوه الى
ذلك فكسر الصنم وصيره صلبانا وسلمى الكنيسة كنيسة ميكائيل
ثم احترقت الكنيسة وخربت وصيروا العيد والذبائح لميكائيل
فنقلهم من كفر الى كفر ومن شرك الى شرك فكما نهاهم ذلك

مجوسي اسلم فصاروا فضيا فدخل الناس عليه يهنونه ودخل عليه رجل وقال انك انما انتقلت من زوايه من النار الى زاويه اخرى ومن ذلك عيد الصليب وهو مما اختلقوه وابتدعوه فان ظهور الصليب انما كان بعد المسيح بن كثير وكان الذي اظهروه زورا وكذبا اخبرهم به بعض اليهود ان هذا هو الصليب الذي صلب عليه الههم وربهم فانظروا الى هذا السند وهذا الخبر فاتخذوا ذلك الوقت الذي ظهر فيه عيدا وسموه عيد الصليب ولو انهم فعلوا ما فعل اشباههم من الرافضة حيث اتخذوا وقت مقتل الحسين مأتما وحزنا لكان اقرب الى المعقول قال ابن القيم وكان من حديث الصليب انه لما صلب المسيح على زعمهم الكاذب وقتل ودفن ورفع من القبر الى السماء كان الكلديين كل يوم يصيرون الى القبر والى موضع الصليب ويصلون فقالت اليهود ان هذا الموضع لا يخفى وسيكون له نبأ واذا راى الناس القبر خاليا امنوا به فطرحوا عليه التراب والزبل حتى صار مزبلة عظيمة فلما كان في ايام قسطنطين الملك جاءت زوجته الى بيت المقدس تطلب الصليب فجمعت من اليهود الساكنين ببيت المقدس والخليل مائة رجل واختارت منهم عشرة واختارت من العشرة ثلاثة اسم احدهم يهود افسالتهم ان يدلوها على الموضع فامتنعوا وقالوا لا علم لنا بالموضع فطرحتهم في الحبس في جب لا ماء فيه فاقاموا فيه سبعة ايام لا يطعمون ولا يسقون فقال يهود لصاحبيه ان اباه عرفه بالموضع الذي تطلب فصاح الاثنان فاخرجوهما فاخبرا بما قال يهود فامرت بضربه بالنشاط فاقر وخرج الى الموضع الذي فيه القبره وكان مزبلة عظيمة فصلى وقال اللهم اسالك ان كان في هذا الموضع ان يتزلزل ويخرج منه دخان فتزلزل الموضع وخرج منه دخان فامرت الملكة بكنس الموضع من التراب فخرجت المقبرة واصابوا الثلاثة صلبان فقالت الملكة كيف لنا ان نعلم

صليب

صليب سيدنا المسيح وكان بالقرب منهم عليل شديد العلة قد يئس منه فوضع الصليب الاول عليه ثم الثاني ثم الثالث فافاق عند الثالث واستراح من علته فعلمت انه صليب المسيح فجعلته في غلاف من ذهب وحملته الى قسطنطين وكان من ميلاد المسيح الظهور هذا الصليب ثلاثمائة وثلاثة وعشرين سنه هذا كله نقل سعيد به بطريق النصراني في تاريخه والمقصود انهم ابتدعوا هذا العيد بنقل علمائهم بعد المسيح بهذه المده وبعد فسند هذه الحكاية من بين يهودي ونصراني مع انقطاعها وظهور الكذب فيها لمن له عقل من وجوه كثيرة ويكفي في كذبها وبيان اختلافها ان ذلك الصليب الذي شفا العليل كان اولى ان لا يميت الاله الرب المحيي المميت ومنها انه اذا بقي تحت التراب خشب ثلاثمائة وثمانية وعشرون سنه فانه يخر ويبلى لدون هذه المده فان قال عباد الصليب انه لما مس جسم المسيح حصل له الثبات والقوة والبقا قيل لهم فما بال الصليبين الباقيين لم يتفقا واشتبها به فلعله يقولون لما مست صليبه مسها البقاء والثبات وجهل القوم وحمقهم اعظم من ذلك والرب سبحانه لما تجلى للجبل ندكدك الجبل وساخ في الارض ولم يثبت لتجليه فكيف تثبت الخشبة لكونه عليها في تلك الحال ولقد صدق القائل ان هذه الامة عار على بني ادم ان يكونوا منهم فان كانت هذه الحكاية صحيحة فما اقربها من حيل اليهود التي تخلصوا بها من الحبس والهلاك وحيل بني ادم تفضل الى اكثر من ذلك بكثير جدا ولا سيما لما علم اليهود ان ملكة دين النصرانية قاصدة الى بيت المقدس وافقا تعاقبهم حتى يدلوها على موضع القتل والصلب وعلموا انهم لم يفعلوا لم يتخلصوا من عقوبتها ومنها ان عباد الصليب يقولون ان المسيح لما قتل غار دمه ولو وقع منه قطرة على الارض ليبست ولم تنبت فيا عجبا كيف يحيي

الميت ويبر العليل بالخشبه التي صلب عليها وسموا هذا كله من بركتها
وفرحها به وهو مشهود عليها يبكي ويستغيث ولقد كاد الارض تبقى
ان يتفتت الصليب ويضمحل طيبه من صلب عليه وتخسف
الارض بالحاظرين عند صلبه من صلب والملتاملين عليه
بل تفطر السموات والارض وتخر الجبال هدا ثم يقال لعباد
الصليب له يخلوا ان يكون المصلوب الناسوت وحده او مع
اللاهوت فان كان المصلوب هو الناسوت وحده فقد فارقته
الكلمه وبطل اتحادها به وكان المصلوب جسدا من الاجساد
ليس بالله ولا فيه شيء من الالهية والربوبية البته وان
قلتم ان الصلب وقع على اللاهوت والناسوت معا فقد اقررتم
بصلب الاله وقتله وموته وقدرة الخالق على اذاه وهذا ابطل
الباطل والمحال المحال فبطل تعلقكم بالصليب من كل وجه عقلا
وشرعا ومن العجب انكم تقرؤن في التوراة ملعون من
تعلق بالصليب وهم قد جعلوا اشعار دينهم ما يلعنون عليه ولو كان
لهم ادنى مسكة من عقل لكان الاولى ان يحرقوا الصليب حيث
وجدوه ويكسروه ويلطخوه بالنجاسة فانه قد صلب عليه الهم
ومعبودهم بزعمهم واهين عليه فيا للعجب باي وجه بعد هذا يستحق
الصليب التعظيم لولا ان القوم اضل من الانعام فلو عقلوا لكان
ينبغي ان لا يحملوا صليبا ولا يمسوه بايديهم ولا يذكروه بالسنتهم
واذا ذكرهم سدوا اسماعهم من ذكره ولقد صدق القائل عدو
عاقل خير من صديق احمق لانهم بجمقهم قصدوا تعظيم المسيح فاجتهدوا
في ذمه وتنقصه والازدراء به والطعن عليه وكان مقصودهم
بذلك التشنيع على اليهود وتنفير الناس عنهم واغرائهم بهم فنفروا
الامم عن النصرانيه وعن المسيح ودينه اعظم تنفير وقد قال بعض
عقلائهم ان تعظيمنا للصليب جار مجرى تعظيم قبور الانبياء فانه

كان

كان قبر المسيح اذ هو عليه ثم دفن صار قبره في الارض وليس وراء هذا
الحمق والجهل حمق فان السجود الى قبور الانبياء وعبادتها شرك من اعظم
الشرك وقد لعن امام الحنفاء وخاتم الانبياء اليهود والنصارى حيث
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد واصل الشرك وعبادة الاصنام من العكوف
على القبور واتخاذها ثم يقال فانتم تعظمون كل صليب لاتخصون
التعظيم بذلك الصليب بعينه فان قلتم الصليب من حيث هو هو
يذكر بالصليب الذي صلب عليه الهنا قيل وكذلك الحفرة تذكر بحفر
فعظموا كل حفرة واسجدوا لها لانها كحفرته ايضا بل اولى لان خشبة
الصليب لم يستقر عليها استقراره في الحفرة ثم يقال اليد التي مسته
اولى ان تعظيم من الصليب فعظموا ايدي اليهود لمسهم اياه
وامساكهم له ثم انتقلوا بذلك التعظيم الى سائر الايدي فان قلتم
منع من ذلك مانع العداوة قلنا فعندكم انه هو الذي رضي
بذلك واختاره ولو لم يرض به لم يصلوا اليه فعلى هذا فينبغي لكم
ان تشكروه وتحمدوه اذ فعلوا موجب رضاه واختياره الذي
كان سبب خلاص جميع الانبياء والمؤمنين والقديسين من الجحيم
سجن ابليس فاعظم منة اليهود عليكم وعلى اباءكم وعلى سائر
النبيين من لدن ادم الى زمن المسيح والمقصود ان هذه الامة
جمعت بين الشرك وعيب الاله وتنقصه وتنقص دينهم وعيبه
ومفارقة دينه بالكليه فلم يتمسكوا بشيء كان عليه المسيح
لا في صلاتهم ولا صيامهم ولا اعيادهم بل هم في ذلك اتباع كل
ناعق مستجيبون لكل مخرق ومبطل اذ دخلوا في الشريعة ما ليس
فيها وتركوا ما انت به واذا شئت ان تزداد عبرة في دينهم فانظر
ما اشرنا اليه صيامهم الذي وضعوه للوكهم وعظمائهم فلهم
صيام للحواريين وصيام لمار مريم وصيام لمار جرجس وصيام
الميلاد وتركهم اكل اللحم في صيامهم مما ادخلوه في دين المسيح

والله فهم يعلمون ان المسيح كان يأكل اللحم ولم يمنعهم منه في صوم ولا فطر
واصل ذلك ان المانوية كانوا يأكلون ذا روح فلما دخلوا في
النصرانية خافوا ان يتركوا اكل اللحم فيقتلوا فشرعوا له نفسهم صياما
للميلاد والحواريين ومارميم وتركوا في هذا الصوم اكل اللحم محافظة
على ما اعتادوه من مذهبهم فلما طال الزمن بتبعهم على ذلك
النسطورية واليعقوبية فصارت سنة متعارفة بينهم ثم تبعهم على
ذلك الملكانية قال ابن القيم انك اذا كشفت عن حال وجد
ائمة دينهم قد نصبوا حبائل الحيل ليقتنصوا بها عقول العوام و
يتوصل بالتمويه والتلبيس الى استمالتهم وانقيادهم لهم واستدرار
اموالهم وذلك اشهر واكثر من ان يذكر فمن ذلك ما يعتمدونه
في العيد الذي يسمونه عيد النور ومحاله ببيت المقدس فيجتمعون
من سائر النواحي في ذلك اليوم ويأتون الى بيت قد ضل
معلق له نار فيه فيتلوا احبارهم الانجيل ويرفعون اصواتهم
ويبتهلون في الدعاء فبيناهم كذلك واذا نار قد نزلت من
سقف البيت فتقع على دبالة القنديل فيشرق ويضئ ويشعل
فيحيطون جميعا واجمعون ويصلبون على وجوههم ويأخذون في
البكاء والشهيق قال ابو بكر الطرطوشي كنت ببيت
المقدس وكان واليها اذ ذاك رجل يقال له سقمان فلما انتهى
اليه خبر هذا العيد انفذ الى بتاركتهم وقال انا انما نزل اليكم في
هذا اليوم لكشف عن حقيقة ما تقولون فان كان حقا ولم
يتضح لي وجه الحيلة اقررتكم عليه وعظمته معكم وان كان
مخرقة على عوامكم اوقعت بكم ما تكرهون فصعب ذلك
عليهم جدا وسألوه ان لا يفعل فأبى والح في ذلك فحملوا له
ماله عظيما فاعرض عنهم قال الطرطوشي ثم اجتمعت
باب محمد بن الوليد بالاسكندرية فحدثني انهم يأخذون
خيطا رقيقا من نحاس وهو الشريط ويجعلونه في وسط قبة

البيت

البيت الى راس الفتيلة التي في القنديل ويدهنونه بدهن البلسان والبيت مظلم
بحيث لا يدرك الناظرون الخيط النحاس وقد عظموا ذلك البيت فلا يمكنون
احدا من دخوله وفي راس القبة رجل فاذا تسنموا ودعوا التي على ذلك
الخيط النحاس شيئا من نار النفط فتجري النار مع دهن البلسان الى اخر
الخيط النحاس فيلقى الفتيلة فيتعلق بها فلو نصح احدهم نفسه وفتش على
بواطن لتتبع ذلك وطلب الخيط النحاس وفتش راس القبة ليرى الرجل
والنفط ويعرف انه متبع ذلك النور من ذلك المخرق الملبس وانه لو
نزل من السماء لظهر من فوق ولم يكن ظهوره من الفتيلة ومن
حيلهم ايضا انه كان بارض الروم في زمن المتوكل كنيسة اذا كان يوم عيدها
يجتمع الناس اليها ويجتمعون عند صنم فيها فيشاهدون تدلي ذلك الصنم
في ذلك اليوم يخرج منه اللبن فكان يجتمع للسادن في ذلك اليوم مال عظيم
فبحث الملك عنها فانكشف له امرها فوجد القيم قد ثقب من وراء
الحائط ثقبا الى ثدي الصنم وجعل فيه انبوبة من نحاس واصلحها
بالجص ليخفى امرها فاذا كان اليوم العيد فتحها وصب فيها اللبن فيجري
الى الثدي فيقطر منه فيعتقد الجهال ان هذا سر في الصنم وان علامة
من الله لقبول قربانهم وتعظيمهم له فلما انكشف له ذلك امر بضرب
عنق السادن ومحو الصور من الكنائس وقال ان هذه الصور مقام
الاصنام فمن سجد للصور فهو كمن سجد الاصنام ولقد كان من الواجب على
ملوك الاسلام ان يمنعوا هؤلاء من هذا وامثاله لما فيه من الاعانة
على الكفر وتعظيم شعائره فالمساعد على ذلك والمعين عليه شريك
الفاعل لكن لما هانه عليهم دينهم وكما السحت الذي
يأخذونه احب اليهم من الله ورسوله اقروهم على ذلك ومكنوهم
منه والمقصود ان رهبان النصارى واساقفتهم لما علموا ان
دينهم مما تنفر منه العقول اعظم نفرة وضعوا لهم من الحيل والمخارق
ما يروجونه به على السفهاء وضعفاء البصائر واستمالوا بذلك الجهلة الى

التمسك بالنصرانيه وساعدهم ماعليه اليهود من القسوة والغلظة والكذب والبهت وماعليه كثير من المسلمين من الظلم والفواحش والفجور والبدع والغلو في المخلوق حتى يتخذه الها من دون الله واعتقاد كثير من الجهال انه هولاء من خواص المسلمين وصالحيهم فتركب من هذا وامثاله تمسك القوم بما هم عليه ورؤيتهم انه خير من كثير مما عليه المنتسبون الى الاسلام من البدع والفجور والشرك والفواحش ولو انهم تمسكوا بسنة محمد صلى الله عليه وسلم واقتفوا اثاره وتركوا البدع والمحدثات واقتدوا بالسلف الصالح من هذه الامة لكان ذلك من اعظم الدواعي الى الدخول في الاسلام ولهذا لما رأى النصارى الصحابة وما هم عليه من اكثرهم اختيارا وطوعا وقالوا ما الذين صحبوا المسيح بافضل من هولاء قال ابن القيم ولقد دعونا نحن وغيرنا كثيرا من اهل الكتاب الى الاسلام فاخبروا ان المانع لهم ما يرونه عليه المنتسبين الى الاسلام من البدع والظلم والفجور والمكر والاحتيال ونسبة ذلك الى الشرع وبما جاء به فالله طليب قطاع الطريق وحسبهم فهذه اشارة يسيرة جدا الى تلاعب الشيطان بالامة الصليبيه تدل على ما بعدها ويعتبر بها العاقل من وجوه منها ظهور شرف دين الاسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فيعلم ذو العقل السليم انه الحق من ربنا لما ابتدعه الضلال واختر عوه من الباطل والمحال اذ من عرف الباطل وما اشتمل عليه من القبائح ظهرت له فضيلة الحق وما فيه من المحاسن فبضدها تتبين الاشياء ومنها ان يعلم الموفق بالله وربوبيته لهذا العالم انه لا يدع الخلق في الضلالات وركابهم لا قبح الجهالات من غير اقامة الحجة ببعثة الرسول وبلوغ الانذار فكان من اعظم الادلة على صحة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث جاء بالذي هم القوم والصراط المستقيم كما قال الله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين

يهدي

يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم واذا عرف ما قدمناه فتذكر الجواب على افراد المسائل التي ذكر النصراني فصل قال النصراني انما المسيحيون قد امروا بالصبر والاحتساب للمبغضين لهم واما المسلمون امروا بالقصاص واخذ الثار والجواب وبالله التوفيق ان الذي شرعه الله للمسلمين في هذا الباب كامل واجل مما عند غيرهم فانه تعالى اذن لهم في القصاص من المتعدي وجعله حقا واجبا للمظلوم وشرع التمكين له من اخذ حقه ولم يوجب ذلك عليه بل ندبه الى الفضل والصبر فقال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله وقال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فشرع تعالى العدل وهو القصاص وندب الى الفضل وهو العفو ووعد عليه الاجر ولهذا قال فمن عفى واصلح فاجره على الله اي لا يضيع ذلك عنده وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما زاد الله عبدا بعفو الا عزا في احاديث كثيرة في الترغيب في العفو والحث عليه وكان صلى الله عليه اول متصف بهذا الوصف الجميل وكم خفاء عند نقلة اخباره بما يؤثر من حمله واحتماله وعفوه كما عفى صلى الله عليه وسلم عن اولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل ليقتلوه فلما قدر عليهم عفى عنهم مع قدرته على ان ينتقم وكان

عفوه عن غورث بن الحارث الذي اراد الفتك به حين اخترط
سيفه وهو نائم فاستيقظ صلى الله عليه وسلم وهو في يده صلتا
فقال من يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ومن يمنعك مني فقال كن خير اخذ فتركه
وعفى عنه فاتى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وعفى ايضا
عن لبيد بن الاعصم اليهودي الذي سحره ولم يعرض له ولا عاتبه مع
قدرته عليه وكذلك عفوه عن المرأة اليهودية وهي زينب اخت
مرحب اليهودي التي سمت الذراع يوم خيبر فاخبره الذراع بذلك
فدعاها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك قالت اردت ان كنت
نبيا لم يضرك وان لم تكن نبيا استرحنا منك ولكن لما مات بشر بن البراء
اكله من تلك الشاة المسمومة فقتلها به والاخبار بجملة واحتماله وعفوه
كثيرة جدا فصل قال النصراني وامر المسيحيون باثبات عقده
التزويج واحتمال الزوجين احدهما بعضها بعضا اما المسلمون
من ذلك اكمل اجيزلهم نقضها بالطلاق ونقول لاريب ان الذي
شرع الله للمسلمين من ذلك اكمل واليق بالحكمة فان تحريم الطلاق
يفضي كثيرا الى ضرر الزوجين فانه قد يكون قد تم خلقها خلقه فتقع
النفرة بينهما والبغض من كل منها للاخر ويحصل الشقاق فيبقيان
عمرها في تلك العيشة ففي اباحة الطلاق الخلاص من هذا
الضرر ايضا فانه وان لم يحصل شقاق فقد يحتاج الى فراقها
لمصلحة الاستبدال باوفق منها او لكونها عاقرا لا تلد فيستبدل
بها ولودا او يعرض لها ما يمنع مقصود الاستمتاع بحيث لو منع
الاستبدال بغيرها فاتت مقصود النكاح ومصالحه الى غير ذلك
من اسباب المقتضية لفراق الزوجة فاباح الله تعالى للزوج
طلاقها تحصيلا للمصلحة الراجحة له وتبقى هي مباحة للازم
فتتم المصلحة لكل منهما وهذا هو اللائق برحمة الله بخلقه وحكمته

في شرعه

في شرعه وامره وقد قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته
وكان الله واسعا حكيما فاذا لم يكن حاجة الى الطلاق فهو مكروه
لما فيه من تفويت المصالح المترتبة على النكاح من غير سبب يدعو
اليه وجاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابغض
الحلال الى الله الطلاق رواه الدارقطني فصل قال
النصراني والمسيحيون فعندهم يجب على الرجل ان يفعل لامرأته
ما يريد ان تفعل له ويصيرها اسوة في الاقتصار على حبة
واحدة واما المسلمون احلهم تكثير النسل الذي يزداد فيه
الشرف في النكاح الجواب وبالله التوفيق ان نقول
ما شرعه الله تعالى للمسلمين في عدد الزوجات مطابق للحكمة
فانه جاء وسطا بين الاكثار مما يفضي الى تفويت الحقوق
الواجبة لهن وتحمل الرجل ما لا طاقة له به من ايجاب حقوق
الزوجية وبين الاقلال الذي قد تفوت معه مصلحة كمال
الاستمتاع وكثرة الاولاد والتمتع بنعمة الله التي امتن بها على
عباده فاباح تعالى للرجل ان ينكح اربعا ان قدر على القيام
بحقوقهن والعدل فيهن وامره بالاقتصار على واحدة ان
خاف ان لا يعدل فقال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء
مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت
ايمانكم ذلك ادنى ان لا تعولوا والمقصود ان في الجملة
العدد من الزوجات حكما عظيمة ومصالح جمة فمنها ان الرجل
قد لا تكفيه الواحدة لفضل ما اعطي من القوة على النكاح
~~من غير سبب يدعو اليه وجاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم~~
او لما يترتب له على التعدد من المصالح المطلوبة فاباح له العدد المذكور
من الزوجات وما شاء من السراري اتماما لنعمة الله عليه
وتحصينا لفرجه ومنها انه قد يعرض للمرأة ما يعرض استمتاعه

بها من حيض او نفاس او مرض او غيبتها عنه لعذر او سفره
عنها فانه يحل له التعدد لتحصيل المصلحه واتمام الاحصان ومنها
ان المراة قد تكون عاقرا لا تحبل او يعرض لها ما يقطع الحبل
من كبر او مرض وهو يؤثر امساكها وانه لا يفارقها فلو اقتصر عليها
فاتته الولد وهم من النعم العظيمة وفيه تكثير الامة وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم
ومنها ان في اباحة التعدد مصلحة تعود على جنس النساء فانهن
غالبا اكثر من الرجال ففي اباحة التعدد من مصلحه احصانهن
والقيام عليهن ما يفوت كثير منه لو منع التعدد واما ما يحصل
للمراة من مشقة الغيرة بتزويج غيرها فذلك لا يوازي تلك
المصالح ولا يقاربها وايضا فان للرجل مزيد فضل على النساء
بتفضيل الله لهم وبما اوجب عليهم في اموالهم من الانفاق
على النساء والقيام بهن فناسب ذلك ان قصرت عليه انه
يوسع له في قضاء وطره بغيرها اذا احب ذلك ولم يقصر عليها
واما كون كثرة النساء يزداد فيه الشره في النكاح فقد قدمنا
الكلام على فضيلة النكاح بما اغنى عن اعادته وما ترتب عليه
الزيادة في الفضيلة فهو فضيلة ولهذا استكثر النبي صلى الله
عليه وسلم منهن وابيح له من العدد ما لم يبح للامة وقال
بن عباس رضي الله عنهما خير هذه الامة اكثرها نساء وبالجملة
اذا اعتبرت ما شرعه الله تعالى لهذه الامة في هذا الباب وجدته
على وجوه الحكمة واكمل طريق المصلحة كما هو كذلك في كل باب
فلله الحمد فصل قال النصراني وعند المسيحيين اصل الدين
موضوع في القلب ان يصلح ويثمر بما ينتفع بها ابناء الجنس
كلهم واما عند المسلمين فمعظمه في الختانة والوضوء وغيرهما
من الاشياء التي من ذواتها لا تنفع ولا تضر هذا كلامه

ونقول

ونقول لعمر الله انه كلام في غاية السخافة والجهالة والكذب
فان مبنى دين الاسلام على ما فيه غاية صلاح القلب وفلاحه
وحياته وهو اخلاص العبودية لله تعالى وصدق المحبة له
وتحقيق التوكل عليه والخوف منه والرجاء له والاستعانة به
والرضى عنه والصبر والتفويض وغير ذلك من منازل العبودية
وكذلك الايمان بالاصول التي جاءت بها الرسل واتفقت عليها
ملل الانبياء من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الاخر والايمان بالقدر خيره وشره وغير ذلك من اصول الايمان
الثابته في القلب والاعمال الباطنه التي لا تنفع الاعمال الظاهرة
بدونها قال تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون
الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا
لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم وقال تعالى
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر
من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين
واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن
السبيل والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة واتى
الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين
في البأس والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا
واولئك هم المتقون وقال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب
فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك و
ما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اولئك على هدى
من ربهم واولئك هم المفلحون وقال تعالى ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون

الى غير ذلك من نصوص القران فى الوصية بهذه الاصول
والحث عليها و مدح من اتصف بها الى ما يتبع اعمال القلب
من الاعمال الظاهرة التي مقصودها صلاح القلب ورعايته
حياته و ايقاعها على وجهها من ثمرات صلاحه فافترض
تعالى الصلوة الخمس المشتملة على توحيد الله تعالى والثناء له
اليه والخضوع له رهبة منه والابتهال اليه رغبة فيه
ولهذا جاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا قام احدكم الى صلاته فانما يناجي ربه فلينظر احدكم بم يناجيه
وجعل من شروطها رفع الحدث وازالة النجس لتتم النضافة
للقاء ربه والطهارة لاداء فرضه ثم ضمنها تلاوة كتابه المنزل
ليتدبر ما فيه من اوامره و نواهيه و يعتبر اعجاز الفاظه و
معانيه ثم علقها باوقات رتبه و ازمان مترادفه ليكون
ترادف زمانها و تتابع اوقاتها سببا لاستدامة الخضوع
والابتهال اليه وان لا تنقطع الرهبة منه والرغبة فيه
وبهذا تنفتح ابواب المعارف فى القلب و يحصل له غاية
الصلاح ونهاية الفلاح وكذلك فريضة الزكوة والنفقات
من الاموال ففيه من تمرين النفس على السماحة المحمودة ومجانبة
الشح المذموم و مواساة الفقراء و معونة ذوى الحاجات
وظهور ايثار المنفق رضى مولاه ببذل ما يحبه من المال
وكذلك الصيام الذي فيه رياضة النفس و صفاء القلب
وهو سر بين العبد وبين ربه وفيه حث على رحمة الفقراء
واطعامهم وسد جوعهم لما قد عاناه الصائم من شدة
المجاعة فى صومه وفيه من قهر النفس واذلالها وكسر الشره
المستولية عليها واشعار النفس ما هي عليه من الحاجة
الى الطعام والشراب ما هو من اعظم صلاح القلب و معرفته

بربه و فاطره الغني بذاته عن كل ما سواه وكل ما سواه فقير
اليه ولهذا احتج الله تعالى على من اتخذ عيسى وامه الهين من
دون الله بقوله تعالى ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت
من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام فجعل
حاجتها الى الطعام نقضا فيهما عن ان يكونا الهين وكذلك
الحج وما فيه من تحمل المشاق امتثالا للامر فى قضاء المناسك
فى تلك المواطن الفاضلة وفيه تذكير بيوم الحشر فى مفارقة
المال والاهل وخضوع العزيز والذليل بين يدى الله
واجتماع المطيع والعاصي فى الرهبة منه والرغبة اليه واقلاع
اهل المعاصي عما اجترحوه وندم المذنبين على ما اسلفوه كما قال
بعض العلماء قل من حج الا احدث توبة من ذنب واقلاعا
عن معصية الله ولذلك قيل من علامة الحجة المبرورة ان
يكون صاحبها بعدها خيرا منه قبلها ثم نبه بما يعانيه من
مشاق السفر المؤدي اليه على مواضع النعمة برفاهة
الاقامة و النية الى وطان ليحنوا بما سلف من هذه
النعمة على ابناء السبيل ثم علم بمشاهدة حرم الله الذي
انشأ منه دينه وبعث منه رسوله ثم بمشاهدة دار
الهجرة التي اعز الله بها اهل طاعته واذل بنصرة نبيه
بها اهل معصيته حتى خضع له عظماء المتكبرين وتذلل له زعماء
انه لم ينتشر عن ذلك المكان المقطع ولا قوي بعد الضعف
البين حتى طبق الارض شرقا وغربا الا بحجة ظاهرة
ونصر عزيز يدل على عناية الله بهذه الشريعة وانها
من عنده وكذلك الجهاد وما فيه من بذل النفس وانفاق
النفس طاعة الله وامتثالا لامره وكذلك انواع العدل
والاحسان والبر و الصلة وكذلك اقوال الطيبة من

تلاوة كتاب الله واكثار ذكره واستغفاره وتحصيل التوبه
التي هي احب شيء الى الله وامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وغير ذلك من الاعمال الباطنه والظاهرة التي مقصودها
صلاح القلب وصفاؤه ونماء الايمان والمعرفة فيه فان اصل
الدين في الحقيقة هي الامور الباطنة من العلوم والاعمال
فلا تنتفع الاعمال الظاهرة بدونها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
في الحديث الذي رواه احمد في مسند الاسلام علانيته والايمان
في القلب وهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث
المتفق عليه الحلال بين والحرام بين وبين ذلك امور مشتبهات
لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه
ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول
الحمى يوشك ان يقع فيه الا وان لكل ملك حمى الا وان حمى الله
محارمه الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا
فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب وعن ابي هريرة رضي
الله عنه قال القلب والاعضاء جنوده فاذا خبثت الملك
خبث جنوده واذا كان الامر ما ذكرناه بعض وصفه فكيف
يقال ان معظم دين الاسلام في الختانة والوضوء ونحو
وما هذه الوقاحة والجراءة بالكذب البحت والجهل الصرف
وليس هذا بكثير على من فسد عقله وانتكست فطرته
حتى سب خالقه وفاطره اعظم سبه وتنقصه اسوء
تنقص بالشرك به فيه ودعوى الولد له وكفر برسله
وانبيائه فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق
اذ جاءه اليس في جهنم مثوى للكافرين واما الختان
والوضوء وتطهير النجاسات ورفع الاحداث فهو من
محاسن الشريعة فان بالتوحيد وتوابعه طهارة الباطن

وبالوضوء

وبالوضوء ونحوه طهارة الظاهر فيجمع العبد في عبادة ربه بين الطهارتين
ويقوم بين يديه على احسن الهيئات واكمل الاحوال وكان ما جاءت به
به الشريعة المحمدية من ذلك وسطا بين جفاء النصارى وغلو اليهود
كما تقدمت الاشارة اليه وقد اخرج الامام احمد ومسلم
وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما منكم من احد يتوضأ فيسبغ الوضوء فيقول اشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله
الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء فهذا فيه الاتيان
بالشهادتين المتضمنتين طهارة القلب بعد الوضوء الذي هو طهارة
الظاهر لتتم له الطهارتان الظاهرة والباطنة وهذا غاية الكمال وفي
الختان من الطهارة والنظافة ما هو اللائق بحكمة الله في شرعه فان
الاقلف يحمل النجاسة ولا يمكنه الاستبراء من البول فشرع الختان تحصيلا
للطهارة وتكميلا للعبادة وتعظيما للمعبود وهو من الحنيفية ملة ابراهيم
وجاءت التوراة بتقريره والامر به ولم تنسخه شريعة المسيح بل ابطاله من
ابطاله من تغيير الامة الضالة لدين المسيح في زمن قسطنطين كما قدمنا
ذكره وقد اعترف هذا النصراني ان المسيح عليه السلام اختتن
على سنة التوراة وليس معهم في ابطال الختان حجة البتة بل قد ذكر
هو نص التوراة من الفصل السابع عشر من السفر الاول منها ان الله
تعالى قد قال لابراهيم اعطيك لك ولنسلك بعدك بلدة سكناك
وهي جميع ارض كنعان حوزا مؤبدا واكونه لكم الها وانت
عهدي تحفظ انت ونسلك بعدك لاجيالهم هذا عهدي الذي
تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك ان يختتن كل ذكوركم
فانظر هذا النص اليس صريحا في ان شرع الختان ثابت على ذرية
ابراهيم واتباعه فكيف يجعلون من شريعة المسيح ابطال الختان
وقد حتم عليهم وابد حكمه وانما حملهم على ذلك متابعة دين قسطنطين

واضرابه من المبدلين احكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون **فصل** قال النصراني والمسيحيون احل لهم فصل
استعمال المآكل وشرب الخمر على وجه الاعتدال اما المسلمون فيحرم
عليهم اكل لحم الخنزير وشرب الخمر مع انه نعمة عظيمة من الله قف
تنتفع بها النفس والجسم ممن يستعمله بالاعتدال **الجواب** وبا مطلب في حكمة تحريم الخمر والخنزير والخبائث
لله التوفيق قد تقدم انما حرم الله على المسلمين قصرة من رحمة
الله بهم وحميته لهم فانه تعالى احل لنا الطيبات وحرم علينا الخبائث كما
قال تعالى في صفة رسوله صلى الله عليه وسلم ويحل لهم الطيبات ويحرم
عليهم الخبائث والطيب والخبث وصف قائم بالاعيان ليس المراد به
مجرد التذاذ الاكل وعدمه او التذاذ طائفة من الامم لا العرب
ولا غيرهم على القول الصحيح فالخبث القائم بالعين هو علة
التحريم فحرم الله تعالى اكل الخبائث صيانة لعباده عن ملابسة
الخبيث والاغتذاء به قال اهل العلم لان الغذاء يصير جزءا
من جوهر المغتذي وله بد وان يحصل للمغتذي اخلاق وصفات
من جنس ما كان حاصلا في الغذاء كما حرم الله الدم المسفوح لانه
مجمع قوى النفس الشهوية الغضبية فيكتسب به المغتذي به
كيفية توجب طغيانه هذه القوى وهو مجرى الشيطان من البدن
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن ادم
مجرى الدم وكما حرم النبي صلى الله عليه وسلم كل ذي ناب من السباع
ومخلب من الطير لانها عادية باغية فاذا اكلها الناس صار في
اخلاقهم شوب من اخلاق هذه البهائم وهو البغي والعدوان
وهكذا سائر المحرمات ومن ذلك الخنزير فانه مطبوع على
اخلاق ذميمة وصفات قبيحة فحرم اكله على الانسان صيانة
وحمية له عن ان يتكيف بتلك الكيفية واستحلال النصارى له من
احد اثم في دين المسيح وتبديلهم له **وقد** قال الامام
الحافظ

الحافظ عبد الرحمن ابن ابي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا نعيم
بن حماد حدثنا ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن ابي الطفيل قال
نزل آدم بتحريم اربع الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله
به وان هذه الاربعة الاشياء لم تحل قط ولم تزل حراما منذ
خلق الله السموات والارض فلما كانت بنو اسرائيل حرم
الله عليهم طيبات احلت لهم بذنوبهم فلما بعث الله عيسى ابن مريم
جاء بالامر الذي نزل به آدم عليه السلام واحل لهم ما سوى
ذلك فكذبوه وعصوه قال الحافظ ابن كثير وهذا اثر غريب
واما الخمر فهي ام الخبائث ومنبع الرذائل مفسدة للدين
والعقل فتحريمها من محاسن الشريعة وليس يوازي ما فيها من المنافع
ما اشتملت عليه من المفاسد لان المنافع التي فيها تعود الى البدن
والمفاسد تعود الى الدين والعقل وهما اعظم نعم الله على
عباده فلهذا قال تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم
كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما فهذه الشريعة الزاكية جاءت
بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها فاذا تعارضت
المفاسد والمصلحة روعي اكبرهما فعطلت المفسدة الكبرى ولو
بفوات مصلحة لا توازي تلك المفسدة وهذا من حكمة الله في شرعه
وامره وهو الحكيم العليم وقد قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن
الصلوة فهل انتم منتهون فذكر تعالى نوعين من المفسدة في الخمر الاول
يتعلق بالدنيا وضرره ايضا عائد على الدين وهو العداوة والبغضاء
وذلك ان الغالب على من يشرب الخمر ان يشربها مع جماعة ويكون
من غرضه في ذلك الشرب ان يتأنس برفقائه ويفرح بمحادثتهم وكلما تم
فكان من غرضه في ذلك الاجتماع تأكيد المحبة والالفة وكثيرا ينقلب في
الاغلب الى الضد لان الخمر تزيل العقل واذا زال العقل استولت

الشهوة و الغضب من غير مدافعة العقل وعند استيلائها تحصل لنا
بين اولئك الاصحاب وربما آلت الى الضرب والقتل و المشاهدة بالفحش
وذلك يورث العداوة و البغضاء والشيطان يسوّل لهم ان الاجتماع على
الشرب يوجب تاكيد المحبة والالفة فينقلب الامر الى نهاية العداوة
و البغضاء المفضيين غالبا الى الهرج والمرج والفتن وكل ذلك ضاد
لصلاح العالم الوجه الثاني المفاسد المتعلقة بالدين وذلك
في قوله ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وكون الخمر مانعة عن ذكر
الله وعن الصلوة ظاهر لان شرب الخمر يورث السكر و اللذة
و الطرب في الجسم فيمنعه ذلك عن اداء العبادة و تحول بينه
وبين اسباب السعادة وايضا فالنفس اذا استغرقت في اللذات
الجسمانية غفلت عن ذكر الله ومالت الى العاجلة ومن
الدليل على قبح الخمر وخساستها ان عقل الانسان اشرف صفاته
والخمر عدو للعقل ومسفد له وذلك ان الانسان اذا دعاه
طبعه الى فعل القبيح كان عقله مانعا له من الاقدام عليه فاذا
شرب الخمر بقي الطبع الداعي الى فعل القبيح خاليا عن العقل
المانع منها ولهذا امتنع من شربها جماعة في الجاهلية صيانة
لعقولهم وقيل للعباس بن مرداس في الجاهلية لم لا تشرب الخمر
فانها تزيد في جراءتك فقال ما كنت لاخذ الجهل بيدي
فادخله جوفي ولا ارضى ان اصبح سيد قومي فامسي سفيههم
وايضا فان من خواص الخمر كما قال بعض العلماء
ان الانسان كلما كان اشتغاله بها اكثر و مواظبته عليها اتم كان
الميل اليها اكثر وقوة الاقدام عليها اوفر بخلاف سائر المعاصي
كالزنا مثلا فانه اذا وقعه مرة واحدة قلت رغبته
وكلما كثر فعله لذلك العمل كان فتورة عنه اكثر بخلاف
الشرب فانه كلما كان اقدامه عليه اكثر نشاطه اليه اكثر ورغبته

فيه

فيه اتم فاذا واظب الانسان عليه صار غريقا في اللذات البدنية
معرضا عن تذكر الاخرة والمعاد حتى يكون من الذين نسوا الله فانساهم
انفسهم وبالجملة فالخمر يزيل العقل فاذا زال العقل حصلت القبائح
باسرها فظهر بما قررناه ان تحريم الخمر والخنزير من محاسن الشريعة
ومن ادلة انها من عند الله وانها اكمل الشرائع وانزكاها فلله
الحمد والمنة فصل قال النصراني واما قيل ان وضعت
الشريعة التي هي في غاية الكمال كما هي حال شريعة المسيح
فلا عجب ان تقدم ما يشبه الاصول التي تصلح التعليم الصبيان
بل بعد اظهار الشريعة التي هي على تلك الحال فالرجوع بعد
الى الرموز والاشارات فهو امر غير مستقيم ولا يمكن ان يوتى
بمعنى يدل على انه يليق بعد اظهار شريعة المسيح التي هي
في غاية الصلاح ان يوتى بغيرها هذا كلامه وهو يتضمن
امرين الاول دعواه ان شريعة المسيح اكمل من
شريعة محمد عليهما الصلاة والسلام الثاني ما اقتضاه كلامه
من ان المسيح خاتم الرسل كما صرح به هو اعني هذا النصراني في
اول كتابه والجواب عن الاول من وجوه الاول ان نقول
لاريب ان اثبات الكمال كغيره من المعلومات ليس بمجرد الدعوى
وانما يعرف بالدلائل والبينات فالدعاوي مالم يقيموا عليها
ان شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد دللنا فيما تقدم على ان
شريعة محمد صلى الله عليه وسلم في نهاية الكمال وتمام المصلحة ومقتضى
الحكمة بما فيه مقنع لذوي الانصاف وان كانت الادلة على
ذلك تفوت الاحصاء ولا يبلغها الحصر فان الحكم والمصالح في
شرع الله وامره اكثر مما يحيط بها الا هو فما ظهر لنا من ذلك
قلنا به وما لم يظهر لنا وكلناه الى عالمه الوجه الثاني
ان الله سبحانه شرع لعباده الشرائع على وفق الحكمة والمصلحة

وخص كلامه بشريعة حكمته ولكنه سبحانه فضل الشرائع بعضها
على بعض كما فضل الرسل بعضهم على بعض ورفع بعضهم فوق
بعض درجات في الكمال حاصل في كل شرع شرعه الله
ولكن حصول الكمال لا يمنع وجود ما هو اكمل منه فكمال شريعة
موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ليس مانعا من ظهور
شرع اكمل منهما كما ان فضل السابق في الزمان من الانبياء
والرسل لا يمنع وجود افضل منه اذ الكمال في امر الله وشرعه
غير متناه واذا اعتبر ذو البصيرة ما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم من الهدى ودين الحق علم انه جاء بالكمال الذي لم
يتقدم نظيره في الشرائع السالفة ولا عجب فان الذي جاء به
افضل الخلق وسيد المرسلين وخاتمهم صلوات الله وسلامه
عليه وعليهم اجمعين **وجه الثالث** ان دعواه ان شريعة
المسيح لا يمكن نسخها دعوى مجردة عن الدليل وكذب محض
على شريعة من جاء بالانجيل شبيهة بدعوى اليهود عدم
جواز النسخ في الشرائع وهذا النصراني قد رد على اليهود
في انكارهم النسخ فما باله رجع بيدعي كدعواهم بغير برهان
عقلي ولا دليل شرعي فقد جرى على الله في شرعه بمجرد
هوى النفس افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على
علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة
فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون **ثم يقال**
اين فرق بين طرو النسخ على شريعة موسى وما قبلها من
الشرائع وبين طروه على شريعة المسيح فانه لا يمكن
ان يؤتى بفرق صحيح عقلي فقد خالفوا العقل والشرع
في هذه الدعوى الباطلة فلا جرى على الله في شرعه
وامره كما لا اعتراض عليه في خلقه الا له الخلق والامر تبارك

الله

الله رب العالمين **واعلم** ان الشرائع نوعان **منها** ما يعرف
بضرورة العقل والفطرة نفعه معاشا ومعادا فهذا يمتنع طرو النسخ
عليه كعبادة الله وحده لا شريك له وطاعته ابدا وجامع هذه الشرائع
امران التعظيم لله والشفقة على خلق الله وهذه لا تختلف فيها شرائع
الانبياء **ومنها** ما لا يعرف الا بالسمع مما يكون تابعا للمصلحة وذلك
يختلف باختلاف الزمان والمكان والحال فهذا يمكن طرو النسخ عليه
وتبديله فيكون الشيء الواحد حراما في ملة دون ملة وفي وقت دون
وقت وفي مكان دون مكان وفي حال دون حال وهذا معلوم
بالاضطرار من الشرائع ولا يليق بحكمة احكم الحاكمين غير ذلك الا ترى
ان تحريم السبت لو كان لعينه لكان على ابراهيم ونوح وسائر
النبيين وكذلك ما حرمته التوراة من المطاعم والمناكح وغيرها
لو كان حراما لعينه وذاته لكان حراما على كل نبي وفي كل
شريعة والادلة على هذا كثيرة جدا وهي تبطل شبهة امة
العضب في دعوى عدم النسخ ليس هذا موضع بسطها لان ذلك
ليس من غرضنا في هذا الكتاب اذ الكلام فيه مع الامة الضالة
وهم يوافقوننا على جواز وقوع النسخ في الشرائع فاذا كان
الرب تعالى لا حجر عليه بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ويبتلي
عباده بما شاء ويحكم ولا يحكم عليه وينسخ من امره ما يشاء
ويثبت لا معقب لحكمه فما الذي يحيل ان ينزل شريعة بعد
شريعة المسيح تكون اكمل منها وافضل وهل هذا الا مما
ادعته اليهود فان كان ذلك صحيحا وانه يمتنع ان يوتى
بشريعة بعد شريعة المسيح لزم منه صحة دعوى اليهود
اذ لا فرق فعاد الطعن في نبوة المسيح واذا كانت دعوى
اليهود واضحة البطلان فدعوى هذا الضال ابطل **قال**

بعض العلماء وحكاه النسخ فيما يجوز نسخه وتبديله ان
الاعمال البدنية اذا واظب عليها الخلف عن السلف
صارت كالعادة وظن انها مطلوبة لذاتها فيمتنع الوصول
بها الى ما هو المقصود من معرفة الله وتجريده بخلاف
ما اذا تغيرت تلك الطرائق وقال غيره حكمته ان
الخلق طبعوا على الملالة من الشئ فوضع لهم في عصر كل
رسول شريعة جديدة لينشطوا في ادائها ومن الحكمة
اظهار شرف نبينا صلى الله عليه وسلم فانه نسخ بشريعته
شرائعهم وشريعته لا تنسخ لها ومن احكم النسخ ايضا
ما فيه من حفظ مصالح العباد كطبيب يامر بدواء في يوم
وباخر في يوم ثاني وهكذا بحسب المصلحة وان كان الثاني
افضل انتهى والجواب عن الامر الثاني وهو دعوته
ان المسيح خاتم الرسل من وجوه تعلم مما تقدم الاول
انها دعوى مجردة عن البرهان وعارية عن الدليل والتعويل
التي لا دليل عليها مطرحه وهم لا يستندون في ذلك الى دليل البته
وليس في الاناجيل التي بايديهم ما يدل على ما زعمه
بل قد تقدم فيما اوردناه من نصوص الانجيل الدالة على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما يبطل هذا الزعم الوجه الثاني
ان ادلة الرسالة المحمدية ومعجزاتها وبراهينها التي هي
اظهر من شمس الظهيرة لا تحتاج بعدها الى تنويع الرد
في ابطال هذه الدعوى الكاذبة الخاطئة الوجه
الثالث ان هذا القول من مخترعاتهم المحدثة من بعض
متاخريهم اما من هذا المصنف او امثاله من الضالين
وهذا كما زعم بعض اخوانهم في الكفر من انصارى البهائية

ان

ان يدعي ان موسى خاتم الرسل وانه عهد اليهم ان
لا نبي بعده فقد عوى هذا الضال ان المسيح خاتم
الرسل وان شريعته خاتم الشرائع لا نعلم به قائلا قبله
من النصارى بل قد قال الامام العلامة ابو عبد الله بن القيم
وهو الامام المحيط باقاويل الناس اهل الكتاب مجمعون على
انه نبي يخرج في اخر الزمان ولا يشك عالمهم انه محمد بن
عبد الله وانما يمنعهم من الدخول في الاسلام رياستهم على قومهم
وخضوعهم لهم وما ينالون منهم من المال والجاه انتهى وقول
النصراني ولا يمكن ان يوتى بمعنى يدل على انه يليق بعد
اظهار شريعة المسيح التي هي في غاية الصلاح ان يوتى
بغيرها يعلم جوابه مما تقدم من بيان افضلية
شريعة محمد صلى الله عليه وسلم التي اقتضت حكمة الرب
تعالى ان جعلها خاتمة الشرائع ففضلها على غيرها كما
فضل من جاء بها على سائر الانبياء وفضل امته على
جميع الامم وايضا فانه صلى الله الذي اتفقت عليه شرائع
الانبياء ودعا اليه جميع الرسل هو اخلاص العبودية
لله تعالى وخلع الانداد التي تعبد من دونه ولا ريب
ان الذي جاءت به شريعة محمد صلى الله عليه وسلم في
تشييد هذا المقام وحمايته هذا لباب اعظم مما جاء به
غيره فانه قد جاء من تحقيق التوحيد وسد طرق
الشرك والتحذير من دقيقه وجليله وظاهره وخفيه
ما فضلت به شريعته على سائر الشرائع كما جاء في
الخبر عن الله وعن اليوم الاخر وتقرير نبوة الانبياء
وتصديق ما تضمنه التوراة والانجيل مع زيادة

البيان و التفصيل مما تضمنه القران وحكمة الرسول ما
حصل به المؤمنين من العلوم النافعه ما فاق به
على جميع الامم فاي شئ يليق ببعثة الرسول اعظم
من هذا وايضا فقد قدمنا في المقام الاول بيانه
اعتراف النصراني بخفاء الحق وظهور الضلال قبل
مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بما يكفي في ابطال
كلامه ههنا و يعلم به ان الخلق محتاجون
الى بعثته صلى الله عليه وسلم اعظم من كل حاجة
و مضطرون اليه غاية الضرورة كما قال الله تعالى
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على
فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من
بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله
على كل شئ قدير وفي الحديث الذي رواه
مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله اطلع
على الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب
وايضا فان النصارى عليهم لعائن الله قد اشركوا بالله
اعظم الشرك وافتروا عليه اعظم الفرية فقالوا ان الله ثالث
ثلاثة واد عوا له ولدا تعالى الله عما قولهم علوا كبيرا فلو لم
يكن في بعثة الرسول من الحكمة سوى النهي عن هذا
الكفر الشنيع والشرك الفضيع من امة هذا شانهم
رسول الله والايمان بكتابه وهم اذ ذاك اقرب
الناس عهدا بالكتب والرسل لكان ذلك كافيا
في الحكمة ولا يقاس بالمعنى الذي مضت به سنة الله
في خلقه من بعثة الرسول عند الحاجة اليه قل

المحاجونا

اتحاجونا في الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
ونحن له مخلصون هذا ما يسر الله من كتاب الحجج صحبت ابجاية
منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب وكان الفراغ من كتابته
يوم الجمعة في شهر جمادى اول سنة ١٣١١
وصلى الله على محمد وآله وصحبه
وسلم الحمد لله رب العالمين
امين امين
امين

فائدة منقولة من السيرة المحمدية والطريقة الاحمدية روى مسدد والبزار والاصبهاني
من طريق اسمعيل بن رافع والبيهقي عن انس رضي الله عنه ورواه الطبراني ايضا عن
انس قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الخيف فاتاه رجل
من الانصار ورجل من ثقيف فلما سلما قالا جئناك يا رسول الله نسئلك قال ان
شئتما اخبرتكما بما تسئلاني عنه فعلت وان شئتما ان اكتما
تسئلاني فقالا اخبرنا يا رسول الله نزداد ايمانا ونزداد يقينا فقال الانصاري
للثقفي سل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل انت تسئل فاني اعرف حقك فسئله
فقال الانصاري اخبرنا يا رسول الله قال جئتني تسئلني عن مخرجك من بيت الحرام وما
فيه من طوافك بالبيت ومالك فيه وركعتيك بعد الطواف ومالك فيهما
عن طوافك بالصفا والمروة ومالك فيه وعن وقوفك بعرفه ومالك فيه وعن رميك
بالجمار ومالك فيها وعن حلاقك راسك ومالك فيه وعن طوافك بعد ذلك ومالك
فيه يعني الافاضة قال والذي بعثك بالحق لعن هذا جئت اسئلك قال فانك اذا
خرجت من بيتك تام البيت الحرام لم تضع ناقتك خفا ولم ترفع لها كتب الله لك به
حسنة ومحا به عنك خطيئة ويرفع بها لك درجة واما ركعتيك بعد الطواف
فانهما كعتق رقبة من ولد اسمعيل واما طوافك بالصفا والمروة فكعتق سبعين